الفصل السادس عشر بعد المئة

الفن الجاهلي

العمارة :

لظهور الفن وازدهاره في مكان ما لا بد من توفر تربة خصبة فيه تموّنه بالمواد الأولية اللازمة ، ولا بد من وجود جو يساعد على نمو بذوره وانمائها وازدهارها . وجزيرة العرب أرض كما نعلم غلب عليها الجفاف وتحكمت فيها أشعة الشمس المحرقة والسموم الحارة الجافة ، وهي ذات جو مشرق صاف صاحٍ في الغالب ، ولكنه جاف يابس ، لا تبكيه السماء في الغالب إلا بمقدار ، فإذا سالت دموعه، انهمرت انهماراً ، وتحولت الى سيول جارفة عارمة سرعان ما تختفي وتزول ، بأن تغور في باطن الأرض ، وقد تنزل الأمطار نزولاً لا بأس به ، فتخضر الأرض وتنبت الأزهار والأعشاب ، وتضحك ويضحك الناس معها ، وتهيج قرائحهم لفرحهم وطربهم من حصولهم على هذه النعمة الكبرى ، التي لا تدوم طويلاً ، وهذا أمر يؤسف له ، أو قد لا تعود اليهم ثانية إلا بعدّ أجل ، لانحباس البخار مولد المطر ، فيلجأ المخلوق الى خالقه يتوسل اليه أن يغيثه بانزال الغيث عليه بكل الوسائل التي يتوصل اليها عقله لاقناعه آلهته بإنزال المطر ليغيث الانسان والحيوان والنبات .

ولظهور العمارة وفن النحت والزخرف ، لا بد من وجود أحجار صالحة للبناء أو للنحت والحفر ، حتى يكون في امكان المعمار أو النحات تحويلها الى أبنية أو

أصنام وتماثيل أو ما شاكل ذلك . وأرض سهلة لا حجر طبيعي فيها لا يمكن أن يظهر فيها بناء أو فن إلا اذا كانت قريبة من مواطن الحجر أو من مواطن الحضارة حيث تستوردها عندئذ من تلك الأماكن . لذا نجد الفن الجاهلي قد تركز وانحصر وبرز في العربية الغربية وفي العربية الجنوبية وفي المواضع القريبة من مواضع الحجر ومن أهل المدر في الغالب .

وفي اليمن أنواع من الأحجار الصالحة للبنـــاء وللنحت ، كما توفرت فيها ، المواد المساعدة الأخرى التي تدخل في انشاء العمارات مثل الجبس . ولهـــذا قامت فيها بيوت مرتفعة ذات طوابق متعددة،ولا يزال أهل اليمن وبعض أهـل المواضع الأخرى من العربية الجنوبية يبنون البيوت والقصور المرتفعـــة السامقة ، وما كان بوسعهم ذلك لولا وجود المواد الصالحة للبناء ، التي تستطيع البقاء ومقاومة الطبيعة أمداً [1] . وبفضل المواد المذكورة بقيت أبنية من أبنية الجاهليين اليمانيين الى الإسلام بقيت محافظة على نفسها وعلى شكلها العـام ، ولولا يد الإنسان التي لعبت بهـــا وخربت أكثرها لبقيت أزمنة طويلة أخرى ولا شك . ولو كانت تلك الأبنية قد بنيت بالطابوق أو باللبن وبالمواد المستعملة في البناء في وسط وفي جنوب العراق ، لما تمكنت من البقاء طويلاً ، لأنها مواد لا تتحمل معاركة الطبيعة زماناً طويلاً ، لذلك تنهار بسرعة إذا لم ترعاها يد الإنسان دوماً بالاصلاح والتعمير [2] .

وقد ساعدت وفرة الرخام والحجارة الصلدة في اليمن في التعويض عن استعمال الخشب القوي الصلد في البناء فاستعمل المعمارون الأعمدة العالية الجميلة ذوات التيجان في رفع السقوف وفي إقامة الردهات الكبيرة وفي « الطارمات » أمام الأبنية ، وفي واجهات المعابد بصورة خاصة ، استعملوها بدلاً من الخشب الذي لا يتحمل الثقل كما يتحمله الحجر ، والذي لا يعمر طـــويلاً كما يعمر الحجر . وبفضل هـــذه الحجارة استطاع المعمارون أن يستفيدوا من الماء بإقامة السدود القويـة التي تتحمـل ضغط السيول العالي عليها ، وهذه ميزة لا نجدها بالطبع في العراق .

وقد ساعدت طبيعة اليمن عامل البناء في نحت الحجر وقطعه وصقله وتكييفـــه بالشكل الذي يريده . وتمكن بذلك من وضع أحجار مصقولة بعضها فوق بعض

---

١ A. Grohmann, S. 140.

٢ A. Grohmann, S. 140.

لتكوين أعمدة منها أو جدر معبد أو حيطان سدود أو قصور بحيث يوضع حجر فوق حجر ، فيجلس فوقه بصورة يصعب على الإنسان أن يتبين منها مواضع اتصال الحجر بعضه ببعض . ولولا وجود الحجر الجيد لديه لما تمكن من القيام بإنشاء الأبنية الضخمة المؤلفة من جملة طوابق والتي قاومت الدهر ، ولكان بناؤه من الطابوق ، أي من اللبن الذي حُجّر بالنار ، والطابوق لا يمكن أن يقوم مقام الحجر في البناء ، ولا أن يقاوم الطبيعة وأن يعمر طويلاً . ونظراً لصغر حجمه بالنسبة الى الحجر ، ولضرورة ربطه بعضه ببعض بمادة ماسكة مثل الجبس فإن البناء به لا يمكن أن يكون متيناً ، ولا يمكن أن يقاوم الرطوبة والعوامل الجوية الأخرى ، فيتآكل ويتداعى ، ولا سيما في المواضع السهلة ذات الرطوبة ، أو التي تتساقط عليها الأمطار بكثرة، فتكوّن سيولاً عارمة تكتسح ما تجده أمامها من أبنية مبناة بمادة غير متينة متانة الحجر .

وتفيدنا دراسة المباني اليمانية في الزمن الحاضر فائدة كبيرة في تكوين فكرة عن البناء عن أهل اليمن قبل الاسلام.ففي هذا البناء الذي نراه عناصر عديدة لا تزال حيّة باقية ، هي من بقايا البناء اليماني الجاهلي . وما قاله « الهمداني » في صفة بعض المباني والقصور الجاهلية التي كانت قائمة في أيامه ثم زالت ، ينطبق على أوصاف القصور والمباني القائمة الآن ، كما أن في دراسة أسماء أجزاء البناء وما يستعمل فيه فائدة كبيرة في حلّ كثير من المعضلات الفنية المتعلقة بفن العمارة عند الجاهليين .

وقد زال أكثر المباني الجاهلية ، ويا للأسف ، بسبب اعتداء الانسان بجهله ، عليها . فقد حمله كسله وجهله على تدمير تلك الأبنية ، لاستعمال حجارتها في بناء بيوت جديدة ولأغراض أخرى . ونجد في الأبنية الحديثة ، وأكثرها أبنية رديئة قبيحة بالقياس الى القصور القديمة ، حجارة ضخمة ، بعضها مكتوب كتابة كاملة انتزعت من الأبنية الجاهلية ، وبعضها ناقص الكتابة لتلف الكتابة المكملة أو لنقلها إلى موضع آخر . ونجد حجارة مكتوبة وقد طليت بالجبس ، لاعطاء الجدار الذي دخلت فيه وجهاً أملس . ونجد في الكتب القديمة مثل كتب الهمداني إشارات الى مثل هذه الأعمال ، التي ما تزال جارية مستمرة بالرغم من قرار الحكومات المعنية بمنع هذه الأعمال . وقد حطمت تماثيل جميلة عثر عليها بين الرمال ولا تزال تحطم ، لأنها في نظر العاثرين عليها أصنام لقوم كفرة ، وتماثيل قوم ممسوخين

غضب الله عليهم ، فلا يجوز الاحتفاظ بها ، فهشمت وعبث بها ، وبذلك خسر العرب كنوزاً فنية وذخائر لا تقدر بثمن،كان في وسعنا الاستفادة منها في تدوين تأريخ الجاهليين .

وقد حطمت ودمرت قصور عظيمة في اليمن،بقيت بعضها قائمة الى الاسلام، مثل قصر (غمدان) بصنعاء ، الذي يبالغ أهل الأخبار في وصف ارتفاعه وضخامته، وقد كان مؤلفاً من طبقات بعضها فوق بعض ، ثم هدم وقلّ في الاسلام ، أمر الخليفة (عثمان) بهدمه ، فزالت معالمه ، ولو بقي إلى اليوم لكان من المفاخر[1] ، ومثل المعابد الضخمة،وقصور الأسر الحاكمة ، مثل قصر (شمر) بذي ريدان ، وأبنية أخرى قوضت لأسباب عديدة ، فضاع بذلك علينا تراث مهم . وفعل مثل ذلك في الأبنية الأخرى . ففي العراق مثلاً ، هدمت قصور الحيرة وبيوتها،لاتخاذ حجارتها مادة لبناء الكوفة ، و « وجد في قراطيس هدم قصور الحيرة التي كانت لآل المنذر ، ان المسجد الجامع بالكوفة بني ببعض نقض تلك القصور ، وحسبت لأهل الحيرة قيمة ذلك من جزيتهم »[2]. وقد أضاعت علينا هذه الأعمال معالم قيّمة من تراث الجاهليين .

وقد هدم قصر (بهر) (ذي بهر) ببيت حنبص ، وهو أثر جاهلي مهم ، بقي قائماً الى حوالى سنة (٢٩٥) للهجرة ، فأمر بإحراقه (ابن أبي الملاحف) القرمطي ، فأحرق ، وظلت أخشابه تحترق أربعة أشهر على مـــا يزعمه الرواة ، مبالغة منهم بالطبع[3] .

ولأهل اليمن عادات جميلة أفادتنا فائدة طيبة ، وذلك بوضعهم عـــلى الجدر حجارة مكتوبة تحمل اسم الدار أحياناً واسم صاحبها واسم الإلـه الذي تبرك صاحب المبنى بتقديمه اليه تيمناً به ، حتى الترميمات والاصلاحات التي يقوم بهـــا أصحاب البناء تدوّن على هذه الحجارة ، ولا سيما الترميمات والاصلاحات التي تدخل على المعابد والمباني العامة ، تعين عليها بدقة تامة ، فيذكر الموضع الذي ابتدأ بـــه والموضع الذي انتهى منـــه ، ويذكر مقدار ما صرف عليه في بعض الأحيان .

---

١ تاج العروس (٢/٤٤٦) ، (غمد) .
٢ البلاذري ، فتوح البلدان (٢٨٤) .
٣ الاكليل (١/١٢) (حاشية رقم ١) .

ومن هذه الكتابات أخذ معظم علمنا بتأريخ اليمن القديم .

ويظهر أن أهل الحجاز لم يكونوا على شاكلة أهل اليمن في بناء البيوت الضخمة من الحجارة والمواد البنائية الأخرى التي يعمّر بها البناء عمراً طويلاً ، بدليل ما نشاهـــده في اليمن وفي مواطن أخرى من الجزيرة العربية من بقايا معابد ومبانٍ ضخمة ، وعدم وجود شيء من ذلك في الحجاز ، وبدليل ما أورده أهل الأخبار من قصص عن مباني اليمن العادية ، وما شاهدوه من بقاياها في أيامهم هناك ، وهي تتحدث عن فن عمراني متقدم ، على حين خلت أخبارهم من هذا القصص عن الحجاز ، بل يظهر منها أن أكثر أبنية مكة ويثرب لم تكن إلا أبنية صغيرة ضيقة ،أكثرها من اللبن أو الطين ، وقد عرشت بجريد النخل وبالعيدان وبالأخشاب المحتطبة من التلال والجبال . وقد عرفت بيوت أهل الحاجة في مكة بـ (عروش مكة)[1] .

وقد امتازت (يثرب) عن مكة بوجود (الأطم) بها ، والأطم ، هـي قصور تتكون من طابقين في الغالب ، أو ثلاثة طوابق ، تكون ضخمة نوعاً ما يعيش فيها سادتها ، وتكون حصوناً لأهل المدينة يتحصنون بها عند دنو خطـــر عليهم ، ويحمون أموالهم بها . وقد بنيت بالآجر وباللبن أحياناً ، وبالطين أحياناً أخرى ، حيث تجعل الجدر عريضة ، لتقف صامدة أمام الدهر وأمام المهاجمين، وتتخذ في أعلى الأطم مواضع يقف عليها المدافعون لرشق المحاصر بالسهام ، أو بالحجارة ، وبصب الماء الحار أو النار عليه ان قرب من جـــدار الأطم . وقد اتخذت الأطم في يثرب ، لعدم وجود سور حولها يحميها من الأعداء ، ولكونها مكشوفة ، لا تحميها حواجز طبيعية ، يتحصن بها أهل المدينة عنـــد دنو الخطر منهم ، فلم يجدوا أمامهم من وسيلة سوى بناء هذه الأطم للدفاع عن أنفسهم ، على نحو ما فعل أهل الحيرة في مدينتهم ، حيث بنوا القصور .

وتوجد في أعالي يثرب إلى فلسطين بقايا حصون وقصور ومواضع قديمـــة ، كانت آهلة عامرة ، أما الآن فلم تبق منها غير بقية من آثارها ، وهي لا تزال مادة (خاماً) لم تكتشف ، ولم تدخلها بعثات علمية منتظمة ، وتشاهد عندها بعض

---

١ المغرب (٢/٣٧) ، « عروش مكة ، بيوتها لانها كانت عيدانا تنصب ويظال عليها »، شرح القاموس (٤/٣٢٢) .

أحجار مكتوبة ، بقلم مشتق من المسند ، وبلهجات عربية تختلف عن لهجة (ال)، أي عن العربية التي نزل بها القرآن ، مما يدل على انها كانت في الأصل لقبائل كانت لهجاتها لا هي عربية جنوبية ولا هي عربية من عربية أهل البوادي، ولكنها كانت متأثرة بالثقافة التي تدون بالقلم المسند ، ثم تأثرت بلغة الأعراب الذين جاءوها من البوادي وذلك قبيل الاسلام ، فنزلت هذه المواضع ، وزاحمت أهلها، ثم غلبتهم على أمرهم ، فاختفت اللهجات العربية القديمة، وحلت محلها لهجة (ال). وسيجد المنقبون الذين سينقبون في المستقبل في هذه المواضع آثاراً ستحدد لهم الاتجاهات الثقافية والحضارية التي دخلت جزيرة العرب ، واللغات التي كانت سائدة فيها .

وفي المسند مصطلحات كثيرة خاصة بالبناء وبالآلات والمواد التي تستعمل فيه، وفي أجزاء البناء . واللهجات العربية الجنوبية هي أغنى بمصطلحات البناء من العربية التي نزل بها القرآن الكريم . وذلك لأن أهل العربية الجنوبية كانوا حضراً في الغالب وأهل مدر ، حتى أن أعرابهم كانوا يقيمون في أكواخ وعشش ثابتة مستقرة . لهذا كثرت في لغتهم ألفاظ الحضارة التي تقوم على الإقامة والاستقرار. وظهرت عندهم ألفاظ لمواد تستعمل في البناء مثل أنواع الصخور والحجارة ، وكيفية قطعها ، وأنواع الخشب المستعمل فيه ، وآلات القطع أو آلات المعمار وغير ذلك من مصطلحات لا نجد لها مقابلاً في هذه العربية التي نتكلم بها . وذلك لأن حضارة البناء التي ظهرت في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية للأسباب المذكورة لم يظهر ما يماثلها في المواضع الأخرى من جزيرة العرب ، حيث قام عمرانها على المدر بالنسبة للحضر . أي على الأبنية المتخذة من المدر أو من اللبن أو من الآجر. ومثل هذه الأبنية ، لا تحتاج الى مصطلحات والى آلات كثيرة ، ولما كانت الحاجة هي أم الاختراع في اللغات ، لذلك قلّت مصطلحات العمران في اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، بينما كثرت فيها مصطلحات أهل الوبر ومصطلحات البداوة ، في مثل أجزاء الخيمة وما يتعلق بحياة الفرس والجمل ، حيث قصرت دونها هنا لغة المسند .

وقد درس الآثاريون في الأيام المتأخرة موضوع الفن العربي الجنوبي ووضعوا بحوثاً فيه ، استندت على الملاحظات والدراسات التي قاموا بها في مواطن الآثار أو من ملاحظاتهم للقطع الأثرية وللصور التي أخذت لها . وقد وجد بعضهم مثل

الباحثة (جاكلين بيرين) Jacqueline Pirenne ، ان الحضارة العربية الجنوبية انما برزت وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد ، برزت بتأثير الحضارة اليونانية — الفارسية عليها . وقد زعمت ان القلم العربي الجنوبي أخذ من القلم اليوناني في ابتداء القرن الخامس قبل الميلاد ، وان عناصر الحضارة العربية الجنوبية ، وخاصة الفن منها مثل النحت والعمارة ، قد غرفت من مناهل يونانية — فارسية . أما ما قبل هذا الوقت ، فلم يكن لشعوب الشرق الأدنى أي أثر حضاري أو ثقافي على أهل العربية الجنوبية[1] .

وقد درست باحثة أخرى موضوع الفن العربي الجنوبي ، هي (برتا سيكال) Berta Segall . ذهب اجتهادها بها إلى أن هنالك مؤثرات حضارية خارجية أثرت على الحضارة العربية الجنوبية ، وأرجعت هذه المؤثرات إلى أثر يوناني هيلليني ، وأثر سوري حثي وأثر فينيقي وإلى عناصر حضارية أخرى . وذكرت ان هذه المؤثرات أثرت على الحضارة العربية الجنوبية ، وتولد من هذا المزيج الأجنبي والعربي حضارة العرب الجنوبيين[2] .

لقد تبين من دراسة الفخار الذي عثر عليه في العربية الجنوبية انه من صنع محلي ومن تصميم محلي أيضاً . وقد تبين أيضاً انه لا يخلو مع ذلك من المؤثرات الأجنبية التي أثرت عليه ، ولا سيما على المظهر الخارجي للفخار في مثل الزخرفة والشكل . فقد أثر الفخار العراقي والسوري على الفخار العربي الجنوبي . ويظهر من الفخار الذي عثر عليه في (هجر بن حميد) ، انه قد تأثر بمؤثرات شمالية سورية وعراقية[3] .

وتقدمت معارفنا بعض التقدم بالنسبة للفن المعماري عند العرب الجنوبيين. وتوجد

---

١ Jacqueline Pirenne, La Grèce et Sabe, Paris, 1955, The Bible and the Ancient Near East, by G. E. Wright, p. 313, 319.

٢ Berta Segall, Sculpture from Arabia Felix, American Journal of Archaeology, 59, 1955, p. 207., Ars Orientalis, II, 1957, p. 37, Promlems of Copy and Adaptation in the second quarter of the First Millennium B.C., American Journal of Archaeology, 60, 1956, p. 165, The Lion Riders from Timna, in Archaeological Discoveries in South Arabia, p. 155, The Bible and the Ancient Near East, p. 319.

٣ The Bible and the Ancient Near East, p. 320, Belletin of the American Schools of Oriental Research, 172, 1963, p. 55.

لدينا فكرة عامة عـــن فن هندسة المعابد ، أخذناها من فحص معابد (حقه) و (مأرب) و (تمنع) و (حريضة) و (خور روري) . وتقدمت معارفنا أيضاً في موضوع أبنية المقابر والأضرحة عند الجاهليين ، وكذلك عن هندســة البيوت . وقد وجــد أيضاً أن الفن المعماري قد تأثر بمؤثرات خارجية كذلك . بمؤثرات عراقية وسورية وفينيقية ويونانية ومصرية [1] .

ويظهر الأثر اليوناني على سك العملة عند العرب الجنوبيين . فقد ضرب النقد على شاكلة النقد اليوناني ، لا يختلف عنه إلا في وجود الحروف العربيـة الجنوبية على ذلك النقد . فالنقد العربـي الجنوبـي ، هو تقليد ومحاكاة للنقـــد اليوناني ، الذي ظهر في أيام (البطالمة) و (السلوقيين) ، ويكاد يكون قالباً لها ، أضيفت عليه حروف المسند . فالبومة التي تمثل (أثينا) ، والتي كانت تضرب على العملة اليونانية ، ضربت على النقد العربـي الجنوبـي ، الى غير ذلك من أمور بحث عنها علماء (النميّات) .

ولكننا لا نستطيع أن نقول اليوم ان معارفنا عن الحضارة العربية الجنوبية قـد تقدمت تقدماً مرضياً ، وانها صارت واضحة مفهومة ، وسوف تبقى معارفنا عن هذه الناحية وعن النواحي الأخرى ناقصة ما دامت أكثر الآثار مدفونة تحت طبقات كثيفة من التربة لم تلمسها الأيدي حتى الآن . لقد تقدمت معارفنا عن هذه النواحي على نحو ما ذكرت بسبب قيام بعض الباحثين المحدثين بالتنقيب في بعض المواضع بصورة جدّية علمية وبشيء من التعمق في باطن الأرض ، ويمكن أن نتصور ما سيحصل عليه الباحثون من معلومات عن الجاهلية لو سمح لهم في التنقيب بأسلوب جدي علمي في باطن الأرض وفي مواطن الآثار .

استعمل اللحيانيون لفظة (بنى) (بنا) للتعبير عن بناء شيء . وذلك كما نفعل نحن في عربيتنا . وتشمل اللفظة بناء كل الأبنية ، من بناء بيوت أو قبور أو غير ذلك . وقد وردت في عدد من النصوص [2] .

ويعبر عن المبنى بالتعبير نفسه في العربيات الجنوبية ، فيقال (مبنى) . وإذا

---

١ The Bible and the Ancient Near East, p. 320.

٢ راجع النصوص ١٦ ، ٢٦ ، ٧٤ ، ٩٠ من كتاب : W. Caskel, S. 133.

أريد التعبير عن تقديم البناء الى إلـه أو جماعة ، كأن يسمى باسم الإلـه ويحبس عليه ، فيعبر عن ذلك بلفظة (قتدم) أي قدم بهذا المعنى المفهوم منها في عربيتنا، وبمعنى أهدى[1] . وأما الفعل فهو (بنى) ، وذلك كما في هذه الجملة : « عسى وبنى »[2] ، أي « تملك وبنى » . و (هبنى) ، وذلك كما في هذه الجملة : « هبنا عقبتهن قلت »[3] ، أي « بنى قلعة قلت » . ويراد بـ (عقبت) (عقبة) القلعة . وللفظة علاقة بكلمة (عقبة) التي نستعملها نحـن بمعنى صعوبة وعائق ، ونجمعها على (عقبات) .

واستعمل اللحيانيون لفظـة (حفر) بالمعنى المفهوم من اللفظة في عربيتنا . استعملت لكل أنواع الحفر : حفر الأسس أو الآبار أو العيون ، أو الحفر على الأحجار والخشب ، لغرض النقش والزخرفة ، أو لأي هدف آخر[4] .

ويشق المعماريون أسساً في الأرض للأبنية الفخمة ، كالبيوت المؤلفة من طبقات عدة كالمعابد ، لتحمل الأرض ثقل البناء . ويختلف عمق الأساس وعرضه باختلاف سمك الجدار وثقل البنـاء . ويحفر العمال الأرض بالقدر الذي يعينه البناء ، حتى إذا ما بلغوا العمق المقرر ، وضعوا المواد اللازمة كالحجـارة أو الكلس المخلوط بمواد أخرى ، ثم يترك الأساس مدة حتى يجف ويستقر ، ثم يقام عليه الجدار . ويقال لهذا الأساس في العربيات الجنوبية (موثر)،وهي بمعنى (الأس) والأساس والأسس في عربية القرآن الكريم[5] .

وقد ورد في كتب اللغة ، (والوثير) : الفراش الواطىء ، وكذلك الـوثر كل شي جلست عليه أو نمت عليه فوجدته وطيئاً ، فهو وثير[6] .

وتؤدي لفظة (مبحر) معنى : (أساس) وسناد . فـ (مبحر) كل بناء هو أساسه وسناده في لغة السبئيين[7] .

---

١ راجع السطر الاول من النص الموسوم بـ : ثقب الحجر .
٢ راجع النص الموسوم بـ Glaser 1089, 1660, Halevy 208. وهو من معين
٣ الجملة الثانية من نص أبنة ، Rhodokanakis, Stud., II, S. 48.
٤ راجع النص ٦١ من كتاب : W. Caskel, S. 133.
٥ شرح القاموس (٩٦/٤) ، ابن سلام ، كتاب الاجناس من كلام العرب (ص ١٣) .
٦ تاج العروس (٥٩٨/٣) .
٧ Jamme, South Arabian Inscriptions, p. 439.

وترد لفظة (برا) بمعنى بنى وأنشأ وأقام وشقّ وما شابه ذلك[1] . وترد بعدها لفظة : (هشقر) في الغالب . ومن هذا الأصل لفظة : (مبرام) (مبرا) بمعنى بريء من الدين ، وبراءة الذمة[2] . وترد لفظة (برأ) في كتب اللغة بمعنى الخلق . و (البرية) : الخلق ، وأصله الهمز ، والجمع البرايا والبرّيات. والبرى: التراب[3] .

وأما (هشقر) فمعناها أكمل الشيء ، وانتهى منه ، وأتمه وغطاه وستره . وهي من أصل : (شقر) ، وترد من هذا الأصل لفظة (تشقر) و (شقرم) ، بمعنى الأعلى والنهاية ، وذلك كما في هذه الجملة : « بتوربم اد شقرم »[4] ، أي من الأساس إلى الأعلى ، أو إلى النهاية . و (ربب) معناها الأساس[5] .

أما أعلى البناء ونهايته ، أي تاجه الذي ينتهي عنده ، فيقال له (تفرع) . و (تفرع) نهاية الجدار وأعلاه ، والمكان الذي ينتهي فيه[6] .

ومن العبارات الواردة في بعض النصوص المتعلقة بالبناء ، هذه العبارة : (بن موثر هو عدي مرمن) ، وهي في معنى العبارة : (بن أشرس عد شقرن) التي ترد في النصوص المعينية ، ومعناها من (الأساس الى أعلى)[7]. فلفظة (موثر) وكذلك لفظة (أشرس) هما بمعنى الأساس أي أساس البناء ، و(عد) حرف جرّ بمعنى الى ، و (مرمن) و (شقرن) كلاهما بمعنى أعلى ، أي أعلى البناء .

ويقال لتعلية البناء (تعلى) . أما تقوية البناء والجدر وحمايتها من السقوط ، فيعبر عنه بـ (تصور) ، من أصل (صور) ومعناها وضع أوتدة وأعمدة عند

---

١ Rhodokanakis, Stud., II, S. 87.

٢ المصدر نفسه (ص ٤٧ حاشية ٤٢) . hodokanakis, Bodenwirtschaft, S. 24.

٣ شرح القاموس (٣٦/١٠) .

٤ الفقرة الخامسة من نص أبنة .

٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 486.
مجلة المجمع العلمي العراقي ، (المجلد الرابع ، الجزء الاول) ، (١٩٥٦) ، (ص ٢٠٧) « السطر ١٠٣ من نص أبرهة » ،
Mordtmann und mittwoch, Sab. Inschr., S. 45. f.

٦ راجع النص الموسوم بـ : Sab. Denkma., S., 31, CIH 325.

٧ Mordtmann und mittwoch, Alt. Inschr., S. 25.

الجدار أو البناء للتقويـــة والإحكام[1] . وهي بذلك قريبـة من معنى (الظئر) في لهجة القرآن الكريم .

ويعبر عن إتمام بناء ما أو اكمال شيء آخر بلفظة (تقه) و (قه)، بمعنى (وقه) أي أكمل وأنجز . وهي مرادفة للفظة : (تفرع) ، وللفظة (هوعب) أيضاً . وكلها بمعنى الإنجاز والإكمال والانتهاء من عمل ما . ولفظة (قه) هي من أصل (وقه) . وتعني جملة: (إتقه عن) انتهى[2] . وقد ذهب (رودوكناكس) الى أن لفظة (وكن) هي بهذا المعنى أي اكمل وانجز في بعض الأحيان[3] .

ويعبر عن اصلاح البناء وترميمه بلفظة (هحدث) ، وهي فعل ماضٍ أي (أحدث) ، ومعناها أقام ورمم وأحدث وأنشأ . أما سقوط حائط أو سقف أو ما شابه ذلك ، فيعبر عنه بلفظة (تل) و (تلت) ، ومن هذا الأصل لفظة (تلو) ، أي الخرائب والتلال ، وتقابلها لفظة (خيل) في المعينية ، و (ذخبل)[4]، أي تداعى وسقط ووقع .

وفي معنى الاصلاح والترميم أيضاً لفظة (غوث) الواردة في الكتابات المعينية[5]. وقريب من هذا المعنى معنى (غوث) في لهجة القرآن الكريم ، ففي الإغاثة معنى المساعدة والاصلاح وترميم التصدع وإصلاحه .

وترد مع هذه اللفظة لفظة أخرى ، هي (سعذب) ، وهي فعل ماضٍ بمعنى أعاد وأرجع الشيء إلى ما كان عليه[6] ، من أصل (عذب) . وأما حرف السين الداخل على أول اللفظة فإنه في مقام حرف الهاء في السببية ، يدخلان على المصدر فيحولانه إلى فعل ماضٍ .

ويقال لمقدم كل بناء (صلوتن) (الصلوة)[7] . وقد وردت اللفظة في كتابات

---

١ راجع النص الموسوم بـ : Glaser 1150, Halevy 192, 199.
وكذلـك : Rhodokanakis, Stud., II, S. 54.

٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 46.

٣ المصدر نفسه (ص ٤٧) .

٤ Rhodokanakis, Stud., II, S. 26.

٥ راجع النص : Glaser 1144, Halevy 353,
Rhodokanakis, Stud., II, S. 29, 31.

٦ Rhodokanakis, Stud., II, S. 31.

٧ Rhodokanakis, Stud., II, S. 31.

دوّنت لمناسبة إقامـــة سدود كذلك . ووردت في بعض الكتابات هذه الجملة : (بن ذت هورتن عدي صلوت بين ذن محرمن وميسلن)[1] ، ومعناها : « من هذه الجهة الخلفية الى الجهة الأمامية أو الصالة الأمامية بين هـــذا الحرم وموقد النار » .

ويقال للجهة الخلفية من البناء (هورتن) . من أصل : (ورت) ، بمعنى وراء . و (وَرَه) في لغة أهل العراق ، وذلك كما نرى في هذا النص .

وتؤدي لفظة (صلوت) معنى (فناء) أيضاً ، وقد تؤدي معنى موضع منعزل أو مكان للصلاة . وقد يراد به فِناء يؤدي إلى (مبسل) يقع مقابله تماماً[2] .

وللفظة (صلوتن) (صلت) (صلوت) معنى آخر بعيد عن هـــذا المعنى بعداً كبيراً ، هو (وثيقة) و (شهادة) و (عقد) ، فتكون في معنى (سمع) و (اسمع) التي تطلق على هذا المعنى أيضاً في العربيات الجنوبية[3] .

ويقال للبـاب (خلف) و (خلفتن) في السبئية . ويـــراد بـ (خلف) و (خلفتن) (الخلفة) الشباك كذلك[4] . وقد كان أصحاب القصور يستعملون الشبابيك كثيراً في قصورهم ، ويزينونها بالرخام الرقيق وبالزخارف لتظهر جميلة خلابة . ويقصد بـ (خلف) و (خلفتن) المنافذ الخلفية كذلك .

وتتكون الأبواب من (مصرع) ، أو من (مصرعي) ، ويراد بذلك (مصراع) واحد أو مصراعان[5] .

ويعبر عن الباب بـ (الخلف) في عربيتنا كذلك[6] . وأما لفظـــة (مصرع الباب) و (المصرع) و (مصراعا الباب) فمعروفة في عربيتنا كذلك[7] .

ويعبر عن الباب العظيم ، أو الباب المغلق وفيه باب صغير : أو عما يغلق به

---

١ Rhodokanakis, Stud., II, S. 45.

٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 46.

٣ Rhodokanakis, Stud., II, S. 44, Der Grundsatz der affentlichkeit, S. 21, 24, Stud., I, S. 63.

٤ Rhodkanakis, Stud., I, S. 70. والجملة الرابعة من نص أبنة .

٥ راجع الجملة الثانية من النص : Glaser 1144, Halevy 353.

٦ اللسان (٩٣/٩) .

٧ اللسان (١٩٩/٨) .

الباب بلفظة (رتج) (رتاج) في اللحيانية[1] . ولفظة (رتاج) لفظة معروفة في عربيتنا كذلك .

ويعبر عن السلالم والدرجات بلفظة (احلين) ، تطلق على السلالم من أية مادة مصنوعة ، من الحجر أو الخشب[2] ، كما يعبر عنها بلفظة (علوم) و (علوه) أيضاً ، لأنها طريق يؤدي إلى أعلى[3] .

ولفظة (علية) ، والجمع (علالي) ، هي عند أهل الحجاز بمعنى غرفة أيضاً ، والجمع (غرف) و (غرفات) . وقد وردت لفظة (غرف) و (غرفات) في القرآن الكريم[4] .

وعبر عن السقف وسطح البناء بلفظة (ظلتن) و (ظلل) أي (الظلة)[5] و (الظل) . وذلك لاستظلال الإنسان بالسقوف وحمايتهـا للبيوت والغرف من وهج الشمس .

ويعبر عن الشيء المسقوف مثل ذي سقف أو ما شابه ذلك بلفظة (مسقفن)[6] ، أي (المسقف) ، من أصل (سقف)[7] . ووردت لفظـة (مسقف) بمعنى الموضع المسقوف[8] .

ويعرف المكان الذي ينفذ منه النور الى مكان ما (مصبح) في الحضرميـة . ويمكن أن نقرأها (مصباح) كذلك . فالمصبح الكوة أو النافذة التي ينفذ منهـا النور الى مكان ما . والنور هو (صبحت) في الحضرمية ، وذلك كما ورد في هذه الجملة : (صبحت عينو)[9] ، أي (نور عينه)[10] .

---

١ النص رقم ٢٢ و ٨٥ من كتاب : W. Caskel, S. 134.

٢ راجع الجملة الرابعة من النص :
Glaser 1144, Halevy 353, Rhodokanakis, Stud., II, S. 29, Glaser 283, Halevy 238.

٣ Rhodokanakis, Stud., S. 47.

٤ البيان (١٩/١) « لجنة » .

٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 29, 30, 54.

٦ CIH, 182.

٧ Mordmann, Himj. Inschr., S. 36.

٨ Glaser, 799, CIH 132, Rhodokanakis, Stud., II, S. 34.

٩ Oslander 29.

١٠ Rhodokanakis, Stud., II, S. 28.

وأما الموضع الذي ينفذ النور اليه ، ويستقر فيه ، وقد يكون مسقوفاً وربما لا يكون مسقوفاً ، فيقال له (منحل)[1] . وعلى هذا المنحل يكون المصبح أي المنفذ الذي ينفذ النور منه[2] .

ويعبر عن الجدار والسور بلفظة (جنا) في لغة المسند[3] .

وقد فسر بعض علماء العربيات الجنوبية لفظة (بره) بمعنى مجاز[4] . ومن هذا الأصل أخذت كلمة (ابرى)[5] ، ولعلها تؤدي معنى خارج كذلك .

وترد لفظة (أدرف) في مصطلحات البناء كذلك[6] ، وتعني طرف البناء ، وطرف كل شيء . وقد استعملت للتعبير عن تحصين جانب القلعة أو الحصن مثلاً ، أو تحصين جوانب وأطراف برج ما[7] .

ويعرف مقدم البناء أو مقدم أي شيء بـ (قدم) وبـ (انف) . أما الجهة المضادة للمقدمة فيقال لها (معذر) ، فمعذر أي بناء أو أي شيء هو الجهة الخلفية لذلك البناء أو لذلك الشيء ، كما تطلق هذه اللفظة على الأسوار الخلفية للمدينة[8] .

ويقال للطابق الأعلى من البناء (علوهو) (علوه)[9] ، و (علين) (عليان)، لعلوّه بالقياس إلى الطابق الذي تحته . أما الطابق الأسفل ، فيقال له (سفله) (سفلهو)[10] .

ويقال للبيت إذا كان فوق البيت (علية) والجمع (علالي) . وتقابل لفظة (علية) لفظة (غرفة) والجمع (غرف) و (غرفات) . والغرفة عُلّية من

---

١ راجع الجملة الثانية من النص : Glaser 1089, 1660, Halevy 208.
٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 26.
٣ راجع أيضا الجملة الثالثة من نص أبنة .
٤ Rhodokanakis, Stud., II, S. 36.
٥ المصدر نفسه .
٦ Müller, in DMG., 37, 383, Rhodokanakis, Stud., II, S. 36.
٧ CIH, 197, Glaser 181, Rhodokanakis, Stud., II, S. 36.
٨ Rhodokanakis, Stud., II, S. 64.
٩ راجع النص الموسوم بـ : CIH 325, Rhodokanakis, Stud., II, S. 46 f.
١٠ المورد نفسه .

البناء . وسميت منازل الجنة (غرفاً)[1] .

ويعبر عن العمل الفني المتقن بلفظة (نكل) ، ومن هذا الأصل لفظة (نكلو) و (نكلتو) في الأشورية[2] .

وقد كان أصحاب الأبنية يذكرون المواد التي استخدموها في الأبنية بكل تفصيل لا يكتفون بذكر أسماء المواد حسب ، بل يذكرون حتى صفاتها . فإذا كان الحجر غير مهندس ولا مصقول ذكروه ، وإذا كان مصقولاً ومهندساً ومقطوعاً عبروا عن ذلك بلفظة (تقرم)[3] .

ويقال للحجارة الحادة أو الملساء (زلت) ، وهي تقابل لفظة (زلّة) في لهجتنا[4] وهي بمعنى أرض ذات حجارة ملساء أو حادة في اللهجتين المعينية والسبئية كذلك ، وتعني لفظة (صلال) ألواحاً من الحجر في اللهجة الحضرمية . وأما الجمع فهو (ازلت)[5] .

وتؤدي لفظة (زلت) معنى سيلان الزفت أو القار على أرض ما كأرض غرفة مثلاً أو أرض شارع أو حمّام لتبليط الأرض بهذه المواد . وذلك كما يفهم من هذه الجملة : (زلت أوسطهس) أي (وزفت أو وقير الأواسط) ، ويراد بالأواسط وسط الأشياء أو الشيء[6] .

ويقال للحجارة المكسرة الناتجة عن تكسير الأحجار الأخرى أو عن القلع (جرم) (جرب) . ويراد بها الحجارة المقطوعة أيضاً . وتوضع هذه الحجارة في أماكنها على نحو ما قلعت من المقلع ، فلا تصقل ، ولا تمسها آلات الصقل . أما الحجارة المقلوعة التي تصقلها الأيدي وتنقحها ، فتعرف بـ (منهمّ) (منهمة) . وتبنى هذه الحجارة مع الحجارة الأخرى ، وتوضع بينها مواد البناء التي تلزم تلك الحجارة . والعادة هي أن توضع الحجارة المصقولة المعمولة المهندسة

---

١ البيان والتبيين (١/١٩) « لجنة » ، المفردات (ص ٣٦٥) .

٢ Rhodokanakis, Stud., I, S. 26.

٣ راجع الجملة الثانية من النص الموسوم بـ : Glaser, 1089, 1660, Halevy 208.

٤ CIH, II, p. 23, Rhodokanakis, Stud., II, S. 35.

٥ راجع الجملة الثالثة من النص : Glaser 144, Halevy 353.

٦ Rhodokanakis, Stud., II, S. 36.

في جبهة الجدار لتكسبه منظراً جميلاً حسناً ، توضع وراءها الحجـارة الأخرى المقطوعة ، وذلك لأن صقل جميع الحجارة التي تدخل في البناء يستنفد وقتاً كبيراً كما يكلف ثمناً باهظاً . ويضع المعمار الحجارة بالطبع وضعاً متناسباً بحيث لا تكون مرتفعة أو منخفضة وتملأ الفرج ومواضع اتصال الحجارة بمواد البنـاء التي تلزمه وتمسكه بين الحجارة[١] .

وقد توضع الحجارة لـ (جرب) على شكل طبقة واحدة في الجدار أو عـلى هيأة طبقات وصفوف للزينة . ونجد هذه الطريقة في أبنية الحبشة كذلك[٢] .

ومن هذا الأصل جاءت لفظة (جربة) و (جروب) بمعنى المدرجات التي يضعها الفلاحون على الجبل ، وذلك لزرعها بأنواع المزروعات ، ولا سيما الكروم[٣]. وكذلك الأسوار التي تحيط بالبساتين .

وهناك من يرى أن (منهمّ) من (منهمت) (منهمة) تعني على العكس الحجارة المقلوعة غير المصقولة . و (حجر منهوم) بمعنى مقطوع غير مصقول[٤].

وهناك لفظة أخرى تطلق على الحجارة المنحوتة المهندسة باليد هي (تقرم) من أصل (تقر)[٥] . وهناك نوع آخر من الحجر يقال له (بلق)[٦] . وقد ذكر علماء اللغة أن (البلق) الرخام وحجارة باليمن تضيء ما وراءها كالزجاج[٧] .

ويعبر عن قطع الحجارة من الصخر وعن صقلها لجعلها صالحة للبناء ، بلفظة (اثع) في اللحيانية[٨] . وأرض اللحيانيين أرض صلدة صخرية ، لذلك استخرج اللحيانيون حجر أبنيتهم منها فبنوا بها بيوتهم ، كما نحتوا الصخور وجعلوها على هيأة كهوف لكي تكون ملاجيء لهم .

---

١ Rhodokanakis, Stud., II, S. 43.

٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 44.

٣ Rhodokanakis, Stud., II, S. 43, SE 48, 92, Ryckmans 340, BASOR, Nu. 83, 1961, p. 24.

٤ Glaser Zwei Inschriften, 47, Rhodokanakis, Stud., II, S. 47. f.

٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 54, 63.

٦ المصدر نفسه (ص ٦٤) .

٧ شرح القاموس (٦/٢٩٨) .

٨ النص ٧٢ من كتاب : W. Caskel, S. 110.

ويعبر عن تكسير الصخور وثقبها وعمل خرق بها بلفظة (جوبن) ، وتعني (الجوب) . والجوب هو عمل نقب في الحجر ، أو ممر . وأما لفظة (جوب) فجمع (جوبة) ، ويراد بها الفراغ بين شيئين[1] .

ويُستعان بفؤوس ومطارق في تكسير الحجارة وهندستها واصلاحها لتتخذ الشكل المطلوب . فتستخدم المطارق الثقيلة في كسر الحجارة . وتكون ذات رؤوس مختلفة الأشكال تناسب المهمة التي تؤدى بها . وتستعمل الفؤوس في هندسة جوانب الحجارة وصقلها ، وهي ذات أشكال مختلفة كذلك ، ، منها ذات رأس حاد نابت يتصل بقاعدة عريضة وتستخدم في نقر الحجارة ، ومنها ذات رأسين حادين عريضين ، ولها خصر في الوسط وتستخدم في شذب أطراف الحجارة وصقلها . ولا تزال هذه المطارق والفؤوس مستعملة في مثل الأعمال التي قام بها الجاهليون .

ويعبر عن تزيين الحائط وزخرفته بالحجارة أو بالأخشاب التي يوضع بين حجر الجدار وطابوقه بحيث تبرز للعيان وتوضع في أبعاد متناسقة ، يعبر عن ذلك بلفظة (موسم) . ومن هنا لفظة (وسم) التي تعني التزيين والتزويق أيضاً[2] . فلفظة (موسم) تعني الزخرفة والنقش في البناء[3] .

وأما الحجارة المصنوعة وما يقال له (طابوق) في العراق ، أي الحجارة المكوّنة من الطين المشوي ، فيقال لها (لبَم) (لبت)[4] . ويراد بها اللبن كذلك أي الطين المجفف . وعادة مزج الحجارة المصنوعة أي الطابوق بالحجارة الطبيعية المقلوعة سواء أكانت مصقولة أم غير مصقولة هي عادة معروفة في البناء في الشرق[5] .

وأما اللبن ، أي الطين المجفف بالهواء وبأشعة الشمس والمصنوع بقوالب ولكنه لم يوضع في النار لإحراقه ، فيقال له : (لبن) أيضاً . وقد ورد (لبن شمس) أيضاً[6] . ويطلق العبرانيون لفظة لبنة على اللبن ، وعلى الطابوق أي اللبن المفخور بالنار .

---

١ Rhodokanakis, Stud., II, S. 26.

٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 63.

٣ المصدر نفسه (ص ٦٤) .

٤ راجع النص الموسوم بـ : CIH 325, Sab. Denkm., 31.

٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 43, 54.

٦ راجع الجملة الخامسة من النص ، Hommel, Aufs. und abh., S. 167, anm. 5.

وقد عثر المنقبون على لبن جاهلي في أماكن متعددة من جزيرة العرب . وقد كان أهل الحجاز يستعملونه في أبنيتهم ، لم ينفردوا بالطبـــع في ذلك وحدهم ، بل كان يفعل ذلك كل الجاهليين ، وقد بني مسجد الرسول باللبن . وكان الرسول ينقله مع الناقلين وهو مختلف الحجم . بعضه واسع ثخـــين ، وبعضه متوسط أو صغير . ويكثر استعماله في الأمكنة التي تقل فيها الحجارة ، وتتقلب عـلى طبيعة أرضها التربة الطينية ، فيكون من السهل على أهلها اقامة ابنيتهم باللبن بارتفاعات مختلفة تبعاً لمتانة البناء ورغبة صاحب البناء في الارتفاع . وقد عثر على آثار قلاع وحصون وأسوار بنيت باللبن . ويمكن لمثل هذه الأبنية البقاء مدة طويلة ، لجفاف أجواء الشرق الأوسط وقلة الأمطار فيه ، ولا سيما اذا كانت ذات أسس وقواعد وجدر ثخينة وفي أماكن جافة بعيدة عن رطوبة الأرض .

أما الطابوق ، أي الآجر ، فيتكون من طبخ اللبن في الكورة أي الأتون ، أو بتكديس اللبن طبقـــات وصفوفاً ، ووضع الوقود بينها ، فإذا اشتعلت النار يضلد اللبن ويشوى فيكون آجراً . وطريقة صنع الآجر بإحراق اللبن في الأتون ، لا تزال شائعة معروفة في جزيرة العرب . وهي طريقة صنع الطابوق عند الفراعنة والسومريين والأشوريين والبابليين وغيرهم من الشعوب .

ولم يكن في استطاعة الفقير بناء بيته باللبن أو بالطابوق ، بل كان يشيد بيته بنفسه بالطين ، فيقيم جدره بالطين طبقة طبقة ، اذا جفت طبقة وضع فوقها طبقة أخرى ، وهكذا ، ويسقف بيته بالأغصان ، وبسعف النخل ، ويضع فوقها طبقة من الطين لتخفف عنه وهج الحرّ في أيام الصيف ، وتمنع عنه سقوط المطر عليه عند نزوله . أما الأعرابي فلم يكن له بيت دائم ، لا من الآجر ولا من اللبن، بل كان بيته خيمة تتنقل معه حيث يشاء ، يستظل بها وينام تحتها ، فهي بيتـــه الحقيقي .

ويقوّى الطين الذي يصنع منـــه اللبن أو تقام به جدر البيوت أو تفرش به سقوف البيوت بالتبن ، يخلط مقدار مناسب منه بالتراب ، ثم يعجن الخليط ويترك مدة حتى يختمر ، ثم يستعمل عندئذ ، فيكون أقوى وأدوم بقـــاءً من اللبن أو الطوف المصنوعَين من التراب الصرف . وهذه الطريقة معروفة أيضاً عند العراقيين والمصريين وعند غيرهم من الشعوب في العهود القديمة ولا تزال مستعملة عنـــد

حَفَدَتهم . ويعرف التبن بـ (تبن teben) عند العبرانيين[1] .

وتطين جدر البيوت الفقيرة والريفية بالطين ، وذلك لتكون مُلْساً خالية من الثقوب . ويستعمل الطيّانون آلة تسمى المِسجة . ويذكر علماء اللغة أنها يمانية ، وأنها خشبة يطين بها ، وهي الماجة بالفارسية . ويعبر عن تطيين الحائط بلفظة وسج ، وذلك اذا مسج الحائط بالطين الرقيق . وقد ذكر علماء اللغة أن السجة والسجة صنمان[2] .

ويقال للحجارة المربعة ، سواء أكانت مقلوعة أم مصنوعة ، (ربعتم) (ربعت) (ربعة) أي (مربعة)[3] . وهي تدخل في البناء إما مستقلة ، وإما مع أنواع أخرى من الطابوق والحجارة . وقد توضع على مسافات وأبعاد متناسبة ومتناسقة ، لتكوّن نوعاً من أنواع الزخرف في الجدر . وقد ذكر (الهمداني) في صدد ذلك هذه الجملة: « المكعب وذلك بكعاب خارجة في معارب حجارته على هيأة الدروق الصغار »[4] . وهذا النوع من الزخرفة معروف في اليمن . أما في الحبشة ، فقد كانوا يضعون حجارة منحوتة على هيأة رؤوس قردة للزينة[5] .

ويعبر عن إدخال الحجارة بين حجارة أخرى للزينة أو الزخرفة أو ملء الفراغ بين جبهتي جدار بحجارة صغيرة لسدّ الفراغات (ولج) . أما (مولجم) (مولج)، فتعني الموضع الذي وضعت تلك الحجارة فيه[6] . والايلاج هو إدخال شيء في شيء.

وأما الحفر على الحجر أو الجدار ، بقصد التزيين والزخرفة ، فيعبر عنه بلفظة (فتخ)،وتقابل بلفظة (بتاخو Patahu) . والحفر والنقش العميق على الحجارة والطابوق من مذاهب التزيين المتبعة في الشرق حتى الآن . وقد ذهب (رودوكناكس) إلى أنها تعني معنى (ولج) كذلك ، أي ادخال الحجارة المحفورة والمنقوشة والمنحوتة بين حجارة جدار ما مثلاً للتزيين والتزويق[7] .

---

١ Smith, Vol., III, p. 1386.
٢ شرح القاموس (٢/٥٦) .
٣ CIH 325.
٤ الاكليل (٨٠) « طبعة Müller »
٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 44.
٦ Rhodokanakis, Stud., II, S. 43.
٧ Rhodokanakis, Stud., II, S. 43.

وتؤدي لفظة : (فلزتم) (فلزت) (فلزة) ، معنى : أبعاد وطريق جانبي واخلاء وحفر ونقب . وقد أريد بها عمل ثقب في جدار في بعض الكتابات[1].

وكان من عادة أهل اليمن صهر الرصاص وصبه بين حجارة الأعمدة وفي أسسها ، وذلك لربطها وتقويتها ، ويقال لذلك : (صهرم)[2] من (صهر) ، التي تعني جعل الرصاص مائعاً يصب في المكان المراد تقويته أو تثبيته ، أو لأي غرض آخر من هذ الصهر . وقد استعملوا الرصاص المصهور في سدّ (مأرب) كذلك ، استعملوه مادة ماسكة تمسك بعض الصخور التي تؤلف الجدر الأمامية وفي مواضع أخرى منه[3] .

وقد استعمل المهندسون العرب الجنوبيون (القيطران) القار في البناء . استعملوه خاصة في الأماكن الرطبة والتي تسيل عليها المياه وفي الأسس لمنع الرطوبة ، كما استخدموه في رصف الشوارع ورصف قيعان السدود . فقد وجدت آثار قيعان بعض السدود وهي مرصوفة ومكسوة بطبقة من القطران .

وفي معنى (قطر) ترد لفظة (قتر) ، و (قتر) أيضاً . و (القتار) بمعنى الدخان . ومن هذا المعنى جاءت جملة: (قتر اللحم) أي شُوي وظهرت رائحته . وفي معنى (قطر) لفظة (هيع) أيضاً . ومعناها (سال) و(ماع). ولهذا استعملت في النصوص ذات الصبغة الدينية في القرابين حيث تسيل دماؤها ، وفي الري لسيلان الماء ، وفي صهر المعادن[4] .

وفسر بعض الباحثين لفظة (هيع) ، بمعنى بنى ، أي أنشأ بناءً ، وفي مقابل لفظة (برا) في المسند[5] .

واستعملت مواد دهنية مستخرجة من زيوت بعض الأشجار في منع الرطوبة أو الماء من التسرب الى الأسس والجدر والسقوف .

والخشب هو (عض)[6] في العربيات الجنوبية . وقد استعمله العرب الجنوبيون

---

١ Rhodokanakis, Stud., II, S. 47.
٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 48.
٣ Wissmann-Hofner, S. 25.
٤ شرح القاموس (٤٧٩/٣) ، Rhodokanakis, Stud., II, S. 168.
٥ Jamme, South Arabian Inscriptions, p. 427, 433.
٦ Rhodokanakis, Stud., II, S. 26.

في تسقيف بيوتهم ، ولعمل الأبواب ، كما أدخلوها في البناء كذلك لتقويتـــه . أما لفظة (عضن) (العض) ، فقد ذهب (رودوكناكس) الى أن المراد بها نوع خاص من الخشب ، نوع ذو رائحـــة زكية ، يستعمل خاصة للحرق في مذابح المعابد[1] .

ويلاحظ من فحص بقايا بعض الأبنية القديمة من عهود ما قبل الاسلام أنهـــا خالية من المواد الماسكة التي توضع عادة بين الحجر لتثبيته بعضه على بعض . ومعنى هذا أن المهندسين المعماريين كانوا قد وضعوا هذه الحجارة بعضها فوق بعض على نحو يجعلها كأنها متداخلة بعضها في بعض فتثبت مدة طويلة وتتماسك وتصبح وكأنها قد لصق بعضها ببعض بمادة من المواد المستعملة في العادة في تثبيت الحجارة مثل الجص أو الكلس أو الطين ، ويسمى بـ (الخلب) عند أهل اليمن اليوم[2] .

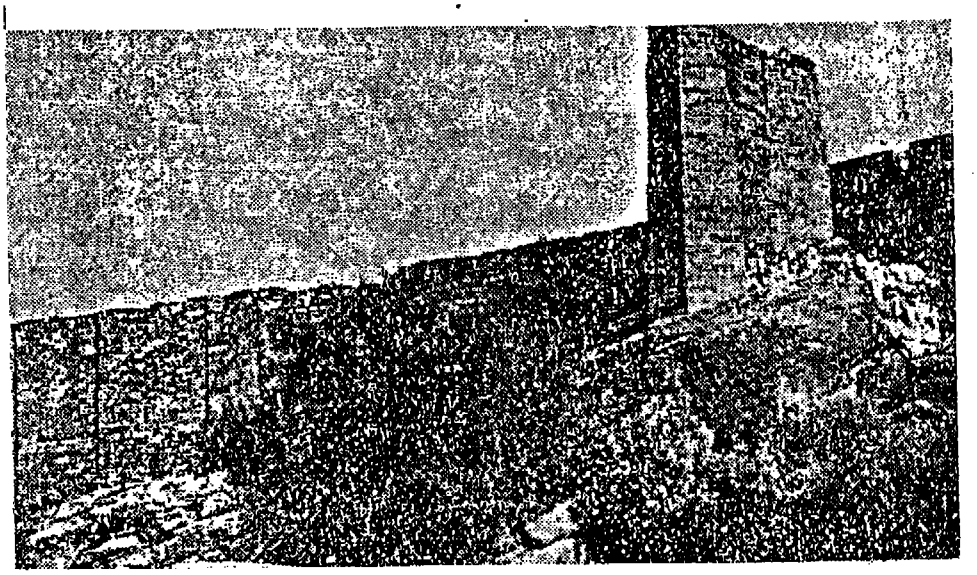

من بقايا سد مأرب

من كتاب : Qataban and Sheba (ص ٢٢١)

والحجارة التي أقصدها هي صخور اقتطعت من الجبال ، وأكثرها هي صخور كبيرة وهي بعد أن تسوّى وتشذب وتهذب يوضع بعضها فوق بعض بحيث تثبت

---

١ المصدر نفسه (ص ٣٩) .

٢ المعظم (ص ١٣٣) .

بعامل الثقل وبهذه الطريقة تقام الجُدُر، ويجري ذلك في المباني الضخمة الكبيرة التي تستعمل فيها الصخور . وأما أوجه الجدر من الداخل فقد تملج بمادة كالجص لتجعلها مُلْساً ناعمة ، وبذلك تسد الفرج بين محال اتصال الصخور .

واستعملت في مباني أخرى المواد البنائية التي توضع بين الآجر والصخور الصغيرة والحجارة لتثبيتها ولضمان تماسكها . ومن هذه المواد الجص والطين والكلس، وقد تكحل الفواصل التي بين الأحجار بالكلس وبالجص لسدّ الفرج بينها وللزينة أيضاً . وأما الجدر الداخلية فتكسى بطبقة لتجعلها جميلة مُلْساً على نحو ما يفعله أهل اليمن وما يفعله غيرهم في الزمن الحاضر . وقد وجدت البعثات الأثرية التي نقبت في العربية الجنوبية بقايا جدران بيوت ، وقد كسيت بطبقة ملساء من الجص، تدل على مهارة البناء في ذلك الوقت . وقد تزخرف المواضع البارزة من الجدار بزخرف يصنع بقوالب خاصة توضع عليها المادة اللينة التي يراد زخرفتها ، فإذا جفت رفع القالب عنها ، فتظهر بارزة بالحفر التي تكون حولها .

وتكسى الجدر الخارجية للبناء بالجص والكلس في بعض الأحيان . فإذا كسيت بالجص ، ظهرت بيضاً ترى من مسافات بعيدة ، جاء في شعر لعدي بن زيد :

شاده مرمراً وجللـه كِلْساً فللطير في ذراه وكـور[1]

وقد ورد أن الجص لغة ، والعرب تسميه القصة[2] .

ولم يكتفِ المتفنن العربي الجنوبي بإقامة الأبنية حسب ، بل استخدم الحجارة للتعبير عن شعوره وعن خواطره ، ينحتها على الصخور ويبثها على ألواح الحجر. وإذا كان العربي الصحراوي قد عبر عن شعوره وعن خواطره بالشعر ينظمه أبياتاً أو مقاطع أو قصائد ، يسر نفسه بها ، ويسر الآخرين ، فقد عبر العربي الجنوبي عن مشاعره وخواطره بنوع آخر من الشعر ، هو الشعر المادي المتمثل في البناء وفي النحت والتصوير بالإضافة الى الشعر المعروف الذي لم يترك لنا أثراً مكتوباً منه ويا للأسف .

---

١ الكامل (١/٥٩) .

٢ شمس العلوم (حـ ١ ق ٢ ص ٢٧٩) .

والعربي الجنوبي متفنن بطبعه مذواق ، لم يكتف بهندسة الحجارة وصقلها وتزيينها ، بل اهتم بالألوان كذلك وبالمظاهر الخارجية للبناء . فاتخذ الحجارة الملونة للبناء ، وكوّن منها مناظر متعددة الألوان ، محاكاةً للطبيعة ، وتأثيراً على النظر. وبنى جدران قصر غمدان من حجارة ذات ألوان مختلفة ، فبنى سافاً بالحجارة البيضاء ، وبنى سافاً آخر بحجارة سُود ، وبنى سافاً ثالثاً بحجر أحمر ، وسافاً آخر بحجر أخضر[1] وهكذا ، وذلك إمعاناً في التفنن وفي التزويق ولا شك . وكسا السقوف والأبواب والأعمدة وبعض الجدران بصفائح الذهب والفضة وبالحجارة الكريمة وبسن العاج والأخشاب الغالية الثمينة، فأكسب البناء روعة وجمالاً وخشوعاً. ونجد ذلك في المعابد وفي القصور[2] .

واستعمل المعمار العربي الجنوبي الرخام لإكساء أوجه الجدران أو في فرش أرض الغرف والمعابد ليكسبها بهجة وجمالاً ، واستعمله ألواحاً رقيقة تزخرف بالصور والنقوش ، لتعبر عن مباهج الحياة ، كما استعمل ألواحاً رقيقة شفافة منه لتكون مكان الزجاج المستعمل في النوافذ في وقتنا الحاضر . ولا يزال أهل اليمن يستعملون الرخام المرقق في نوافذهم ، توارثوا ذلك عن آبائهم وأجدادهم، وهو يعطي النافذة رونقاً وجمالاً لا يتوافران في الزجاج .

وتكون النوافذ والشبابيك في جدار الغرفة المطل على صحن الدار . أما الجدر المقامة على الطرقات والأزقة ، فتكون خالية منها وذلك لئلا ينفذ منها اللصوص أو الأعداء الى الدار ، وليمنع المارة من التطلع الى داخل الغرف والبيوت . أما البيوت المرتفعة المكونة من طابقين فأكثر، فقد حليت بالنوافذ ، ومن هذه النوافذ ما كان يصنع من الخشب ومنها ما كان يصنع من الحجارة ، ولا سيما الرخام . وجعل العربي الجنوبي الطوابق العليا مواضع للدفاع عند الحاجة ، ولا سيما في الأماكن المنعزلة النائية ، وجعل لمزارعه مواضع مرتفعة مبنية أو من الأخشاب أو على الأشجار لمراقبة من يحاول السرقة وسلب الفلاح ثمار أتعابه .

والنافذة ضرورية جداً بالنسبة للأبنية العالية التي عرفت بها العربية الجنوبية ،

---

١ D.H. Müller, Burgen und Schlösser, I, S. 348.

٢ Strabo, X, 778, Hand. der altar, altir., I, S. 146.

وذلك للدفاع بواسطتها عن البيوت ولدخول النور والهواء اليها ، وقد صنعت من لوح مرقق من الرخام ، عملت فيه ثقوب ، لدخول الهواء منها . وتعمل الألواح المصنوعة من الرخام ألواحاً رقيقة جداً ، وقد تكون شفافة كالزجاج ، لتنـــير الغرف . ولا تزال نوافذ بيوت العربية الجنوبية محافظة على طرازها القديم . وقد استخدمت بعض النوافذ الجاهلية في البناء . وقد صنعوا النوافذ من الخشب أيضاً، زخرفوها بزخارف جميلة وأحاطوها بأحجار أو بمرمر لتمسكهـــا ولتعطيها منظراً جميلاً .

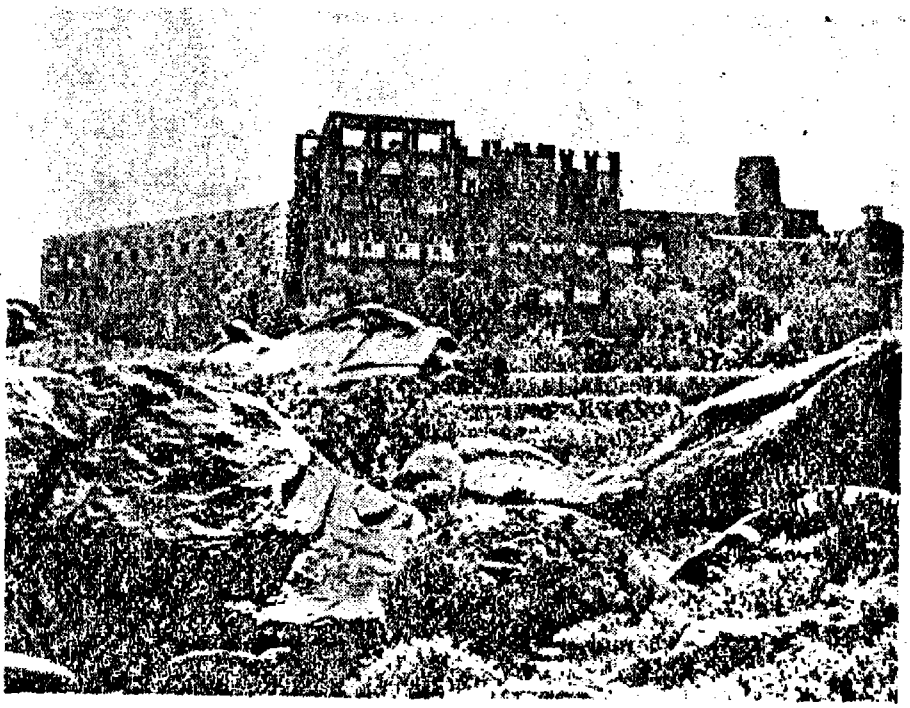

قصر الامام أحمد بمدينة « تعز » ، وترى نوافذه وهي ذات طابع يماني قديم
من كتاب : Gunther Pawelke, Jemen. (ص ٥٧)

ويعبر في اللحيانية بلفظة (بت) ، أي (بيت) عن معنيين ، عن معنى (بيت) ، أي موضع سكن ، وعن معنى معبد . وذلك كما في هذه الجملة : « بنيو بت هصن لذ غبت »[1] ومعناها : « بنوا بيت هصن لذي غابـــة » ،

١ النص رقم ٢٦ من كتاب : W. Caskel, S. 88.

و (ذو غابة) هو إلـه اللحيانيين ، أو بتعبير آخر : (بنوا معبد هصن للإلـه ذي غابة) .

ويعبر عن البناء والبناية بلفظة (مبنى) في لغة سبأ[1] . وهي من أصل (بنا) (بنى) .

وقد ذكر علماء اللغة اسماء الدور بحسب نوع بنائها من حيث المادة أو المساحة أو الارتفاع وغير ذلك . ويقال للدار المنزل كذلك والدارة والمنزلة والمباءة والمَعان والوطن والمغنى والمثوى والمربع[2] . والصرح هو كل بناء مرتفع . وأما الأطم والأجم فالحصن .

والدار المسكن والبيت،وترد اللفظة في النصوص اللحيانية ، قال (ابن الكلبي) : « بيوت العرب ستة : قبة من أدم ، ومظلة من شعر ، وخبـاء من صوف ، وبجاد من وبر ، وخيمة من شجر ، وقنة من حجر ، وسوط من شعر ، وهو أصغرها » . وقال البغدادي : الخباء بيت يعمل من وبر أو صوف ، أو شعر، ويكون على عمود أو ثلاثة ، والبيت يكون على ستة أعمدة الى تسعة . والخيمـة في عرف العرب : كل بيت من بيوت الأعراب مستدير ، أو ثلاثة أعـواد أو أربعة يلقى عليها الثمام ويستظل بها في الحر ، أو أعواد تنصب وتجعل لها عوارض وتغلل بالشجر فتكون أبرد من الأخبية . أو عيدان تبنى عليها الخيام ، أو مـا يبنى من الشجر والسعف يستظل به الرجل اذا أورد إبله الماء. والخيمة عند العرب البيت والمنزل وسميت خيمـة[3] لأن صاحبها يتخذها كالمنزل الأصلي . وورد أن الخيمة لا تكون إلا من أربعة أعواد ، ثم تسقف بالثمام ولا تكون مـن ثياب ، وأما المظلة ، فمن الثياب وغيرها[4] .

و (القبة) من البناء ومن الأدم . وقيل : القبة من الخباء بيت صغير مستدير وهو من بيوت العرب[5] . و (المظلة) : الكبير من الأخبية ، قيل : لا تكون إلا من الثياب ، وهي كبيرة ذات رواق ، وربما كانت شقة وشقتين وثلاثاً ،

---

١ Jamme, South Arabian. Inscriptions, p. 439.
٢ بلوغ الارب (٣/٣٨٩ وما بعدها) .
٣ تاج العروس (١/٥٢٩) ، (بيت) .
٤ تاج العروس (٨/٢٨٥) ، (خيم) .
٥ تاج العروس (١/٤١٩) ، (قبب) .

وربما كان لها كفاء ، وهو مؤخرها . قال بعض العلماء لا تكون المظلة إلا من الشعر خاصة . إلى غير ذلك من آراء[1] . والخباء : ما يعمل من صوف أو وبر ، وقد يكون من شعر ، وقد يكون على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق ذلك ، فهو بيت[2] .

ويظهر من تضارب آراء العلماء في تعريف الأسماء المذكورة ، انهم أخذوا معانيها من موارد مختلفة من رعاة ومن شبه حضر ومن أعراب ، ومن جهات مختلفة ، فكان كل مورد يفسر الشيء تفسيراً يختلف عنه عند مورد آخر ، فتضاربت من ثم تلك الآراء .

ويقال لصحن الدار : حُرّ الدار وقاعتها وباحتها وساحتها وصرحتها وبحبوحتها. وفي الدار البيت . والمخدع ، وهو البيت في البيت ، والنفق والسرب ، فالبيت تحت البيت ويتألف البيت من غرف . والغرفة في أعلى هي (العلية) والجمع علالي. والخزانة هي التي يحفظ فيها الشيء . والمرقد ، هو المضجع[3] .

وما يحيط بالبناء هو الحائط والجدار . والأُس هو أصل الحائط . والرهص ، هو البناء من الطين الموطوء ، ينضد بعضه فوق بعض ، ويقال للنضدة الواحدة دمص ، أما النضدة السفلى ، فيقال لها رهص[4] . والخط الواحد من الحائط ساف ، ويقال للصف الواحد من اللبن أيضاً ساف[5] . وإذا أقيم الآجر بعضه فوق بعض ، فهو السميط[6] . ويقال للحائط حين يبلغ العقد أو التقيف أو التقبيب ، ارتفع الحائط . ويقال للعقد : عقد الأزج وللبيت مغمى إذا سقف بالخشب ، وبيت مقبب إذا كان ذا قباب . أما إذا كان على هيأة السنام ، فيقال له بيت مسنم. والبرزخ الفرجة بين الأزجين في صهوة البيت ، والهدف ترس الأزج .

وتقوى الجدر بالأوتاد ، وذلك برز الوتد في الحائط عند البناء ، وقد عثر

---

١ تاج العروس (٧/٤٢٧) ، (ظلل) .
٢ تاج العروس (١/٦٠) ، (خبأ) .
٣ بلوغ الارب (٣/٣٨٩) .
٤ « والدمص بالكسر : كل عرق من الحائط خلا العرق الاسفل فانه رهص » شرح القاموس (٤/٣٩٦) ، بلوغ الارب (٣/٣٩٠) .
٥ شرح القاموس (٦/١٤٧) .
٦ شرح القاموس (٥/١٦١) .

على أوتاد من الخشب مرزوزة في بقايا أبنية السبئيين والمعينيين وغيرهم لتقوية الجدر ، أو لاستعمالها لأغراض أخرى ، مثل تعليق أشياء عليها، أو استعمالها بمثابة السلالم للتسلق إلى أعلى .

وفي الدار الصُّفَّةُ ، وتسمى بحسب الجهة المتجهة اليها . ويقال صفة فراتية إذا كانت الشمس لا تقع فيها رأساً . و (المقنوءة) مكان ظله دائم ويكون بارد الهواء . والزاوية ملتقى الحائطين في البيت . والكوة الثقب في أعالي البيت . ويقال لها الشاروق . والمشكاة التي في الحائط . ويقال لها الأوقة ويقال بيت مأوَّق[1] .

ويقال للسطح الإجار والصهوة . وسقف البيت أعلاه الداخل . وأما سمكه ، فما كان بين قراره الى سقفه . والطّاية السطح . والدرج المرتقى الى السطح إن كان من خشب دعي بـ (سلم) . وكل مرقاة عتبة . والفرغ الخلاء بين المرقاتين. والعلاوة هي أعلى الحائط الذي لا يغمى . والتفاريج والطنف آجر أو نحوه يجنح به أعلى الحائط ليقيه المطر أن يسيل عليه . وهو الكثة والافريز . والهرادة من الخشب لأعالي الحيطان ، والنجيرة سقيفة بخشب لا يخالطها غيره[2] .

ويسقف البيت بالخشب ، يوضع عليه عُرضاً ، ويسمى (العراص) ، ثم تلقى عليه أطراف الخشب الصغار[3] . وقد يطيَّن ، أو يجصّص ، أو يبنى فوقه ليمنع المطر من السقوط من خلال الخشب على البيت ، وحرّ أشعة الشمس من النفاذ اليه .

وكانت بيوت أزواج النبي من اللبن ، ولها حجر من جريد مطرورة بالطين، وعلى أبوابها مسوح الشعر[4] . وهذه كانت صفة معظم بيوت أهل يثرب والمدينة، ما عدا بيوت الأثرياء ، فقد كانت من حجر وكلس ولها كل وسائل الترفيه والراحة المتوفرة بالقياس الى ذلك الزمان .

واللبن جمع لبنة . وأما الذي يعمل اللبن ، فهو اللبان . واللبن الآلة التي

---

١ بلوغ الارب (٣/٣٩٠) .
٢ بلوغ الارب (٣/٣٩١) .
٣ البرقوقي (ص ١٣٧) .
٤ طبقات ابن سعد (١/٤٩٩ وما بعدها) .

يضرب بها . والسابل ، الأداة التي ينقل عليها . والسميقـان والأسمقة خشبات يدخلن في السابل . والطوب هو الآجر ، والطباخ هو الذي يطبخ أتونه، والأطيمة: أتون الجرار والقصاع وأمثالها . والبلاط : الحجارة تفرش بها الأرض . ويقال أرض مبلطة ، إذا فرشت بالبلاط[1] .

وقد عرف بعض علماء اللغة اللبن بأنه المضروب من الطين مربعاً للبناء[2]، وتقابل لفظة (اللبنة) كلمـة Libbatu في الأشورية ، و (لبيتو) و (لبنتو) في الإرمية[3] .

والطيّان ، الذي يعمل الطين ، ويطين الحائط أو السطح ، ويشتغل بالطين . والملاط ما رق من الطين . ونحوه السيّاع . ويقال للمالج الذي يمسح بـه وجه الحائط المسجّة والمسيعة . وأما الخيط الذي يقدر به البناء ، فيقال له (المطحر) . والشيّد والشص الجص . والجصّاصة موضع الجص . والملاّحة مجمد الملـح . والجيـار والكلّس الصاروج . والصاروج النورة وأخلاطها . والثلاجة مكبس الثلج[4] .

وتوضع في سطوح الدور ميازيب لتسيل منها مياه الأمطار إلى أسفل ، وتعرف بـ (المثاعب) ، وواحدها (مثعب) ، ويكون من خشب وغيره . ويسيل الماء إلى (البالوعة) ويقال لها (البلّوعة) كذلك[5] . ولفظة (مثزاب) و (مرزاب) من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، ولكنها من الألفاظ القديمة الداخلة إلى العربية[6].

وموضع الطبخ في الدار هو المطبخ . وأما المخبز فهو موضع التنور . ويقـال للتنور الوطيس والهيلم والمسعر كذلك . والكرامة طبق التنور ، والمناقـة حجره . وأما الساعور، فتنور صغير في الأرض[7] .

---

١ بلوغ الارب (٣/٣٩١) .
٢ شرح القاموس (٩/٣٢٨) .
٣ برصوم (ص ٢٦٩) .
٤ بلوغ الارب (٣/٣٩١) .
٥ بلوغ الارب (٣/٣٩١ وما بعدها) .
٦ المعرب (ص ٣٢٦) ، المغرب (ص ١٤) ، شرح القاموس (٣/٢٦٩) .
٧ بلوغ الارب (٣/٣٩٢) .

والسور هو حائط الحصن والمدن. وأما الربض، فحائط حول السور. والشرف هو ما أشرف فوق الحائط، ويتشرف الناس من ورائه[1]. ويعبر عن (السور) بـ (حل) Hel في العبرانية، أي (حائل)، وهو الحائط الذي يحيط بالمدينة[2]. وتطلق لفظة (حال) و (حويل) على الحائط، وعلى الحدّ الذي يفصل بين ملكين، لأنه حائل يحول بين الأملاك وبين الأشياء، فلا تختلط ويمتزج بعضها ببعض[3].

١ بلوغ الارب (٣/٣٩٢ وما بعدها).
٢ Roland de Vaux, Ancient Israel, London, 1961, p. 233.
٣ تاج العروس (٧/٢٩٥)، Rhodokanakis, Stud., II, S., 31.

الفصل السابع عشر بعد المئة

القصور والمحافد والاطام

وقد أورد علماء اللغة العربية ، جملة ألفاظ لها صلة بالمباني الضخمة وبالمباني العالية . منها : (قصر) والجمع (قصور) ، و (محفد) والجمع (محافد) و (أطم) ، و (مجدل) ، و (حصن) و (برج) وغير ذلك من ألفاظ لبعض منها صلة بالناحية الحربية ، لذلك أترك أمرها إلى ذلك الباب ، وسأقتصر هنا على الكلام على المباني الأخرى التي تخص الحياة الاجتماعية في الأكثر .

والقصر البيت الكبير الفاخر ، وتقابل لفظة (قصر) كلمة (قصرو) في لغة بني إرم[1] . وقد أطلقها علماء اللغة على البيوت الكبيرة لأهل الجاهلية في اليمن، فقالوا : (قصور اليمن) . واشتهر من بينها (قصر غمدان) و (قصر سلحين) ، وقد أطلقها عرب العراق على حصونهم التي كانوا يتحصنون بها عند دنو خطر عليهم ، فكانت الحيرة مكونة من (قصور) ، أقامها أشرافها ، واتخذوها بيوتاً لهم ، وحماية لأموالهم ، وملجأ يلجأ اليه أتباعهم عند دنو الخطر ، للدفاع عن سادتهم وعن أموالهم ، يصعدون الى أعلى القصر ، فيرمون المهاجم بالحجارة والخزف والسهام والنار ، ويصبون عليه الماء الحار . ولما هاجمها (خالد بن الوليد) ، أخذ يحاصرها قصراً قصراً ، ويفتحها ، وبذلك سقطت المدينة، المؤلفة

---

١ غرائب اللغة (٢٠١) .

من هذه القصور . ولا تزال اللفظة معروفة في العراق ، فيعرف حصن (الأخيضر) المشرف في البادية بـ (قصر الأخيضر) ، ويطلق على بعض قرى عين التمر القصور ، لأنها كناية عن بيوت تحمى بـ (قصر) في الأصل[1] .

وتخزن في غرف الطابق الأرضي من القصر المبرة ، وما يحتاج اليه ، وكذلك الماشية ، أما الطابق الثاني ، أو ما بعده ، فيتخذ مسكناً ، لأهل القصر ، وقد تعمل به منافذ صغيرة ، ليرمي منها المدافعون المهاجمين بالسهام وبالحجارة ، لمنعه من الدنو من القصر ، ويدافع عنه من السطح كذلك .

والمحفد من الألفاظ الواردة في كتب اللغة ، وجمعها (محافد) . وتعني في العربية الجنوبية القلعة والحصن ، أي المكان الحصين المنيع الذي يتحصن فيه الجنود للدفاع[2] . وتعرف بـ (محفدن) في العربية الجنوبية ، أي (المحفد) .

وترد لفظة (صحفت) مع (محفد) . وأما (صحفت) ، فقد فسرت بمعنى المجاز أو الطريق أو الممر أو الخندق . وهي في معنى لفظة (ضخف) التي تعني الحفر ، ومنها (مضخفة) التي تعني المسحاة[3] . ويكون الخندق حول المحفد ، يحميه من غارات الأعداء ، فيحول بينهم والوصول إلى سوره . وتؤدي لفظة (صحفت) معنى ممر في داخل الحصن يربط بين السور وداخل الحصن[4] .

والمجدل ، هو القصر المشرف[5] . فهو نوع من أنواع الأبنية الضخمة . وهو الحصن في داخل المدن عند العبرانيين ، ويقابل لفظة Castellum في اللاتينية[6] . وقد وردت لفظة (مجدل) و (مجادل) أي في صيغة الجمع في النصوص اللحيانية بمعنى البرج والحصن[7] .

وأما الأطم فالحصن والجمع آطام . وهي القصور والحصون. وقال (الأصمعي)

---

١ راجع الجزء الثالث من تاريخ الطبري ، في فتوح العراق ، وكذلك فتوح البلدان للبلاذري .

٢ Rhodokanakis, Stud., II, S., 61.

٣ Rhodokanakis, Stud., II, S., 61.

٤ المصدر نفسه .

٥ شمس العلوم (حـ١ ق٢ ص ٣٠٦) .

٦ Roland de Vaux, Ancient Israel, London, 1961, p. 235.

٧ راجع النص ٢٦ في كتاب : W. Caskel, S. 88.

الآطام الدور المسطحة السقوف ، موشاة أي منقوشة [1] . وهي معروفة عند أهل (المدينة) . وقد تحارب الأوس والخزرج عندها ، فأرخوا بهذا اليوم . وكانت الأوس والخزرج تتمنع بها ، فأخربت في أيام (عثمان) [2] .

وتقوّى الحصون بسكك الحديد أحياناً ، وبكل وسائل التقوية والإسناد، لتتمكن من الصمود أمام العدو ، ومن تحمل ضربات الآلات التي تستخدم للهدم . ويعبر عن التقوية هذه بلفظة (سكم) ، أي (سك) [3] .

وقد فسر بعض علماء العربيات الجنوبية لفظة (صرحت) (صرحة) (صرحس) التي ترد في كثير من الكتابات المتعلقة بأعمال البناء ، بالطبقة الثانية من البناء أو أعلى كل بناء [4] . وفي كتب اللغة : (الصرح : بيت واحد يبنى منفرداً ضخماً طويلاً في السماء) ، وقيل (القصر) أو كل بناء عالٍ مرتفع . وفي التنزيل: إنه صرح ممـــرد من قوارير ، والجمع صروح . وقال بعض المفسرين : الصرح بلاط اتخذ لبلقيس من قوارير [5] .

وترد لفظة (صرحت) بهذا الشكل في بعض الكتابات ، كما ترد بغير تاء ، أي (صرح) . وقد وردت على هذه الصورة : (صرحس) في بعض الكتابات المعينية ، كما وردت على هذا الشكل : (صرحسن) أي (الصرح) .

والغالب بين علماء اللغة أن الصرح البيت العالي ، وقد قيّد بعضهم ذلك بالبيت العالي المزوق [6] . وحيث ان البيوت المرتفعة العاليـــة هي في اليمن وفي مواضع من العربية الجنوبية الأخرى في الغالب ، ونظـــراً لورود اللفظة في كتابات العرب الجنوبيين، فإننا نستطيع أن نقول باحتمال أخذ الحجازيين لفظة (الصرح) و (صرح) من العرب الجنوبيين .

---

١ الاغاني (١/١٤) ، « طبعة ساسي » ، شمس العلوم (حـ١ ق١ ص ٨٥) .

٢ التنبيه والاشراف (ص ١٧٦) .

٣ Rhodokanakis, Stud., II, S. 46.

٤ Rhodokanakis, Stud., II, S. 29, 32, f., Glaser 1089, 1660, Halevy 208, Glaser 1144, Halevy 353, Jamme, South Arabian Inscriptions, p. 446.

٥ شرح القاموس (٢/١٧٩) . « الصرح : بيت عال مزوق » ، المفردات (٢٨٠) .

٦ المفردات ، للراغب الاصفهاني (ص ٢٨٠) .

الأعمدة والاسطوانات :

ومن الرخام أقيمت أعمدة جميلة كسيت تيجانها بالنقوش وبالزخرف الأخاذ . وقد تمكن المعماريون من وضع الصخور بعضها فوق بعض وضعاً فنياً في غاية الدقة جعلتها تظهر وكأنها قطعة واحدة . فقد صقلوا الصخور صقلاً تاماً بدقة وعناية، وجعلوا نهايتها متطابقة تماماً . فإذا جلست بعضهـا فوق بعض ، انطبقت على بعضها ، وبدت وكأنها قطعة واحدة يصعب التمييز بين مواضع انطباقها . وقد نقروا أحياناً في أواسط الرخام نُقراً عميقة ، ثبّتوا في داخلها أوتاداً من الرصاص أو الحديد ، لتربط بين قطع الرخام ، ولتكون لها سنـداً وقوة ، فلا تسقط . وقد وجدت مثل هذه الأوتاد بين الصخور المكونـة لسد مأرب[1] ، وكذلك في قصر (غمدان)[2] .

وأقيمت الأعمدة على قواعد تحمل الصخور الثقيلة المؤلفة منها تربط بينها أوتاد مربعة في الغالب ، وتكون القواعد أكبر حجماً من العمود ليستقر ثقل الأعمدة عليها ، ولتكون أثبت على سطح الأرض . وتقوى هذه القواعد بصب الرصاص عليها . وقد وجد ان المعماري العربي الجنوبي تعمـد في جعل الجدران المرتفعة ميّالة إلى الجدار الداخلي كلما ارتفع البناء ، بمعنى انه يجعل الجدران الخارجية أقرب إلى واجهة الجدران الداخلية في أعالي البناء من القواعد ، فتكون المسافة عندئذ بين الجدارين عند السقف أقرب وأقصر منها عند القاعدة[3] . ويظهر انـه تعمد ذلك لأغراض هندسية واقتصادية ، تستدعيها المحافظة على الحجارة من عبث الطبيعة بها وتقوية لها ، وتخفيفاً عنها ، واقتصاداً في مواد البناء .

وأقيمت بعض الأعمدة على أرض البناء رأساً من دون قاعدة بارزة يرتكز عليها بمعنى ان المعمار لم يجعل قاعدة العمود أوسع وأعرض من هيكل المجموع ، فيظهر العمود وكأنه قد نبت من الأرض .

وقد عثر المنقبون على أنواع متعـددة من الأعمدة ، تيجان بعضها مربعة أو

---

١ Glaser, Reise, S. 60, Hand. der Alt., I, S. 146.

٢ D.H. Müller, Burgen und schlösser, I, S. 345.

٣ Hand-der altar. alter., I, S. 146.

ذات زوايا مستقيمة . منها ما هو بسيط بدون زخرفة ولا نقوش ، ومنها ما هو مزخرف أو عليه بعض النقوش أو بعض الحروف أو الكتابات . ومن جملة الزخرف الذي زين تيجان الأعمدة زخرف يمثل زهرة الزنبق وأنواعاً أخرى من الزهور[1] .

وتمثل الأعمدة المربعة الشكل أو المستطيلة والخالية من الزخرف أقدم أنواع الأعمدة بالنسبة للفن المعماري العربي الجنوبي . ونجد نماذج منها في خرائب معبد (قرنو) عاصمة معين . وفي (صرواح) (الخريبة) وفي (مأرب) (حرم بلقيس) (محرم بلقيس)[2] وقد اقتطع المعمار هذه الأعمدة من الصخور ، كتلاً كتلاً ، ثم أمر بصقلها وتشذيبها حتى حوّلها الى قطع أكسبها شكلاً هندسياً ، قواعدها مربعة أو مستطيلة ، وضعها بعضها فوق بعض الى الارتفاع المقصود ، مكوناً منها اسطوانة تحمل البناء .

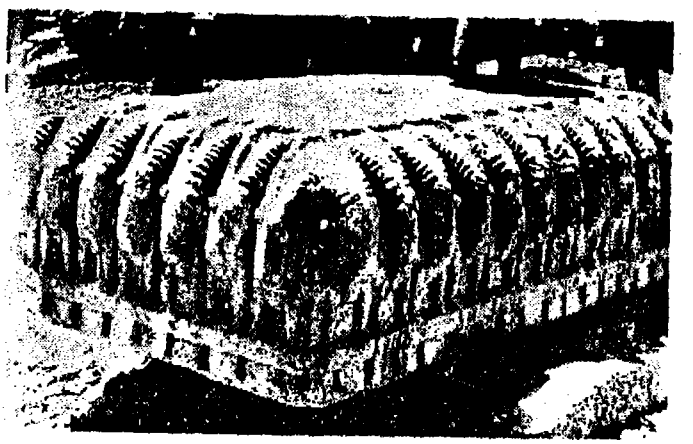

ونرى في هذه الصورة تاج أحد الأعمدة، وقد زخرف بحيث ظهر وكأنه كتلة من رؤوس خرفان أو حيوانات لها قرنان كالوعل وقد أبدع الفنان في حفره حتى ظهر الحجر، كأنه مجموعة حيوانات وقفت بعضها الى جانب بعض ، وزخرفت قاعدة الحجر، كما ترى في الصورة ويظن بعضهم أنه رمز الإلـه القمر .

من كتاب : Qataban and Sheba (ص ٢٢٤)

---

١ Hand. der altar. alter., I, S. 147, Deutsche Aksum Expedition, II, S. 143. ff.

٢ A. Grohmann, S., 209.

وقد أبدع الفنان في الحفر ، وأجاد في الزخرفة وفي اتقان عمله ، وأعطى عمله روعة ، فترى الحفر على مستوى واحد ، وقد عمل بدقة ومهارة . واتقان العمل والإبداع في الفن من المزايا التي امتاز بها أهل العربية الجنوبية حتى اليوم .

وهناك أنواع من الأعمدة تتكون من ثمانية أضلاع ، وأنواع أخرى تتكون من ستة عشر ضلعاً ، عثر عليها في مدينة (تلقم) ، وتتكون تيجانها من ست درجات : ثلاث منها على هيئة نصف اسطوانة : بطونها الى الخارج وقاعدتها العمود ، وثلاث على هيأة صفائح مستطيلة ذات ستة عشر ضلعاً . وقد نحتت هذه التيجان ورتبت على هذا الشكل : الدرجة السفلى مكونة من مستطيل ذي ستة عشر ضلعاً ، وفوقه درجة على هيئة نصف أسطوانة يليها مستطيل ذو ستة عشر ضلعاً ، وهكذا الى أن ينتهي التاج بالدرجة السادسة للتاج[1] .

وقد عثر على نماذج من الأعمدة المثمنة الأضلاع في معبد (صرواح) بـ (أرحب) ، وفي (حقه) وفي (العرين) وفي (بيت غفر) وفي (سوق النعم) وفي (شبام كوكبان) وفي (مأرب) ، وفي مواضع أخرى . ويرجع عهد هذا النوع إلى ما قبل الميلاد ، ويمتد إلى ما بعده . ويرى بعض الباحثين ان أكثر هذه الأعمدة قد ظهر في فترة من الزمن تقع فيما بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الثاني من بعد الميلاد[2] .

وقد رأى (كلاسر) Glaser عموداً مثمناً ذا تاج (كورنثي) في مسجد (منقط) بالقرب من (بريم) ، يرى الباحثون انه من صنع عامل يوناني . وهم يرون ان أصله من مدينة (ظفار) التي لا تبعد كثيراً عن هذا المكان ، جيء به من هناك إلى هذا المسجد . وقد كانت (ظفار) مركزاً خطيراً وعاصمة لحمير ، وفيها أسس (ثيوفيلوس) كنيسة حوالي سنة (٣٥٤) للميلاد . وصارت هذه المدينة مركزاً لأسقفية تشرف على نجران وهرمز وسقطرى . وقد عثر في هذا المسجد على قطع أخرى أثرية ، عليها آثار الصلبان وكتابات حبشية وآثار أخرى تشير إلى أصل نصراني ، يظهر انها من أيام استيلاء الحبشة على اليمن ، وانها ترجع إلى ما بين سنة (٥٢٥) و (٥٧٠) للميلاد . وفي خلال هذه المدة كان

---

١ Hand. der altar. alter., I, S. 148.

٢ A. Grohmann, S. 210.

احتلال الحبشة للعربية الجنوبية [1] .

ولا استبعد أن يكون من بين هذه الأعمدة التي تحت الصليب فوقها ، أعمدة جاهلية أُخذت من المعابد الوثنية ، ثم حفر الصليب عليها ، لتتناسب مع الطقوس النصرانية . أو أنها كانت معابد وثنية قديمة ، فلما استولى الحبش على اليمن ، أو عند اعتناق أهل تلك المواضع للنصرانية حوّلوا تلك المعابد الى كنائس وأحدثوا فيها بعض التكييف والتغيير لتكون في وضع يناسب الكنيسة ، فكان في جملة ما أدخلوه عليها حفر الصلبان على أعمدة تلك المعابد .

وتظهر الأعمدة المكونة من ستة عشر ضلعاً ، وكأنها اسطوانة ، أي عموداً ذا شكل دائري . لأن الأضلاع صارت ضيقة متقاربة أعطت العمود شكل اسطوانة. وقد عثر على نماذج من هذه الأعمدة في مدينة (تلقم) وفي معبد (صرواح) بأرحب ، وفي (صرواح) (الخريبة) وفي (الفراس) ، وفي جامع المتوكلية بصنعاء [2] .

ويرى بعض الباحثين أن الأسطوانات ، أي الأعمدة المدوّرة ذات الشكل الاسطواني التام ، قد ظهرت بعد الأعمدة المذكورة ، وأنها ترجع الى الأزمنة المتأخرة لذلك من تأريخ اليمن [3] .

ومن العربية الجنوبية انتقلت هذه الأعمدة إلى بلاد الحبشة ، حيث نجدها في معابد الحبشة القديمة . وقد أخذ أهل تلك البلاد هذا النوع من الأعمدة في جملة ما أخذوه من حضارة أهل العربية الجنوبية [4] . وقد رأينا ان أهل سبأ كانوا قد أقاموا حكومة لهم في إفريقية ، وقد ترك أهل العربية الجنوبية ، ولا سيما أهل سبأ منهم ، آثاراً في اليمن في مختلف النواحي ، ما تزال ظاهرة للعيان .

وقد استعملت الأعمدة المصنوعة من الخشب لحمل السقوف ، ولا سيما في البيوت.

---

١ Philostorgios, Historia Ecclesiastica, III, 4, Handb. der altar. alter., I, S. 148.

٢ A. Grohmann, S., 210, Rathjens un Van Wissmann, Vorislamische Altertümer, 132, 133, Glaser, Geographische forshungen in Jemen, 1882, 73.

٣ A. Grohmann, S., 210.

٤ Deutsche Aksum — Expedition, II, S. 101. f, 154, ff, Hand. der altar. alter., I, S. 148.

وتوجت هذه الأعمدة بتيجان في الغالب ، جعلت على هيآت وأشكـــال مختلفة . ولا يزال الناس يستعملون هذه الأعمدة في بناء البيوت .

وقد نوّع المعمار هندسة تيجان الأعمدة والأساطين، بأن جعلها أشكالاً وأنماطاً ، راعى وحرص على أن يجعلها تتناسب مع شكل العمود الذي سيوضع التاج فوقه، أو الاسطوانة التي سيوضع عليها . وقد مرّ هذا التنويع في أدوار وأطوار ، كما مرت صناعة الأعمدة والأساطين بهذه الأدوار كذلك . لقـد كان التاج في بادىء أمره جزءاً أساسياً من أجزاء العمود ، أي قطعة منه . هي القطعـــة الأخيرة من قطع العمود . وعلى هذا الجزء أقام قواعد السقف من غير أن يميزه عن الأجزاء الباقية من أجزاء العمود بأي شيء . ثم بدا له أن يجعل للقطعة الأخيرة حافة عليا بارزة ، وأن يجعل أعلاها أوسع من أسفلها الذي هو قاعدة التاج التي ترتكز على بقية أجزاء العمود . وذلك لأسباب فنّية تتعلق بالبناء وبعقد عقود سقوف المعابد. ثم أخذ يجعل التاج قطعة حجر تكون أوسع مساحة من مساحة القطعة من العمود الذي سيوضع فوقها ، أي أوسع من مساحة العمود نفسه ، وصار يزخرفه ويتفنن في زخرفته، حتى ظهرت عنده جملة تيجان أقيمت عليها سقوف المعابد والقصور .

وقد عثر على تيجان بسيطة هي عبارة عن حجر وضع فوق العمود ، ولكي يربط هذا التاج بالعمود ربطاً محكماً ، ويجلس فوقه جلوساً تاماً هندسياً ، فقد ربط بالعمود بوتد يقوم مقام المسمار في ربط أجزاء الخشب بعضها ببعض، يدخل في التاج وفي العمود ليربط بينهما ويجعلهما وكأنهما قطعة واحدة من حجر . وقد توضع بين التاج والعمود مادة بنائية لتشد بين الحجرين وتمسك بينهما ، فضلاً عن (المسمار) الذي يدخل في الثقب الموجود في الحجرين، إن كان ذلك (المسمار) متحركاً أي متنقلاً ، أو في الثقب المحفور في الحجر المقابـــل ، إن كان ذلك (المسمار) أو الوتد ثابتاً وقد نحت في أحد الحجرين حتى صار مرتفعاً كقطب الرحي، ليدخل في التجويف المعمول في الحجر الثاني المقابل وبذلك يتماسك الحجران.

وقد وجد (كلاسر) تاج عمود ، ظهر أنه كان مؤلفاً من حجرين ، حجر مربع الشكل أطرافه قائمة الزوايا ، وأضلاعه الخارجية عدلة ، ثم حجر آخر أقيم تحته ، أي فوق العمود ، أطرافه الخارجية منحوتة نحتاً جعل الأطراف مائلة نحو العمود ، أي الى الجهة السفلى[1] . وربما كان هذا النوع من التيجـــان مرحلة من

---

1 A. Grohmann, S., 210.

مراحل تكبير التاج وتطويله بجعله يتألف من جملة طبقات . كما عثر على تيجان جعلت جملة طبقات ، طبقة مصقولة ملساء ، وطبقة منحوتة ومزخرفة زخرفة هندسية أو بأشكال أخرى حسب ذوق المهندس المعمار الذي وضع تصميم المكان .

عثر على نماذج أخرى عديدة من التيجان ، تفنن في نحتها وفي تكوينها المعمار. وتمثل بعض منها شخصية ذلك المعمار تمام التمثيل . فهي مستقلة تمثل طابع العمارة العربية الجنوبية . ولكننا نجد بعض التيجان وكأنها تقليد ومحاكاة لتيجان أجنبية . فبينها تيجان تشبه تيجان أعمدة بعض معابد مصر التي تعود إلى ما قبل الميلاد ، ونجد بعضاً وكأنه محاكاة لتيجان يونانية أو رومانية أو فارسية أو حبشية . وقد ذهب بعض الباحثين إلى ان عدداً من تيجان الأعمدة الموجودة اليوم في بعض دور الحكومة بصنعاء،أو في المساجد أو في بعض البيوت هي من أيام الاحتلال الحبشي أو الساساني لليمن . ولا يستبعد أن يكون من بينها تيجان وأعمدة أخذت من كنيسة (القليس)[1] .

ولما كانت العربية الجنوبية على اتصال بالعالم الخارجي ، منذ عصور ما قبل الميلاد،وقد شهدت فتوحاً أجنبية ، كما كانت لها صلات تجارية مع الروم والإفريقيين والهنود والفرس ، فلا يستبعد استخدام العرب الجنوبيين للأعاجم في أعمال البناء، وتأثرهم بالأساليب المعمارية الاجنبية ، ولا سيما في أثناء الفتح الحبشي لليمن ، فقد ذكر أهل الأخبار أن الحبش استعانوا بفعلة من الروم في بناء (القليس) ، كما أن الروم كانوا قد شيدوا كنائس في عدن وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب، وقد بنيت هذه الكنائس وفقاً لأسلوب الفن البيزنطي النصراني ولا شك . وقد كان بين الفرس من يحسن البناء ويتقنه ، كما كان لأهل العربية الجنوبية اتصال بالفرس قبل هذا الفتح ، وكانت فيها جاليات منهم ولا سيما في الأقسام الجنوبية الشرقية ، فأثروا بذلك في طراز البناء .

وما قلته من تفنن المعمار العربي الجنوبي في تنويع الأعمدة وتيجانها ينطبق أيضاً على القواعد التي أقيمت الأعمدة عليها . فبعد أن كانت قاعدة العمود أو الاسطوانة بسيطة ، لا تمتاز عن العمود بأي شيء ، بل كانت قطعة واحدة منه ، ليست لها عن بقية الأقسام أية ميزة ، رأى المعمار تمييزها عن بقية الأقسام ، فجعلها أوسع

---

١ A. Grohmann, S. 218, Sabaeica, I, 119. ff.

من العمود ، وأعطاها أشكالاً هندسية وزخرفية ميزتها عن العمود وعن تاجه . فنجد قواعد أعمدة على شكل مربع أو على شكل مستطيل أو على شكل دائري . ثم نجدها بسيطة تماماً ، ونجدها مزخرفة ومزوقة . ونجدها وقد نحتت على شكل تظهر وكأنها من طبقات مختلفة .

وعلى هذه الأعمدة والتيجان والاسطوانات أقيمت سقوف المعابد والقصور وبيوت السادات عقدت عقداً على نحو ما نراه في الوقت الحاضر من بناء المساجد وبعض الأسواق القديمة والأبنية الأثرية . ولا يستبعد استعمال أهل اليمن للقباب في معابدهم وفي قصورهم ، فمادة البناء متوفرة عندهم ، والإمكانيات الفنية موجودة عند المعمار العربي الجنوبي . عقدت على عقود وأقواس ينتهي مركز ثقلها بتيجان الأعمدة أو برؤوس الأعمدة على طريقة بنائهم للمساجد في هذه الأيام .

ولم تجر حتى الآن حفريات علمية واسعة في اليمن وفي بقية أنحاء العربية الجنوبية، كما أن دراسات المتخصصين الضليعين بعلوم العربيات الجنوبية قليلة ، ولهذا كان علمنا بالآثار العربية الجنوبية ضحلاً لا يعين على تكوين رأي علمي واضح صحيح في آثار تلك الأرضين وفي صلة الحضارة العربية الجنوبية بغيرها من الحضارات .

لقد وضع (كلاسر) مخططات تقريبية لبعض المعابد والأبنية القديمة في اليمن ، مثل معبد صرواح ومعبد (محرم بلقيس) حرم بلقيس ، وهو معبد إلّه سبأ الرئيس (المقه) وأماكن أخرى ، كما وضع غيره مخططات أخرى . ولكن هذه الدراسات تقريبية وغير كاملة . ولا بد من وقت للبحث في هندسة هذه الأماكن بحثاً علمياً دقيقاً . ومثل هذه البحوث لا تقوم إلا بحفريات عميقة منتظمة. توصلنا إلى أسس تلك الأبنية وما طمر في الأرض من آثار تتعلق بتلك الأماكن .

وقد تمكن المنقبون في هذا اليوم من تثبيت معالم بعض المعابد ولا سيما معبد (المقه) بمأرب ، حيث شخصوا بعض معالمه ، إلاّ أن تحديده بصورة مضبوطة واضحة ، وتعيين مواضع العبادة فيه ، تحتاج الى دراسات أثرية واسعة وبمقياس كبير . فقد أمكن مثلاً تنظيف بعض مواضع معبد (اوم) (اوام) بمدينة (مأرب) من الأتربة ، لتظهر معالمه ، وأمكن بذلك من الحصول على معلومات أثرية لا بأس بها عنه ، غير أن معارفنا عنه لا تزال قليلة ، لأن البحث العلمي لم يتم على هذا المعبد حتى الآن . وترى في الصورة بقايا الأعمدة التي كانت تحمل

سقوف المعبد ، كما تشاهد بعض بقايا جداره ، وهو من المعابد المهمة التي كانت في (مأرب) .

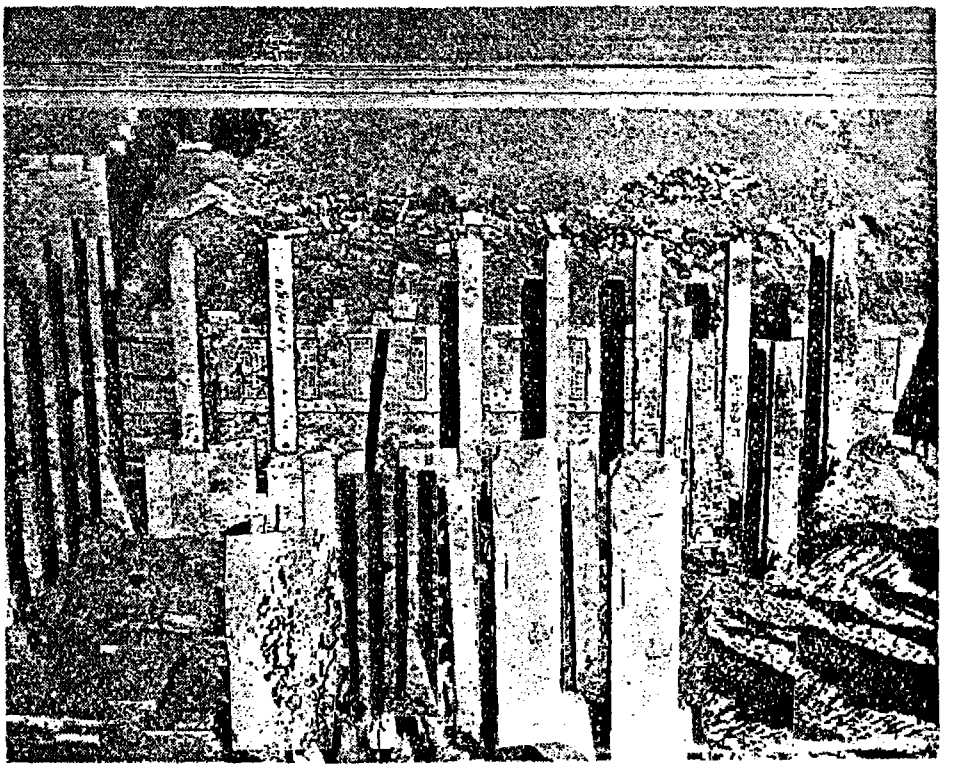

معبد أوام بمدينة مارب

من كتاب Qataban and Sheba (ص ٢٥٧)

وقد نسي اسم هذا المعبد القديم ، الذي كان يسميه السبئيون معبد (اوم) (أوّام) . وكانوا يتقربون اليه بالهدايا والنذور ، تقدم باسم رب هذا المعبد : (بعل اوم) . وهو (المقه) إلّه سبأ الأكبر ، إلّه القبيلة القديم. وهو القمر. ويسمى معبده في هذا اليوم بـ (حرم بلقيس) وبـ (محرم بلقيس) ، ويقع على مسافة ميلين تقريباً من قرية (مأرب) الحديثة . وتقع معظم ساحة المعبد وجدره وأبنيته تحت الرمال . وما لم ترفع هذه الكثبان الرملية عنه ، فإنه من المستحيل التحدث عنه حديثاً علمياً . وقد سرق الناس أحجار السقوف وأعالي جدار المعبد ، لاستعمالها في البناء ، ولما زار (كلاسر) المعبد ووصفه ، رأى سقف

المعبد ، أي البيت الذي يتعبد فيه ، وكذلك أعالي سوره ، وكانت زيارته لـــه سنة (١٨٨٨ م) ، ولا نجد اليوم من آثار السقف وأعالي الجدران شيئاً ، بسبب سرقة الأحجـــار ، ولولا الرمال التي غطت الأرض والجدران وساحة المعبد ، وحفظت في باطنها أحجارها وبعض الأعمدة الضخمة التي صعب على الناس قلعها، لما تبقى من حجارة هذا المعبد شيئاً .

جانب من معبد ــ أوام ــ وترى أبوابا ونوافذ لقاعة من قاعات هذا المعبد . ويظن أنها ليست من أصل المعبد بل أضيفت اليه .
من كتاب
Qataban and Sheba
(ص ٢٧٢)

وقد بني هذا المعبد في أيام (المكربين) ، وقد وجدت فيه كتابة تعود الى أيام المكرب (يدع ايل ذرح بن سمهعلي) مكرب سبأ . ويرى (البرايت) أنه حكم في منتصف القرن السابع قبل الميلاد . وربما كان هذا المكرب قد جدد بناء هذا المعبد الذي أقامه مكربون سبقوه في الحكم[1] .

وتجد في هذه الصورة بقايا جدار معبد (اوم) ، وبقايا نوافذ حجرية ، وقد تخللتها ثقوب لدخول الهواء والنور منها ، وقد نقشت وزخرفت . وقد جدد ورمم بناء المعبد مراراً ، وأضيفت عليه جملة زيادات ، كما يتبين ذلك من الكتابات التي عثر عليها المنقبون داخل المعبد،وقد دوّنت لمناسبات التجديد وادخال الإضافات، ثم من طراز الهندسة الذي نراه في البناء ومن تنوع الأحجار ومادة البناء .

وهذه صورة أخرى ، أخذت أثناء قيام بعثة (وندل فيلبس) بأعمال الحفر في معبد (اوام) وترى الأعمدة قائمة ، والعمال يشتغلون في إزاحة الأتربة التي طمرت ذلك المعبد القديم .

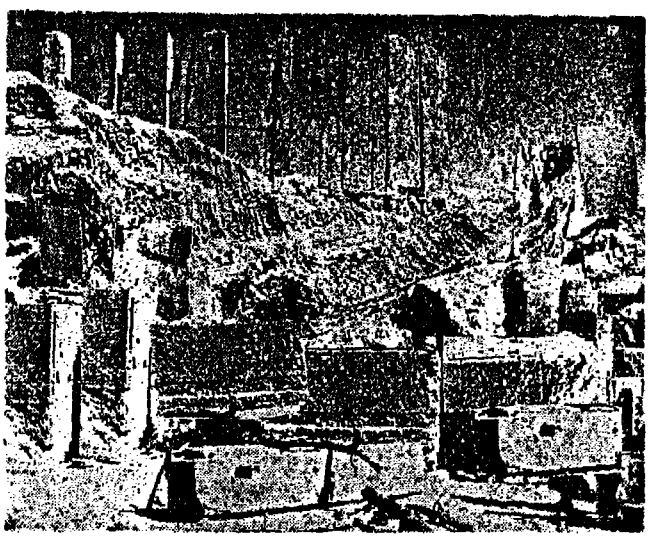

من كتاب : Qataban and Sheba (ص ٢٥٦)

---

١ راجع الصفحة (٢١٥ وما بعدها) من كتاب :
Archaeological Discoveries in South Arabia, 1958, by John Hopkins Press.
للوقوف على وصف هذا المعبد .

وهذه صورة أخرى لمعبد (اوم) (اوام) ، في أثنـــاء قيام بعثة (وندل فيلبس) بالحفر فيه .

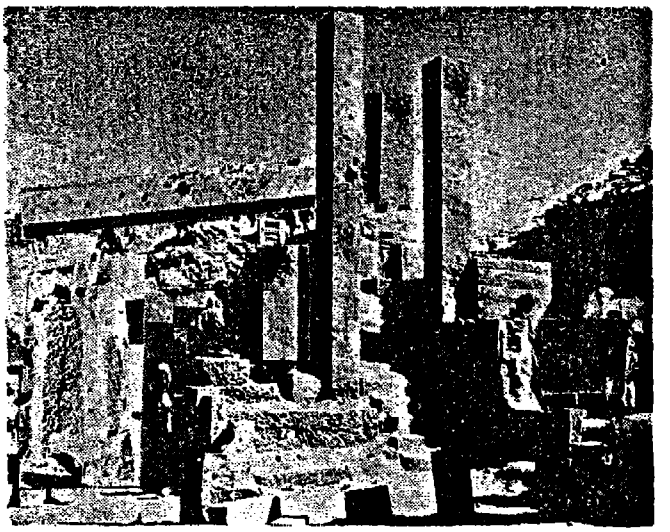

ونرى في هذه الصورة أعمال الحفر لبعثة (وندل فيلبس) وهي تجري في معبد (عثتر) بمدينة (تمنع) عاصمة قتبان . ويعود عهده الى القرن الأول قبل الميلاد .

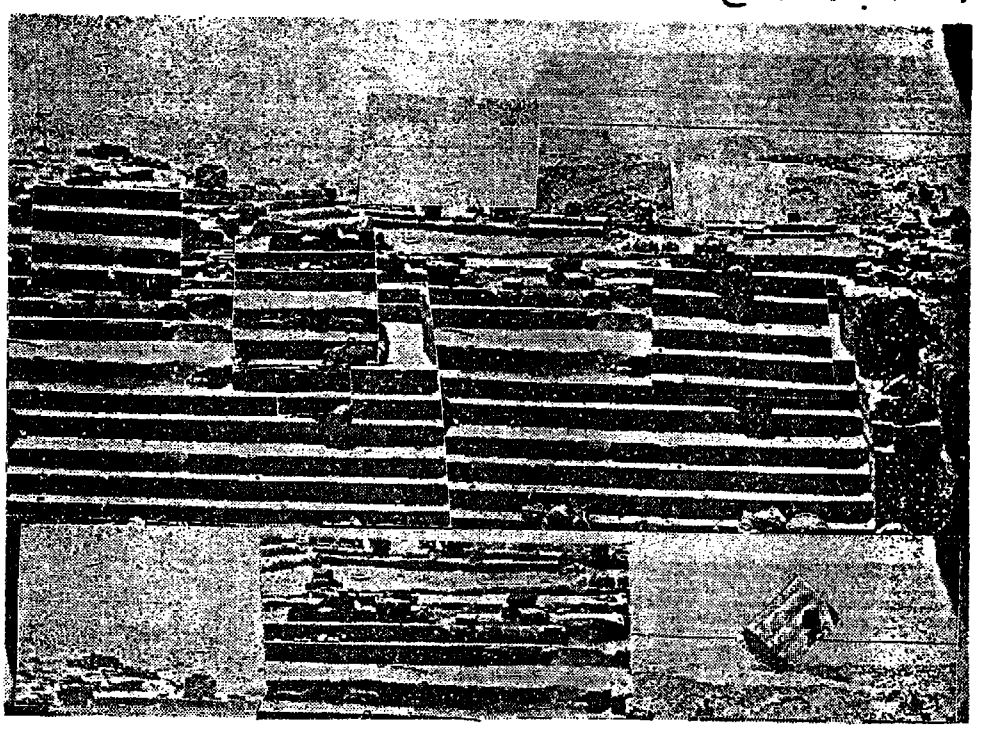

وتوجد في خرائب (مأرب) آثار معبد آخر خصص لعبادة (المقه) كذلك ، هو معبد (برن) (بران) . ويعرف موضعه بـ (العمايد) عند أهل مأرب الحاليين . وذلك لوجود أعمدة من أعمدته القديمة ظاهرة على سطح الأرض . ولم يقم العلماء بالتنقيب عن هذا المعبد المهم[1] .

ضريح أحد الائمة في مسجد الاشرفية بمدينة تعز
من كتاب : Gûnther Pawelke Jemen, (ص ٦٤)

وقد بقيت في العربية الجنوبية بقية من أصول الهندسة المعمارية الجاهلية ، تظهر معالمها في المباني الضخمة التي تكون بيوت الحكام والأسر الغنية ، والتي تضم في الغالب أحجاراً قديمة مكتوبة وغير مكتوبة ، وتراثاً قديماً موروثاً ورثه المعمارون من عرب ما قبل الإسلام . وترى في الصورة نموذجاً من الريازة القديمة المتمثلة في مسجد (الأشرفية) بمدينة تعز ، وهي ريازة أخذت من الفن الجاهلي . وترى الضريح ، وقد أقيم

١ Archaeological Discoveries in South Arabia, pp. 238, A. Jamme, Inscriptions de Al Amyid a Mareb, in Le Muséon, LXVIII, (1955), pp. 317, Jamme 534.

على طراز عربي قديم، لا يشبه الأضرحة التي توجد في البلدان العربية الأخرى، لاستمداده هندسته من هندسة الأضرحة القديمة في العربية الجنوبية .

ونرى في هذه الصورة المأخوذة لجامع (الجندية) فناً ، يختلف عن فن بناء المساجد في العراق أو في بلاد الشأم ، فلعقود هذا الجامع ولأعمدته واسطواناته صلة بالأبنية العربية الجنوبية القديمة . وأنت إذا دققت في هذه الصورة ترى طراز بناء القسم الأيمن منها يختلف عن طراز بناء الجزء الأيسر منها،ومع ذلك فإن للطرازين صلة بالفن العربي الجنوبي . وترى سطح السقف ، وقد زين بأفاريز لها صلة بالأفاريز التي كان يعملها العرب الجنوبيون على مثل هـذه المواضع من أسوار مدنهم ، وأبنيتهم الضخمة من دور وقصور .

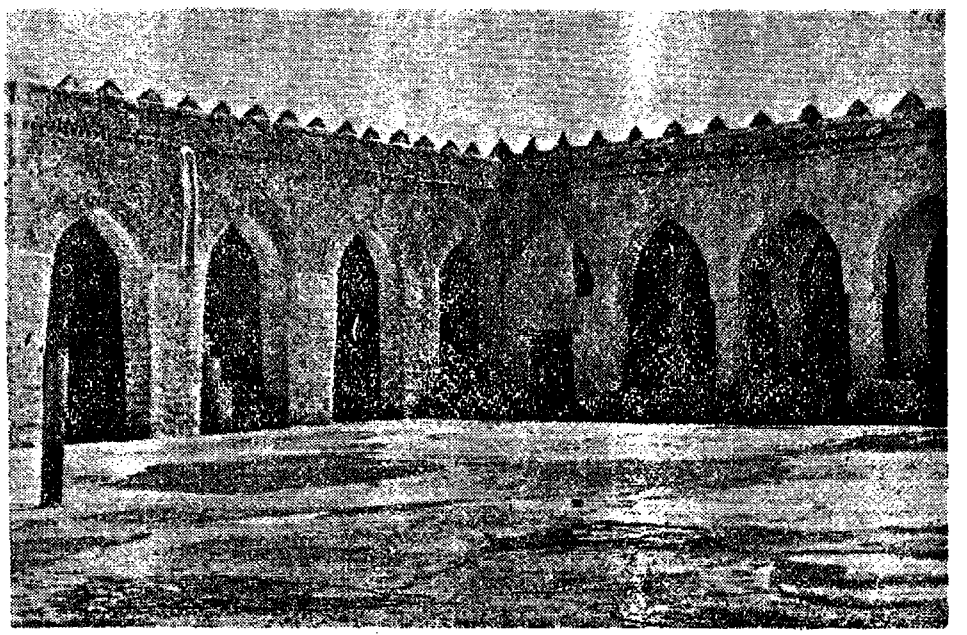

جامع الجندية

من كتاب : (Jamen, das Verbotene land)

لمؤلفه Gûnther Pawelke (ص ٩٦)

ونرى في الصورة التالية التي هي صورة مسجد بمدينة (تعز) ، فناً ، له جذور وأصول قديمة ، استمد روحه من الفن العربي الجنوبي الذي يعود إلى

أيام ما قبل الاسلام . وهو فن له استقلال في الشخصية ، ومزايا تميزه عن الفن في المواضع الأخرى من جزيرة العرب. ونرى بعض قباب مساجد اليمن لها شخصية مستقلة ، ترشدنا إلى انها من أصل ذلك الفن اليماني العريق في القدم .

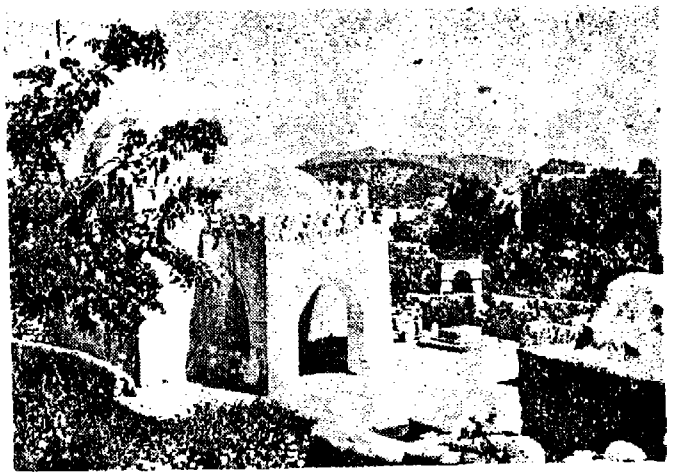

مسجد في تعز
من كتاب (Jamen, das Verbotene land)
لمؤلفه Günther Pawelke (ص٤٨)

وعندي إن من الواجب في هذا اليوم دراسة الفن المعماري القائم حالياً في العربية الجنوبية ، المتجلي في الأبنية القائمة الباقية التي لها طابع عربي جنوبي خاص ، من قصور ودور ومساجد وأضرحة ، ودراسة فن الزخرفة المتمثلة في النقش على الحجر ، من زخرف قديم وزخرفة حديثة ، ودراسة الأعمال الفنية السائدة اليوم، مثل النجارة والحفر والنقش والرسم وما شاكل ذلك،لأن مثل هذه الدراسة تساعدنا كثيراً في الوقوف على الفن العربي الجنوبي .

وقد أبدع أهل العربية الجنوبية في فن الزخرفة . و (الزُخرف) في تفسير علماء العربية الذهب في الأصل ، ثم سميت كل زينة زخرفاً ، ثم شبه كل مموه مزوّر به . وفي حديث يوم الفتح أنه لم يدخل الكعبة حتى أمر بالزخرف فنحّي وأمر بالأصنام فكسرت . الزخرف هنا نقوش وتصاوير[1] . ومن النقوش التي عثر

---

١ تاج العروس (١٢٦/٦) ، (زخرف) .

عليها في العربية الجنوبية نقوش حيوانات وأشجار وصور بشر حفرت على الأحجار أو المعادن أو الأخشاب ، وعلى ألواح من الجبس ، استعملت في أغراض مختلفة للزينة . ومنها أحجار منقوشة ، نقشت عليهـا عناقيد عنب وأغصان وأوراق ، وما شاكل ذلك . وجد علماء الآثار أن بعضاً منها يعود عهده الى القـرون الأولى من الميلاد[1] .

وإذا كانت المعابد شاهداً على الفن وعلى التفكير الديني لقوم مـن الأقوام ، فإن المقابر هي شاهد كذلك على وجهة نظر القوم الى العالم الآخر ، عـالم ما بعد الحياة . فما في القبر من أدوات وأشربة وطعام وآنية ، أو من بساطة وسذاجة ، تشير الى تفكير القوم في شكل الحيـاة الآخرة وفي كيفيتها وفي درجة تعلقهم وتمسكهم بالآلهة وبالدين .

وخير مثال على ذلك ، أهرامُ مصر وآثارها ، فإنها آثار قبورية ، تمثل مبلغ تغلغل الدين في نفوس الحاكمين وفي الشعب ، ووجهة نظرهم الى عالم ما بعـد الحياة . لقد أنفق الحاكمون على قبورهم أكثر مما أنفقوه على قصورهم في الدنيا . إن بهم — بعد الموت — حاجةً الى كل ما يحتاج اليه الإنسان في الحياة . ولهـذا ادخروه في هذه المقابر ، ليستفيد منها الميت بعد انتقاله الى العالم الآخر ورجوع الحياة اليه . أما العربـي ، فلم يهتم بقبره اهتمام المصري به ، فلم يترك (المكربون) ولا الملوك ولا الأمراء ما تركه الفراعنة والكهان والأمراء في قبـورهم ، لا كله ولا بعضه . إنه لم يكن يحفل بالحياة الآخرة احتفال أهل مصر بها ، لذلك نجـد قبره ساذجاً ، ثم هو لم يدخل فيه طعاماً ولا شراباً ولا أثاثاً ، ولم يدخل فيـه كذلك خدماً وحشماً من بقايا الحاشية المسكينة التي أدخلت الى القبر قسراً لتخدم سيدها في العالم الآخر ، كما خدمته في العالم الأول .

وقد يقال إن لفقر بلاد العرب دخلاً في ذلك ، ولكن ما بال أهل اليمن ، وقد كانوا في سعة وخير ، لا يفعلون في قبورهم بعض ما فعله أهـل مصر . وما بال قبور ملوكهم ساذجة ، لا تحوي ذهباً ولا حجارة كريمـة ولا تصاوير وتماثيل وتوابيت وجثثاً للضحايا التي تدفن مع الميت ؟ إن ذلك ، إن دلّ عـلى شيء ، فإنما يدل على اختلاف في وجهة نظر القوم عن وجهه نظر المصريين مثلاً

---

١ Beiträge, S. 18.

عن الحياة الآخرة . ونحن لا نتكهن في الزمن الحاضر عن وجهة نظرهم في ذلك الزمن ، لعدم وجود كتابات جاهلية أو آثار تتحدث عن تلك الحياة .

وإذا قلنا إن تلك القبور كانت ساذجة خالية من الكنوز التي يجدها الناس في اهرامات مصر ، فإن ذلك لا يعني ان قبور الجاهليين ، كانت كلها خالية من النفائس تماماً. فقد عثر في بعض منها على أساور من ذهب وخواتم وتماثيل وجرار بل وعلى سيوف وخناجر وسكاكين ، وضعت مع الميت في قبره، كما يروي أهل الأخبار ان بعض الجاهليين كانوا يتعقبون المقابر القديمة، فينبشونها لاستخراج ما فيها من أشياء نفيسة ، حتى ذكروا ان ثراء (عبدالله بن جدعان) انمـا كان من المقابر القديمة التي كانت بمكة [1] ، ورووا قصصاً عن قبور زعم ان الناس عثروا فيها على كنوز ، وقد سبب هذا القصص إقدام الناس على نبش المقابر الجاهلية لاستخراج ما قد يكون في جوفها من ذهب وكنوز ، مما أفسدها وأزال معالمها وأضاع علينا تراث الجاهليين .

وقد ذكر (أبو علي لغدة) الأصفهاني ، ان « بجلدان هضبة سوداء ، يقال لها بتعة ، وبها نُقُبٌ ، كل نقب قدر ساعة، كانت تلتقط فيه السيوف العادية، والخرز ، يزعمون أن فيه قبوراً لعاد ، وكانوا يعظمون ذلك الجبل »[2] .

وقد عثر على بعض المقابر الجاهلية في العربية الجنوبية ، ظهر منها ان القبور ساذجة لا تكلف فيها ولا تعقيد في الغالب . ولكنها مختلفـة باختلاف الأرضين والقبائل وطبيعة الأرض . فقد عثر على قبور اتضح منها ان الجاهليين في بعض أماكن من اليمن ، وضعوا الميت في تابوت قائم الزوايا ، مصنوع من الحجر ، وقد غطي بغطاء من الحجر كذلك . ومثل هذه القبور لا تكون في العادة إلا في الأماكن التي تتوفر فيها الحجارة. أما في الأماكن الصحراوية والترابية التي لا تتوافر فيها مثل هذه الحجارة ، فلم يكن من الممكن وضع الميت في مثل هذا التابوت ، ولهذا كانوا يدفنونه في الأرض في لحد ، ثم يهال على الميت التراب . وقد عثر على جملة قبور تكوّن مجموعة واحدة يحيط بها حائط معقود بالحجارة يتراوح ارتفاعه من متر إلى خمسة أمتار . وهي مدافن أسرة واحدة في الغالب . وقـد أشير إلى

---

١ الروض الانف (٢/٩٢ وما بعدها) .
٢ بلاد العرب (١٣ ، ٣٠) .

أمثال هذه المقابر في الكتابات . كما عثر على قبور هي غرف نحتت في الصخور، وقد كُتب على باب الغرفة ، أي القبر ، اسم صاحب القبر أو أسماء المدفونين في الغرفة[1] . وقد وصف (هريس) بعض هذه القبور[2] .

وعثر على بقايا مقبرة خارج سور مأرب من ناحية الشمال والغرب ، تبين من فحصها ودراستها ان بعض الموتى قد دفنوا وقوفاً ، وبعضهم قد دفنوا على الطريقة المألوفة أي اضطجاعاً على الأرض. ومن هذه المقبرة العامة الجاهلية حصل (كلاسر) على عدد كبير من شواهد القبور ، التي وضعت فوق قبور أصحابها لتدل عليهم ولتشير إلى صورة صاحب القبر واسمه[3] .

وقد عثر في معبد (اوم) (اوام) ، المعروف بمحرم (بلقيس) ، على مقابر ، لها أبواب تؤدي اليها . ذات غرف ، اتخذت مواضع لوضع الجثث بها . وجد أن بعضها كانت مقابر للمكربين وللملوك ، فقد عثر على اسم (سمه علي ينف) (سمهعلي ينف) (سمه علي ينوف) ،مكتوباً على حجر في أحد القبور، وعثر على اسم آخر هو : (يثع امر بين بن يكرب ملك وتر) وهما من الملوك الذين اعتنوا بهذا المعبد ، فأضافوا اليه اضافات، ولعلّ الحفريات المقبلة ستكشف عن أسماء ملوك آخرين قبروا في هـذا المعبد الكبير ، الذي كان المعبد الرئيسي لشعب سبأ في عاصمته مدينة مأرب (هجرن مربن) ، (هجرن مرب) .

وقد عثر في هذه المقابر على مباخر ، يظهر أنها استخدمت لتبخير القبر عند دفن الموتى ، وفقاً لطقوسهم الدينية ، كما عثر على قطع من الأحجار الكريمة وبعض المصوغات المعمولة من الذهاب ، ونظراً لوجودها مبعثرة ، يظن أن الأيدي قد عبثت بها ، فنهبت ما كان أهل الموتى قد دفنوه مع الميت من أشياء ثمينة[4] .

ووصف (فون ريده) نوعاً من الأضرحة وجده في (صهوة) بحضرموت . وقد وصفه بأنه بناء على هيأة مكعب ، طول كل ضلع منه زهاء ٢٥ قدماً ، وبارتفاع مماثل . وقد شيد من حجارة مربعة كبيرة ، ويبلغ سمك حائطه قدمين.

---

١ Handb. der altar. alter., I, S. 162.

٢ W.B. Harris, A Journey through The Yemen, London, 1893, p. 273.

٣ Wissmann-Höfner, S. 28.

٤ Archaeological Discoveries in South Arabia, p. 235

وهو مقسم في الداخل الى قسمين . يكـون القسم الواحد غرفة يفصل بينها حائط يبلغ ارتفاعه ست أقدام من مدخل البنـــاء . ويتكون السقف من حجارة عرضها قدمان . ونجد في جوانبه ثلاثة أهرام للزخرفة . وعلى البناء كتابة قبورية تشير الى القبر[1] .

ولتخليد ذكرى صاحب القبر ، ولوقوف الناس عليه، استخدم العرب الجنوبيون كغيرهم شواخص قبور ، هي عبارة عن أعمدة من الحجر رباعية أو غير رباعية يكتب في أعلاها اسم المتوفى . وقد يصور تحت الكتابة صورة تمثل الميت ، أو ترمز إلى شيء ديني . وقد عثر (كلاسر) على عدد من هذه الشواهد القبورية في مأرب[2] .

وقد تكون الشواخص على هيأة صخور مستطيلة ، يكتب عليها اسم صاحب القبر . وقد تزخرف هذه الصخور . وتنتهي الكتابة بلفظـــة (صلم) في بعض الأحيان ، بمعنى صنم ، أي صورة ، ويراد بها صورة المتوفى ، أو الرمز الدال على شيء مقدس . وقد تدوّن الكتابة في القسم الأسفل من الشاهد ،وتحفر الصورة في القسم الأعلى منه . وعثر كلاسر أيضاً على نوع آخر ساذج من الشواهد، هو عبارة عن نصب يشتمل على الكتابة وتحتها عينان فقط[3] . وتثبت هذه الشواهد في الأرض . وقد وجد لبعضها حافة رقيقة كحد السكين ، وذلك لتسهيل تثبيتها في الأرض ، ومقاومتها لعبث الهواء والآفات الأخرى فيها[4] .

ويقال للقبر (مثبر) و (هقبر) (القبر) في اللحيانية[5] . وقد عثر المنقبون على أحجار قبور ، كتبت عليها اسماء الموتى ، وصورت عليهـــا صور تشير الى الميت ، وحفرت عليها بعض الرموز والإشارات المستعملة في طقوسهم الدينية .

وقـــد وجدت في المقبرة الملكية للملوك أوسان تماثيل لبعض ملوك هذه الأسرة الصغيرة التي حكمت مملكة أوسان ، وقد كتبت على قاعدة التماثيل أسماء الملوك ، ويتبين من وجودها في هذه المقبرة ، أن آل الميت دفنوا مع الملك المتوفى تمثالاً

---

١ A. von wrede, Reise in Hadhramaut, S. 245.

٢ Handb-der altar-alter, I, S. 163, Wissmann-Höfner, S. 28

٣ D.H. Müller, Südarrabische Altertuner, S. 50.

٤ Handb-der altar-alter. I, S. 164.

٥ النص رقم ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ من كتاب : W. Caskel, S. 99, 133.

له ، ربما ليدل على قبره . وكتب لذلك عليه اسمه ليعرف ، ولم يعثر على مواد أخرى ثمينة ،ويظهر أنها كانت موجودة غير أن السرّاق سرقوها ،فلم يبق فيها غير ما فات عنهم ، فلم يصلوا اليه . وقد موّنت المقابر الأخرى التي سلمت علماء الآثار والباحثين بألواح من الحجر ، نحتت عليهـــا صور المتوفين ، فوضعت شواخص على القبور ، ليعرف بالشاخص صاحب القبر ، كما عثر على مثل هذه الشواخص في باطن القبر ، مما يدل على أنها دفنت مع الميت في القبر .

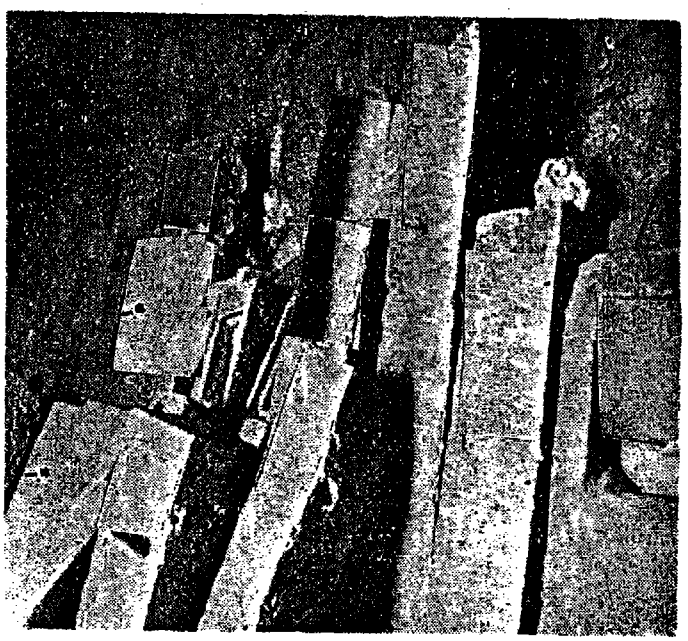

شواخص قبور حاول صانعوها ابراز معالم أصحابها
وقد أبدعوا في بعضها وخابوا في البعض الاخر .
من كتاب : Qataban and Sheba (ص٢٢٤)

ونرى في الصورة التالية تماثيل صغيرة استخرجت من مقبرة قديمة ، ويلاحظ ان الأنف دقيق ، وقد حفرت العيون حفراً ، وجعلت واسعة نوعاً ما في بعض التماثيل . وقد نقرت بعض هذه القبور نقراً في الصخور ، وهي صغيرة لا تتسع إلا لميت واحد ، ولكن المنقبين وجدوا مقابر جماعية ، تضم أفراد العائلة الواحدة .

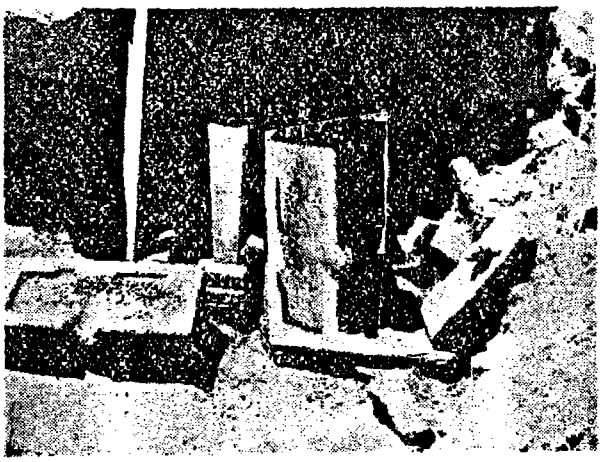

تماثيل عثر عليها في مقبرة قديمة
من كتاب « Qataban and Sheba » (ص١١٧)

وعثر في المقابر التي ضمت جدث نساء على أقراط وحلى نسائية ، وعلى أشياء أخرى تستعملها المرأة . وقد أمكن بواسطتها من تشخيص صاحبة القبر ، ومن الوقوف على مكانة أسرتها ومنزلتها . وتوجد بعض الحلى في المتاحف ، وهي

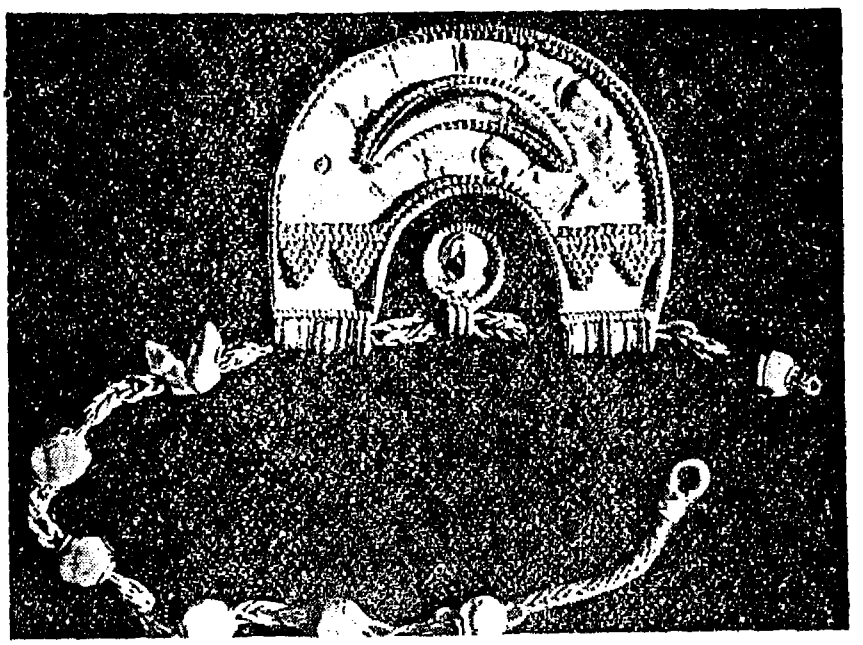

قلادة من الذهب الخالص تعود الى القتبانيين ، عثر عليها في مقبرة قديمة عند «تمنع»
من كتاب : « Qataban and Sheba » ص(١١٦)

جميلة تدل على مهارة (الصائغ) العربي الجنوبي. وفي جملة ما عثر عليه قلادة، عمل القسم الرئيسي منها على شكل هلال، بداخله زخارف، كما ترى في الصورة السابقة التي عثر على أصلها في مقبرة قديمة من مقابر (تمنع) عاصمة قتبان.

ووجدت مصوغات أخرى من ذهب، لا يزال الصاغة يصوغون من أمثالها في العربية الجنوبية وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب. منها ما يعلق على الرأس، ومنها ما يعلق على الرقبة، ومنها ما يوضع على الزند أو المرفق أو الأرجل، ويلاحظ ان لفن الصاغة في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية طابع خاص يميزه عن فن الصاغة في البلاد الأخرى. وقد وضع الصاغة شعارات دينية على بعض المصوغات تيمناً وتبركاً بها. ولهذا فمن المستحسن مقارنة المصوغات الحاليـــة مع المصوغات الجاهلية التي عثر وسيعثر عليها، للتوصل بهذه المقارنة إلى معرفة تأريخ هذه الحرفة عند العرب.

وقد وجدت مجامر قديمة في مواضع متعددة من اليمن. وقد استعمل بعضها في المعابد، واستعمل بعض آخر في البيوت حيث يحرق فيها البخور أو بعض الأخشاب ذوات الروائح الطيبة العطرة لتطييب القادم. ولا تزال هذه العادة المعروفة قبل الاسلام مستعملة في اليمن، وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب، كما في (بيشة) مثلاً، وذلك على سبيل التقدير والتكريم والاحترام[1].

---

[1] في بلاد عسير : (ص ٦٢).

الفصل الثامن عشر بعد المئة

الخزف والزجاج والبلور

الخزف : ما عمل من الطين وشوي بالنار فصار فخاراً ، وبائعه الخزّاف[1] . والفخّار : الخزف . وذكر انه ضرب من الخزف تعمل منه الجرار والكيزان وغيرها . وورد في القرآن الكريم : « من صلصال كالفخار »[2] .

والفخارة من الحرف المعروفة عند الجاهليين . ومادة الفخار الطين يسوّى على الشكل المطلوب . فإذا جف ، فخر بالنار . وأواني الشرب أي الجرار هي من أكثر الفخار استعمالاً حيث يوضع فيها الماء ، والكيزان[3] . واستعمل الفخار لخزن المواد الغذائية أيضاً ، ولحفظ الأشياء الثمينة مثل الذهب والنقود والحلي، ولأغراض أخرى عديدة ، ويكون في كل الأماكن الأثرية مادة مفيدة للآثاريين .

وقد ذهب بعض علماء اللغة إلى ان (الكوز) لفظة معربة ، عربت عن الفارسية ، وذهب آخرون إلى انها عربية أصيلة[4] ، وصانعها هو (الكوّاز) . وعرف الخزف بأنه كل ما عمل من طين وشوي بالنار حتى صار فخاراً . أما صاحبه ، فهو الخزّاف[5] .

---

١ اللسان (٦٧/٩) .
٢ الرحمن ، الاية ١٤ ، اللسان (٤٩/٥ وما بعدها) .
٣ شرح القاموس (٤٦٦/٣) .
٤ شرح القاموس (٧٦/٤) .
٥ شرح القاموس (٨٤/٦) .

وقد عثر على جرار على هيأة (الثومة) ، أي ذات عنق طويل ، وأمـا أسفلها فواسع ، في مواضع متعددة من جزيرة العرب وفي بلاد الشام . وتعرف بـ (بقبق) و (بقبقة) . وهي (بقبق) (بقبوق) في العهد القديم[1] .

وللتربة أهميـة كبيرة في صنع الخزف ، ولهذا اشتهرت بعض المواضع ذات التربة الجيدة بجودة فخارها ، فكانت تصدره الى أماكن أخرى . كما أن للعناية التي يبذلها الفخار في عجن الطين وفي تنقيته من الشوائب أهمية كبيرة في صناعة الفخارة .

ولم يشر أهل الأخبار الى الآلات التي يستعين بها الخزاف والكواز الجاهلي في صناعته . ولكن سكوتهم هـذا لا يكون دليلاً بالطبع على عدم استعانة الفخار والكواز بالآلات ، فليس من المعقول صنع أنواع الفخار بغير آلة . فإن عملها باليد وبغير آلة ، أمر يكاد يكون صعباً . وكل الخزف الذي عثر عليه ، يدل على أنه صنع بآلة ؛ لأنه على شكل منتظم . والآلة التي يستخدمها الخزاف في صناعته ، هي دولاب يدير قرصاً من الخشب ، يوضع عليه الطين ثم يحرك ، فيدور القرص ويدور الطين الذي عليه معه ، ويعالجه الخزاف بيده ليعطيه الشكل الذي يريده . ولصنع خزف جيد لا بدّ من العناية بالطين ، فيختـار ترابه من تربة جيدة خالية من الأملاح والرمال ، ثم يعجن بعناية ، ويترك مـدة ليختمر جيداً . وإلا كان الخزف رديئاً . وقد يدهن الخزف بعد جفافه بـدهن ملون أو ينقش بنقوش ، ثم يفخر بالنار .

واستخدم (الأتون) ، لتحويل المواد التي صنعها الخزاف من الطين الى خزف. والأتون هو (كورة) في أسفله موقد توقد فيه النيران ، فيرتفع لهيبها وتصعـد حرارتها من خلال فتحات تكون في قاع الأتون الذي هو سقف الموقد الى أعلى مارة بين مصنوعات الطين الموضوعة في باطن الأتون لتشويها فتتحول بـذلك الى خزف وفخار . وتكون الأتونات مرتفعة لها فتحة في أعلاها وفتحة في الجانب تغلق أثنـاء العمل ، وتفتح بعد نضوج الخزف والفخار . ولا يزال الخزافون والفخارون يصنعون بضاعتهم بهـذه الأتونات على النحو المذكور . ويذكر علماء

---

١ أرميا ، ١٩ ، ١١٠ ، Ency. Bibl. Vol. I, p. 600.

العربية أن الأتون لفظة معربة . وأنها تطلق على أخدود الجبار والجصاص وأتون الحمّام[1] .

وقد كان الجاهليون يدهنون الجرار أحياناً ، لسدّ مساماتها لمنع السوائل من السيلان منها ، فكانوا يضعون النبيذ فيها مثلاً والسمن وامثالهما . وصانعها هو الجرّار[2] . وقد كان أهل يثرب يحملون الخمر في جرار حمر ، يطلقون عليها اسم (الحنتمة) ، وذكر ان (الحنتم) الخزف الأخضر أو كل خزف[3] . وورد : الحنتم جرار مدهونة خضر كانت تحمل إلى المدينة فيها الخمر ثم اتسع فيها فقيل للخزف كله حنتم . وقد نهي عن الدباء والحنتم . وانما نهي عن الانتباذ فيها لأنها تسرع الشدة فيها لأجل دهنها . وقد أشير اليها في شعر للنعمان بن عدي :

من مبلغ الحسناء أن حليلها بميسان يسقى من رخام وحنتم[4]

وطالما استعملت الجرار لخزن الأشياء النفيسة فيها مثل الذهب والنقود والحلي وما شاكل ذلك ، إذ توضع هذه الأشياء في داخل جرة ثم تسد وتدفن حتى لا يقف عليها اللصوص والطامعون في المال . وقد عثر الجاهليون والمسلمون على كنوز كانت مخبأة في جرار طمرت تحت التراب .

والقلال من صنع الخزاف . وعرفت القلة بأنها الحب العظيم ، وقيل الجرة العظيمة ، أو الجرة عامة . وقيل الكوز الصغير . وذكر انها إناء للعرب كالجرة الكبيرة ، إلى غير ذلك من آراء ، يظهر من غربلتها ان القُلة جرة كبيرة ، بدليل ما ورد عنها في الحديث من اشارات تفيد كلها ان القُلة كبيرة . وقد اشتهرت (هجر) بقلالها ، فقيل (قلال هجر) . وهجر قرية قريبة من المدينة ، وليست هجر البحرين . وكانت تعمل بها القلال . واشتهرت الأحساء بقلالها أيضاً[5] .

وعرف (الحُب) بالجرة الضخمة وبالخابية ، وبأنه الذي يجعل فيه الماء . وذكروا

---

١ اللسان (١٣/٧) .
٢ تاج العروس (٣/٩٢) .
٣ المغرب (ص ١٤٢) ، « الحنتم : الجرار الخضر ، كانوا يحملون فيها الخمر » ، جامع الاصول (٥/٥٠٠) .
٤ تاج العروس (٨/٢٦٤ وما بعدها) .
٥ اللسان (١١/٥٦٥) .

أنه فارسي معرب[1] . وعرفوا (الخابية) بالحُب ، سمي بالخابية لأنه يستر الشيء ويخفيه[2] .

وقد عثر المنقبون على قلل وجرار وكؤوس من خزف ، وجدت على بعضها كتابات ، عثر على كثير منها في المقابر ، مما يدل على أنها دفنت مع الموتى في القبر . وقد يستنتج من ذلك أن أصحاب الموتى كانوا يتصورون أن موتاهم سيحتاجون اليها في حياتهم الثانية لشرب الماء بها ، ولذلك دفنوها معهم ، وقد يدل دفنها معهم ، على أنهم أرادوا بذلك وضع ما كان يستعمله الميت في حياته لإظهار تقديرهم للميت ، وأنهم يتنازلون عنها إليهم ، ولذلك دفنوا معه حليّه وسلاحه وما كان عزيزاً عنده ، فقد عثر في المقابر على رؤوس حراب ، وعلى سيوف وخناجر ، وسكاكين ، ولا يعقل دفن هذه الأشياء مع الميت وفي قبره عبثاً ، بل لا بد وأن يكون لهم رأي فيه .

وقد استعملوا القدور المصنوعة من الحجر ، كقدور (البُرَم) المصنوعة من حجر صلد قوي يستخرج من موضع يسمى (المعدي) لا يبعد كثيراً عن الطائف[3].

والأعراب أقل من أهل المدر استعمالاً للفخار ، وذلك بسبب وضعه وطبيعة حياته . فالفخار ثقيل وهو سهل الكسر ، ويجب بذل عناية في حفظه ، وحياة الأعرابي حياة تنقل ، ولا توجد لديه أوعية لحفظ الفخار من الكسر ، ولهذا استخدم الأدوات المصنوعة من الجلود والمعدن والخشب بدلاً من الفخار .

ومن أواني الشرب (الراقود) ، وهو دنّ ، يسيح باطنه بالقار . وذكر (الجواليقي) ان اللفظة من الألفاظ الفارسية المعربة[4] . و (القافزة) ، وهي (القاقوزة) و (القازوزة) . وهي مشربة أو قدح ، أو الصغير من القوارير والطاس[5] .

---

١ اللسان (١/٢٩٥) .
٢ اللسان (١/٦٢) .
٣ ابن المجاور (١/٢٥) .
٤ المعرب (ص ١٦٠) ، تاج العروس (٢/٣٥٦) .
٥ المعرب (ص ٢٧٣) .

أدوات مصنوعة باليد ، تمثل كفاءة وقدرة العامل اليماني ودقته في الصنعة
من كتاب « اليمن » « Yemen » لمؤلفه : « Günther Pawelke » (ص ١٦١) .

ولا بد أن يكون بين الجاهليين أناس تخصصوا بصنع الزجاج وعمله ، فقد عثر على أواني معمولة من الزجاج وعلى قطع زجاج . وقد ذكر علماء اللغة أسماء أدوات من الزجاج ، مثل (الباطية) ، وهو إناء واسع الأعلى ضيق الأسفل[1] . وذكر بعض العلماء أن الباطية شيء من الزجاج عظيم ، يملأ من الشراب ويوضع

١ المعرب (ص ٨٣) .

بين الشَّرب يغرفون منها[1] وهو (الناجود) على رأي بعض علماء اللغة[2] . وتصنع الأقداح والقوارير والقناديل والأسرجة من الزجاج أيضاً ، والمصباح ، هو السراج يصنع من الزجاج كذلك ، وفيه موضع لوضع الفتيلة عليه ، لتأخذ وقودها الذي يساعد على إدامة اشتعالها منه . وهذا الوقود هو الزيت[3] .

وقد ذكر الزجاج في القرآن الكريم: « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب درّي يوقد من شجرة مباركـــة »[4] . وذكر علماء اللغـــة أن الزجاج : القوارير ، وان الزجاجة القنديل[5] . وأن القوارير : أواني من زجاج في بياض الفضة لصفائها[6] .

والمصباح : السراج ، وهو قرطه الذي تراه في القنديل وغيره[7] . وعرف السراج ، بأنه المصباح الزاهر الذي يسرج بالليل ، والمسرجة التي فيها الفتيل[8] .

و (القنديل) ، لفظة معربة ، عربت عن اللاتينية من لفظة Candela . وتعني مصباح وسراج ونبراس . وتقابل لفظة (نبراس) لفظة (نبرشتا) Nebrastha في لغة بني إرم . ولفظة (منوراه) (منوره) Manorah في العبرانية[9] .

والقنديل ، لفظة أعجمية تخصصت بالمصابيح المحمولة . وقد يعلق القنديل وقد يتصل برجل تحمله . وتقابله لفظة (نبرشتا) في لغة بني إرم . أي (النبراس) في عربيتنا . و (منوره) (مينوره) في العبرانية . وقـد أشير إلى القناديل في التوراة . وتستعمل في المعابد وفي بيوت الأغنياء . وقد تصنع من الذهب والفضة والبرونز ، على أشكال متنوعة[10] .

---

١ المغرب (ص ٤١) .
٢ شرح القاموس (١٠/٣٧) ، (٢/٥١١) .
٣ شرح القاموس (٢/٥٢ ، ١٧٥) .
٤ النور ، الاية ٣٥ .
٥ اللسان (٢/٢٨٧) .
٦ اللسان (٥/٨٧) .
٧ اللسان (٢/٥٠٦) .
٨ اللسان (٢/٢٩٧) .
٩ Ency. Bibl. Vol. I, p. 644.
١٠ شرح القاموس (٨/٨٨) ،
Ency. Bibli. Vol. I, p. 644, ff. Hastings, Vol. I, p. 348.

ومن مصنوعات الزجاج (المرآة) . وهي (مرات) في العبرانية أيضاً . وقد صنعت من المعادن المصقولة كذلك مثل النحاس. ووردت في التوراة لفظة (هجلونيم) فسرت بمعنى (مرآة اليد)[1] ، وتعني (المجلاة) في عربيتنا . والكأس ، هو إناء الشرب ، يشرب به . ويصنع من مواد مختلفة فقد يكون من الزجاج وقد يكون من معدن مثل الذهب أو الفضة أو الحديد وقد يكون من فخار . ويقال له (كوس) عند العبرانيين[2] . وقد ينقش ويحلى بزخارف وباللؤلؤ والحجارة الكريمة . وقد ذكر (الكأس) في القرآن الكريم .

والراووق ، المصفاة ، وقيل : الباطية والناجود . وذكر بعض علماء اللغة ان الراووق الكأس . وقد وردت اللفظة في شعر لعدي بن زيد العبادي :

قدمته على عقار كعين الديك صفى سلافَهُ الراووقُ[3]

وقد عرف أهل العربية الجنوبية (البلور) لوجوده في اليمن وفي أماكن أخرى. وهم يستخرجونه من نوع خاص من الحجر ويصقلونه بعناية ، والغالب عليه اللون الأبيض غير ان بعضه ذو ألوان أخرى ، هو لون الحجر الذي أخذ منه .

ولا يزال أهل اليمن يمارسون صقل الحجارة الكريمة التي يستخرجونها من بعض الجبال ، مستعملين في ذلك الماء والتراب الناعم على حجارة رملية ويصنعونها بأشكال مختلفة ويستعملونها في صنع الحلي . وهي ذوات ألوان متعددة : بيض وسُود وخُضر وزرق وصفر وحمر ، ومنها ما يجمع عدة ألوان ممتزجة . ويعد جبل نقم وجبل الغراس من أهم المواطن التي تستخرج منها مثل هذه الحجارة على مقربة من صنعاء[4] .

وقد عُني العرب الجنوبيون بشق الطرق وتمهيدها ، وبعمل القناطر والجسور وقد بلّطوا بعض الطرق بالحجارة وبمادة تشبه (السمنت) ، وترى اليوم بقايا قناطر عملوها في الأودية للعبور عليها ، وقد دمر الكثير منها بسبب الحروب

---

١ Hastings, Dict. Vol. II, p. 181.

٢ Hastings, Dictl. of the Bible, Vol. I, p. 533.

٣ شرح القاموس (٦/٣٩٣) .

٤ العظم (الصفحة ١٣٦) .

والاهمال . ونرى في الصورة بقايا قنطرة جاهلية وقد تطرق اليها الخراب من كبر العمر . وقد عملت على وادٍ يفصل بين الجبال .

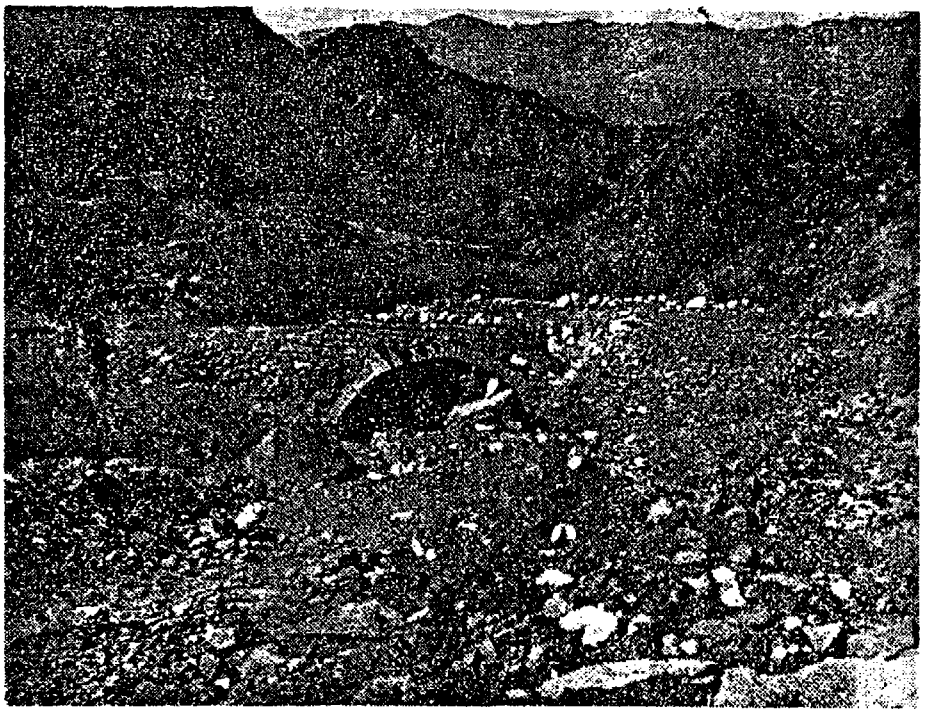

منظر طريق جبلي قديم
من كتاب : Jemen (ص ١٣٦)

الفصل التاسع عشر بعد المئة

الفنون الجميلة

وبين الآثار التي عثر عليها الرحالون ، أو نقلت إلى بعض متاحف الغرب ، عدد من التماثيل والصور المنحوتة على الحجارة ، وهي قليلـــة في الوقت الحاضر لا تعطينا فكرة واضحة عن الفن العربي الجنوبـي ، وبعضها يمثل فناً عربياً جنوبياً أصيلاً ، فلا يشبه المنحوتات اليونانية أو الرومانية ، أو المصرية ، أو الايرانية ، أو غيرها،وبعض آخر له شبه بفن بعض هذه الشعوب،مما حمل المستشرقين على أن يذهبوا إلى أن هذا التشابه هو نتيجة تقليد ومحاكاة لذلك الفن[1] .

ونلاحظ على هذا التمثال الذي عثر عليه في مقبرة قديمة عند (تمنع) عاصمة (قتبان) ، ويعود عهده إلى القرن الأول أو الثاني قبل الميلاد ، ان المثّال حاول جهد إمكانه اعطاء تمثاله الذي صنعه طابعاً عربياً جنوبياً ، لكنـــه لم يتمكن من ذلك ، وقد دوّن في أسفله اسم صاحبه ، وهو (جبـا ام هنعمت) ، (جبأ أوام هنعمت) .

ومن الصعب إصدار حكم عام على الفن العربي الجنوبي استنـــاداً الى هذه التماثيل والصور المنحوتة أو البارزة ، لأنها قليلة غير مغنية وغير كافية لإصدار حكم

---

١ Handbuch, I, S. 165.

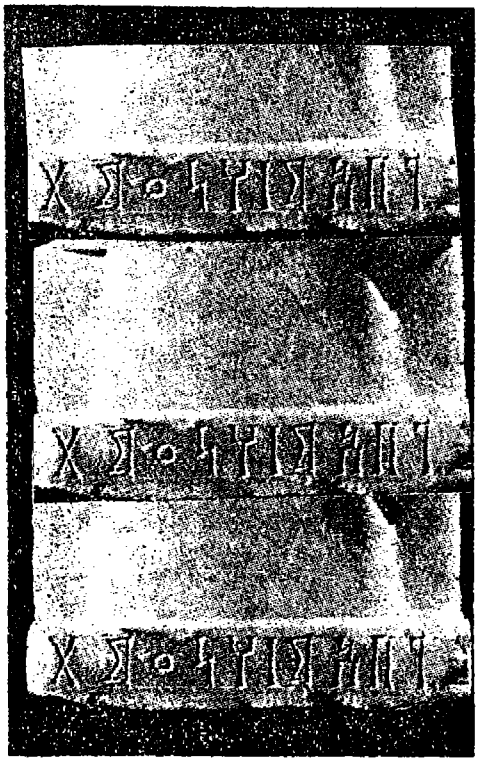

تمثال رجل اسمه « جبأ أوم هنقمت » عثر عليه في مقبرة قديمة عند « تمنع » يعود تاريخه الى القرن الاول أو الثاني قبل الميلاد .

من كتاب Qataban and Sheba (ص ١٢٤)

في هذا الموضوع . ثم هي من صنع أيد متعددة ، فيها أيدٍ قوية ذات موهبة ، وفيها أيدٍ ضعيفة انتاجها بدائي يشبه فن البدائيين ، لا تناسق فيه ولا تناسب بين الأجزاء . وقد نشأ ذلك بالطبع عن تفاوت مواهب المشتغلين بهذه الصناعات وعن وجود أناس اتخذوا الحفر في المرمر حرفة يتكسبون بها ، وقد يكون لأنهم ورثوا تلك الحرفة ، فاشتغلوا بها ، مع عدم وجود قابليات فنية لديهم .

وقد عبر عن النحات ، أي المثال الذي يصنع التماثيل بلفظة (هصنع) ، أي الصانع في اللغة اللحيانية . ويعبر عن صنع التمثال بلفظة (نحت)[1] ، أي حسب تعبيرنا عن نحت التماثيل في الوقت الحاضر . وتطلق لفظة (هصنع) على الرسام

---

١ راجع النص ٨٣ في كتاب : W. Caskel, S. 118

كذلك وعلى المعمار[1] .

ويلاحظ أن الفن العربي الجنوبي مثل أكثر الفنون الشرقية الأخرى، لا تجاري الفن اليوناني في هيأة الجسم في موضوع إبراز جماله[2] . فإذا ما نظرت الى تمثال أو صورة بارزة أو حفر عربي جنوبي ، ترى فرقاً واضحاً بين عمل الفنان في هذه الصور وعمل الفنان الهلليني اليوناني المعاصر له . ففي عمل هذا الأخير ترى عملاً فنياً جميلاً راقياً ، يبرز جمال الفن وروحية (الفنان) ، وهو عمل يقرب القطعة المعمولة الى قلبك ، ويجعلها تؤثر فيك تأثيراً عميقاً ، على حين لا ترى مثل هذا الإبداع في الفنون الشرقية في الغالب .

وفي الفن اليوناني تناسق وتناسب بين الأجزاء . راعى الفنان فيه النسب الطبيعية للجسم فمثلها في تماثيله ، وأظهرها بمظهر يشعرك بقوة فنه وبتمكنه من التعبير عن أحاسيسه . أما الفن الجاهلي ، عموماً عربي جنوبي أو من موضع آخر ، فإنه لم يتمكن من تحقيق هذا التناسق ولا النسب ولا الاتساق والتوازن بين الأعضاء . ولم يتمكن الفنان مع كل ما بذله من جهد من اظهار الجمال الفني على القطع التي صنعها ، ولا من اعطائها حياة ودماً وروحاً أخاذة تجعلك تشعر انك أمام فنان عبر عن إدراكه الفني وعن الحس الذي يشعر به أحسن تعبير بأية طريقة أو مدرسة من مدارس الفن . وبأية وسيلة من وسائل التعبير عن الذوق الفني الذي تملك الفنان فجعله يعبر عنه بطريقته التعبيرية الخاصة بهذا الانتاج المجسم لروحه والذي نسميه الفن .

ولا تملك المتاحف في الوقت الحاضر تماثيل جاهلية بالحجم الطبيعي للانسان . ويظهر ان اعتبار كثير من الناس للتماثيل أصناماً قد أدى بهم إلى اتلافها والقضاء عليها . وهناك أمثلة عديدة تؤيد هذا الرأي ذكرها القدامى والمحدثون . بل إن هذه النظرة لا تزال عند البعض . ثم إن الناس لم يكونوا يدركون قيمة الأثر في حفظ تأريخ أمتهم ، ولهذا فلم يكونوا يهتمون بالتماثيل ولا بالأحجار المكتوبة ولا بكل أثر من الآثار . وتوجد اليوم قطع تماثيل يظهر انها من تماثيل حطمها الانسان بيده وهشمها بنفسه ، إما للقضاء على معالم الوثنية المتجسمة في نظره في هذا

---

١ راجع النص رقم ٣٢ في كتاب : W. Caskel, S. 93

٢ Handb. der altar. alter I, S. 166.

التمثال ، وإما للاستفادة من أحجاره في أغراض البناء أو أغراض أخرى تفيده . ومن بينها رؤوس تماثيل أو أقدام تمثال ، أو جسم تمثال بلا رأس ولا أرجل . أما التماثيل الصغيرة ، فقد وصل عدد منها دون أن يمسها أي سوء . وقد استخرج عدد منها من باطن الأرض ، استخرجه المنقبون والمواطنون الذين أخذوا يحفرون التلول الأثرية للبحث عن أثر يبيعونه لتجار العاديات . وتجد في دور المتاحف وعند جماع العاديات عدداً منها .

ومن بين التماثيل الكاملة التي تستحق الدراسة والانتباه ثلاثة تماثيل للملوك من مملكة (أوسان) . يبلغ ارتفاع احداها (٨٩) سنتمتراً . وقد نحتت من المرمر . وهي تمثل مرحلة من مراحل التطور في فن النحت عند العرب الجنوبيين . وقد حاول النحات جهد امكانه بذل أقصى ما عنده من فن وقابلية وموهبة في اعطاء هؤلاء الملوك ما يليق بهم من جلال ووقار ومظهر ، وإبراز ملامحهم وملابسهم ، ولكنه فشل في نواحٍ ووفق قدر استطاعته في نواحٍ . وقد نحت شعر الرأس وجعله متدلياً طويلاً مجعداً . وجعل للتماثيل قواعد استقرت عليها ، دوّن عليها أسماء أصحابها . وقد اختلف الباحثون الذين بحثوا في خصائص النحت البارزة على هذه التماثيل في تقدير عمرها ، فذهب بعض منهم الى أنها ترجع الى القرن السادس أو الى القرن الخامس قبل الميلاد ، وذهب بعض منهم الى أنها ترجع الى القرن الأول قبل الميلاد ، بينما رأى آخرون أنها من نحت القرن الأول بعد الميلاد[1] .

وهناك تماثيل صغيرة لرجال ونساء وأطفال بعضها من حجر وبعضها من معدن تكشف لنا عن عادات وتقاليد المجتمع في ذلك العهد . في مثل الكشف عن الحلي التي كانوا يحلّون بها جيد المرأة وعنقها ، أو التي تحلى بها الأيدي أو الأرجل ، كما تكشف بعضها عن ملابس المرأة والرجل والأطفال في تلك الأوقات ، ولهذا فإن لهذه التماثيل أهمية كبيرة لا من الناحية الفنية حسب ، بل من الناحية التأريخية أيضاً لأنها تتحدث عن العوائد الاجتماعية كذلك .

وتعبر بعض شواخص القبور عن شعور الحزن والأسى في نفس من أمر بحفر

---

١ A. Grohmann, S. 222.

تلك الشواخص أو نحتها . فقد حرص صانعها على أن تكون معـبرة عن المناسبة التي عملت من أجلها على أكمل وجه . وأكملها برموز واشارات دينيـة لها صلة وعلاقة بالحياة الثانية ، وتزيد في فوائد هذه الشواخص بالنسبة لعمـل الباحث ، التماثيل التي وضعت مع الميت في قبره ، لتعبر عنه . فهي تعبير آخر عن هـذا الشعور المؤسف في شكل آخر من أشكال الفن .

وقد كانت العادة آنذاك ، دفن تماثيل مع الموتى ، أو صوراً محفورة عـلى الصخر ، فقد عثر في مصر وفي الحجاز وفي بلاد الشأم على مثل هذه التماثيـل مدفونة في القبور ، على مقربة من الأجداث . بعضها تماثيل رجال وبعضها تماثيل أطفال ، ومن النادر تماثيل نساء ، ولعل ذلك بسبب النظرة الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العهد ، من إعطاء الأولوية للرجل في المجتمع ثم للأولاد الذكور .

ونرى في هذه الصورة رأس رجل عربي جنوبي ، حفر النحات عيني الرجل حفراً ، وجعلها واسعة ، فبدتا وكأنهما قد قلعتا ، وأوصل اللحية بشعر الرأس، حتى أحاط الشعر بالرأس والوجه ، وصار كأنه هالة . أما الفم ، فصغير مفتوح، ولم يتمكن النحات من حفره حفراً يقارب الطبيعة ، ولم يتمكن كذلك من إبراز معالم الأنف . أما الجبين فأملس ، وأما الوجنتان ، فلساوان كذلك ، وأما الحجر المنحوت ، فمن الرخام .

وإذا قارنت هذا التمثال والتماثيل العربية الجنوبية بالتماثيل اليونانية ، أو بالتماثيل اليونانية التي عثر عليها في جزيرة (فيلكا) في الكويت ، تجد فرقاً عظيماً من النواحي الفنية ؛ فالفنان اليوناني له إدراك عظيم للقيم الفنية ، له قدرة عظيمة على

إبراز الملامح ، وفي تقدير النسب بين الملامح وأعضاء الجسد ، ثم هو متمكن تماماً من كيفية إظهار الحاجبين وحفر الأنف ، وابراز العينين . ومع مرور مئات السنين على الفن اليوناني، فإنك تستطيع أن تجد فيه حتى يومنا هذا الإبداع والجمال والاتساق والانسجام . خذ هذه الصورة ، التي هي تمثال من الطين المحروق ، عثر عليه في جزيرة فيلكا ، ويعود عهده إلى حوالى (٢٠٠) سنة قبل الميلاد ، ثم قارنه بصور التماثيل التي عثر عليها في العربية الجنوبية ترى فرقاً كبيراً جداً بين الفنين .

تمثال من الطين المحروق من القلعة اليونانية حوالي ٣٠٠ ق٠م٠ من جزيرة فيلكا ٠

ولكننا نجد مع ذلك في الفن العربي الجنوبي ، محاولة تستحق التقدير ، تظهر في طموح الفنان العربي الجنوبي ورغبته جهد إمكانه في اظهار شخصيته ومواهبه الفنية ، وهو لو وجد التقدير الذي كانت يظهره اليونان للفن ، لأبدع ولا شك ابداعاً كبيراً في عمله الفني .

وقد عبر الفنان العربي الجنوبي عن مشاعره بطريقة أخرى ، هي طريقة الحفر على الحجر أو المعدن أو الخشب أو أية مادة أخرى يمكن الحفر عليهـا . وذلك بطريقتين : طريقة الحفر أي نقش الصورة أو ما يراد تخليد أثره على المادة حفراً كأن تحفر صورة إنسان أو حيوان حفراً عليها بأن تجعل معالم الصورة محفورة حفراً، عميقاً نازلاً في تلك المادة . فالحفر في هذه الحالة هو رسم محفور . وطريقة الحفر البارز ، وذلك بجعل الأثر المراد تخليـده بارزاً ظاهراً فوق سطح المادة التي حفر عليها . وذلك بأن يؤشر معالم ما يراد تخليده ويرسم ، ثم يحفر ما حوله من سطح المادة التي رسم عليها ، فتبرز الصورة وترتفع بهذا الحفر عن سطح تلك المادة .

وعثر على عدد من تماثيل الحيوانات ، نحتت من المرمر ومن أحجار أخرى ؛ فعثر على تمثال بقرة ، وعثرت بعثة (وندل فيلبس) على تماثيل ثيران في خرائب مأرب . كما عثر بعض الباحثين على تماثيل أسود أو خيل[1] . وقد تمكن الفنـان من التعبير عن موهبته الفنية في بعض المنحوتات ، وأجاد في إبراز مظاهر بعض أعضـاء جسم تلك الحيوانات التي نحتها . وقد وصلت بعض هذه التماثيل وهي مهشمة ، وقد فقدت بعض منها بعض أجزاء جسمها ، فأضاع هذا الفقدان على الباحثين امكانية اعطاء رأي فني علمي عن هذه المنحوتات .

ومن الصعاب التي اعترضت (الفنان) العربي الجنوبي مسألـة التعبير عن الحركات ، ورسم الأشياء المتجاورة ، والتمييز بين البعيـد والقريب ، والتفريق بين المنازل الاجتماعيـة ، كالسيدة المصون صاحبة البيت وبين خادمتها . وهي مشكلات تواجه كل فنان ،ولا يتغلب عليها بالطبع إلا من له قدرة وعلم بالتصوير والنحت . ومن جملة النواقص التي نلاحظها على الصور المحفورة أن أكثر القطع المحفورة لم تتمكن من التنسيق بين وضع صاحب الصورة . فبينما نجد الوجه مثلاً وهو متجه الى الأمام ، كأن صاحبها ينظر اليك ، نرى الساقين والقدمين جانبيتين وهذا الوضع لا يتناسب بالطبع مع وضع القسم الأعلى من الجسم .

وقد نشأت عن صعوبة التعبير عن الأشياء المتجاورة ،مثل رسم ثورين متجاورين يجران محراثاً ، أو فرسين مربوطتين معاً في محراث، مشكلة لم يتمكنوا من التغلب عليها ، فلجأوا الى طريقة بدائية في الغالب ، يتحدث وضعها عن هذا العجز ،

---

١ A. Grohmann, S. 224

هو رسم أحد الحيوانين مثلاً ، وكأنه تحت الحيوان الثاني المجاور له ، وذلك كما نرى في الصورة التي تمثل فلاحاً يحرثه ويجرّ محراثه ثوران ، فوضع الفنان الثور الجانبي الأيمن فوق الثور الجانبي الأيسر ، ظاناً ان ذلك قد عبر عن هذا الوضع، فبدا الثوران وكأن أحدهما قد ركب الآخر[1] .

وقد عثر على لوح يمثل وجه انسان مستدير ، رسم كأنه مع الجبين دائرة كاملة . وقد حفر الشعر على صورة قوس يكاد يحيط بالوجه إلا الحنك ، وقد برز الشعر متموجاً ، وقد فصلت بين الأمواج قواطع جعلت الشعر خصلاً . أما العينان فصغيرتان بالنسبة الى الأنف . وبدا الفم مقفلاً وقد حلق صاحب الرأس ذقنه ، وترك له شاربين طويلين يتصلان بالشعر المتدلي من الرأس . أما الأذنان فقد اختفتا تحت الشعر ولا أثر لهما في الصورة . والرقبة غليظة وقد أحاطت بها حيتان ارتفعتا الى أعلى على هيأة قوس . ويظهر في هذه الصورة أثر الفن الساساني[2] .

وقد عبر النحات عن تجعد شعر الرأس بحفره بصورة تشعرك انه يعبر عن شعر متجعد . وذلك بإحداث ثغرات تظهر الشعر وكأنه عقد ، وقد جعله متدلياً الى الكتفين ، أو نازلاً على الجبين حتى الحاجبين ، ولأجل أن يريك العينين وكأنهما في صورة طبيعية وضع أحجاراً ملونة أو أصباغاً في بعض الأحيان على باطن العين لتظهر التمثال وكأنه بعينين حقيقيتين تنظران الى الأشخاص[3] .

وحال حفر الأزهار وعناقيد العنب ورؤوس الحيوانات وبعض الكروم هي خير من حيث الإجادة من تصاوير الإنسان أو الحيوانات كاملاً . وقد عثر على قطع رسمت فيها التيوس وهي من الحيوانات الكثيرة في اليمن ، وقد رسمت بصورة تتمثل فيها القوة والحيوية[4] .

وقد استعمل العرب الجنوبيون الكروم كثيراً للزخرفة ، ولا يستبعد ذلك منهم فالكروم من النباتات المحبوبة الكثيرة في اليمن . وقد درّت عليهم أرباحاً طائلة واستعملت للأكل وللشرب . وهي تعطي نبيذاً طيباً وخمراً مشهوراً . فلا غرابة إذا

---

١ Handb. der altar. alter. I, S. 167.

٢ Hand. der altear. alter. I, S. 168.

٣ Arablen, S. 274 f.

٤ Handb. der altar. alter. I, S. 168, A. Grohmann, Göttersymbole, S. 60.

ما استعملوه بكثرة للزينة ، يحفرون صوره في اطارات الألواح أو الصور ، أو يكبسون صوره في الجبس .

وعثر على قطع فنية نفيسة ، من الحجر النفيس الغالي المحفور ،أي من الأحجار الكريمة ، حفرت عليها صور ذات صلة بالأساطير الدينية ، مثل القطعة النفيسة المحفوظة في المتحف البريطاني ، ويظهر انها من صنع فنان قتباني ، حفر عليها أيلين أو وعلين وقد وقف كل واحد منهما على جانب، وقفا على القدمين الخلفيتين ورفعا القدمين الأماميتين الى أعلى ، وصور النحات القدم المقابـــل للشخص الذي يقابل القطعة أو ينظر اليها وقد عقف ، أي بوضع منحن . أما القدم المقابل للقدم المعقوف ، فلم يتمكن النحات من اعطائها الوضع الصحيح . ونجد رأسي الحيوانين وقد اتجها الى الداخل ، فكأنهما يريدان الكلام مع بعضهما أو الالتقاء ، ولاظهار قرني الحيوانين معقوفين ، نحت النحات عليها نحوتاً على شكل (الجزر) ، أو الورق الرفيع . ووضع للحيوانين ذيلين قصيرين ، وقد جعل آلة الذكر للحيوانين منتصبتين . وجعل تحت القدم المرتفع لكـل حيوان رمزاً ، له فم مفتوح متصل برقبة أو بجسم ينتهي بدائرة صغيرة ، ثم بما يشبه كرة قائمة على ثلاثة أرجل . ووضع بين الحيوانين (طغراء) قراءته : (اب عم) ، (ابـي عم) ، أي (أبى) (عم) إلـه قتبان[1] .

وبين الأحجار الكريمة المحفورة التي عثر عليها في خرائب اليمن ،أحجار أصلها من العراق ومصر ومن أحجار يونانية من أيام القياصرة ومن العصور الهيلينية ، وقـد نحتت على بعض منها حروف بالمسند المعبرة عن بعض المعاني الدينية أو عن أسماء أصحابها[2] . وهي تستعمل خاتماً في الأصابع ، وتختم بها الوثائق والرسائل .

وقد وضعوا (الدُّمَى) على ألواح الأبواب ، إما للزينة ، وإمـا لدفع الشر والأذى أو للتبرك والتقرب . وقد قيل ان (الدمية) الصورة المصورة أو الصنم[3] . وقد عرفـــوا (الدُّمية) بالصورة وبالصنم وبالصورة المنقشة بالعاج ، ونحـــوه . وعرّفوها أيضاً بالصورة المصورة لأنها يتأنق في صنعتها ويبالغ في تحسينها[4] .

---

١ A. Grohmann, Göttersymbole, 56, Abb. 141, A. Grohmann, S. 241.

٢ A. Grohmann, S. 242.

٣ البرقوقي (ص ٢١٩) .

٤ اللسان (١٤/٢٧١) .

وقد اتخذ العرب الجنوبيون من الحجر أثاثاً لهم ، فنحتوا منه أسرّة وعروشاً . وقد عثر على قطع من المرمر ، هي من بقـــايا عروش أو كراسي عملت لبعض الأغنياء . وعثر على كراسي مصنوعة من أحجار أخرى . كما عثر عـلى صناديق صنعت من حجر ، وقد زوّقت واجهاتها وزخرفت وحفرت عليها بعض الصور التي تمثل الأوراق والنباتات والأزهار والنوافذ أو واجهات البيوت[1] .

واتخذوا من الحجارة مذابح Altars . وللمذابح مكانة في الطقوس الدينية ورسوم العبادة عند الجاهليين . ويقال لها : (مذبحت) و (مذبح) و (حردن) . تذبح عليهـــا حيوانات كبيرة مثل ثيران . وقد عثر على نماذج منها في مختلف المعابد[2] . وقد زين بعض منها وزخرف بصور حيوانات حفرت عليها أو نحتت كما حفرت عليها رموز لها علاقة بالعبادة والآلهة . وهي تفيدنا من هـــذه الناحية في الوقوف على فن الزخرف والنقش وعـلى كل ما له من علاقـــة بالحياة الدينية عند الجاهليين .

وللمباخر والمجـــامر والمحارق أهمية أيضاً بالنسبة لمن يريد الوقوف على الفن الجاهلي . وقد عرفت المحارق بـ (مصرب) و (مشود) . وهي مواضع لحرق ما يقدم الى المعبد من ضحايا عليها[3] . وعرفت المجامر بـ (مسلم) ، وأمـــا المبخرة ، فهي (متطر)[4] . وقد عثر على نماذج عديدة منها . وقد صنعت من مواد مختلفة من مرمر ومن معادن . مثل البرنز أو الذهب أو الفضة . وقد تفنن في صنعها ، وبعضها مفتوح ليس له غطاء ، وبعض آخر له غطاء . وقد نقش على بعض منها اسم الطيب الذي يحرق بالمجمرة ، واسم صاحبها والمعبد أو الإلـه الذي خصصت به .

ولم يصل إلينا ويا للأسف من مصوغات الذهب والفضة شيء كثير . والصياغة صناعة اشتهر بها العرب الجنوبيون ، حتى بالغ في ذلك بعض الكتـاب اليونان ، فأشاروا الى أوانٍ وأثاث وأدوات منزلية أخرى مصنوعة من الذهب والفضـة[5] .

---

١ A. Grohmann, S. 243.

٢ Arabien, S. 247 f.

٣ Arabien, S. 248. Rep. Epig. 4708, 4839.

٤ Arabien, S., 248, A. Grohmann, Südarabien als Wirtschaftsgebiest, I, 115. f., C. Thompson, The Tombs and Moon Temple of Hureidha, 49.

٥ De Mari Erythraeo, 2, Strabo, XVI, 778, Handb., I, S. 171.

ولكننا لم نر شيئاً مما ذكروا ، ولم يروا هم ذلك أيضاً بالطبع ، وإنما رووا ذلك عن طريق السماع .

ويعرف الذهب بـ (ذهب) في العربيات الجنوبية . وأما الفضة ، فيقال لها (صرف)[1] . وقد وردت أرض (شبا) في جملة الأماكن التي مونت العبرانيين بالذهب ، حمله اليهم تجار (شبا)[2] .

وترد في الكتابات جمل مثل : (قدم تمثالاً من ذهب) ، مما يدل على أن العرب الجنوبيين كانوا ينذرون الى آلهتهم إن منت عليهم وأجابت طلبهم بأن يقدموا لها نذراً هو تمثال من ذهب . غير أن الباحثين لم يعثروا حتى اليوم إلا على عدد محدود من تماثيل صيغت من ذهب ، بل عثروا على تماثيل من البرنز . لذا ذهب بعضهم الى ان العرب الجنوبيين قصدوا بكلمة (ذهبن) ، أي (الذهب) ، معدن البرنز ، وذهب بعضهم الى أنهم قصدوا معادن طليت بماء الذهب[3] .

وفي جملة ما هو محفوظ من أعمال الصاغة ، قلادة جميلة من الذهب عثر عليها في خرائب مدينة (تمنع)[4] سبق أن وضعت صورتها قبل صفحات . وقلائد أخرى وصفائح من الذهب حفرت عليها صور بعض الحيوانات . كما عثر على معادن مطلية بطبقة من ذهب[5] .

وقد وصلت قطع فنية نفيسة مصنوعة من المعادن ، تدل على ذوق عال وعلى مهارة في الصنعة واتقان . من ذلك مصباح يضيء بالزيت ، مصنوع من البرنز يتكيء على قاعدة . أما موضع الزيت ، فينساب انسياباً جميلاً ، وقد صنع بشكل متناسق ، وارتفع فوق المصباح من الطرف العريض تمثال (ايل) جميل جداً ربطه بالمصباح حزمة انفتحت عند اتصالها بالمصباح على هيئة أصابع يد . فلما ارتفعت ، اتصل بعضها ببعض على هيأة ضفيرة ، الى موضع اتصالها بالأيل . وقد انكسرت يدا الحيوان وكانت ممتدة . أما الرقبة والرأس والقرنان ، فقد صنعت بدقة ومهارة ، وعلى الجملة ان القطعة تدل على تطور كبير في فن الصناعات اليدوية عند العرب الجنوبيين ، وذلك كما نراه في الصورة المذكورة .

---

١ Rhodokanakis, Stud., II, S. 167.

٢ حزقيال : الاصحاح السابع والعشرون ، الاية : ٢٢ .

٣ A. Grohmann, S. 230.

٤ W. Phillips, Qataban and Sheba, p. 114.

٥ A. Grohmann, S. 242.

ونرى في قطعة أخرى مصنوعة من البرنز فناً وخيالاً ، نرى رجلاً قد وضع على رأسه غطاءً يشبه الخوذة ، وأمسك بيديه أسدين ، فاليد اليمنى أمسكت بيد أسد ، واليد اليسرى أمسكت بيد الأسد الآخر وقد أدار الأسدان رأسيهما الى الجانبين ، وكأنهما يتلويان من شدة القبض عليهما ، وإن كانت لا تمثل أجزاء الأجسام تمثيلاً كاملاً ، تعطي انطباعاً حسناً ، وتعبر عن الفكرة تعبيراً طيباً[1] .

وهناك قطعة مصنوعة من البرنز كذلك ، تمثل منظراً رمزياً : ففي الوسط راقص يشبه شكله شكل الشيطان في الأساطير ، وقد اتصل فوق رأسه ، وعلى الغطاء عمود يحمل طيراً مادّاً جناحيه . ويقابل الطائر أيلان ، انتصب كل أيل على جانب من جانبي الطير ، وكأنهما يتقاتلان، ويحمل الأيلان حيوانين[2] .

ونرى في هذه الصورة تمثالاً من البرنز لثور يرمز إلى الإلـه القمر ، وقد عثر عليه في (ظفار) .

تمثال مصنوع من البرونز يمثل اله القمر عثر عليه في ظفار .

من كتاب Qataban and Sheba (ص ٣٠٥)

---

١ Handb., I, S. 172.

٢ راجع الصورة المرقمة ٦٨ والمنشورة على الصفحة ١٧٢ من كتاب :
Handb., I, S. 172.

ونرى في هذه الصورة تمثال رجل صنع من النحاس ، تظهر على شعر رأسه نتوءات بارزة كأنها الخرز ، ربما تمثل زينة ، أو تعبر عن شعر صاحبها المتموج. أما الوجه ، فلا يمثل وجه أهل اليمن ، بل كأنه يمثل وجهاً لـ (بوذا) ، أي وجهاً متأثراً بالفن الهندي الصيني القديم . الأنف فيه ضخم ، والفم كبير ، وقد غطى الجسم بقميص له رأس يغطي الرقبة ويصل الى الحنك،وتجد القميص مفتوحاً تحت الخصر ، وأما أعلى القميص فمغلق ، وقد شد على الخصر (خنجر) مستقيم، على طريقة أهل اليمن في حمل الخناجر الى هذا اليوم ، وقد مدّت اليـــد اليمنى الى أعلى ، وظهرت أصابع الكف واضحة مفصلة . أما اليد اليسرى ، فقد مدت الى أعلى قليلاً ، وكفها مقبوض ، مكوّناً ثقباً ، يظهر أنه صنع لوضع عصا في الثقب ، أو شيئاً آخر يرمز الى سيادة ومنزلة اجتماعية . ونجد الجسم لا يتناسب مع ضخامة الرأس والكتفين ، فهو ضئيل ضعيف . ونجد الأذن صغيرة بالنسبة الى الرأس . وقد وضعت في مقدم الشعر . ونرى ان الوجه حليق ، مما يدل على أن

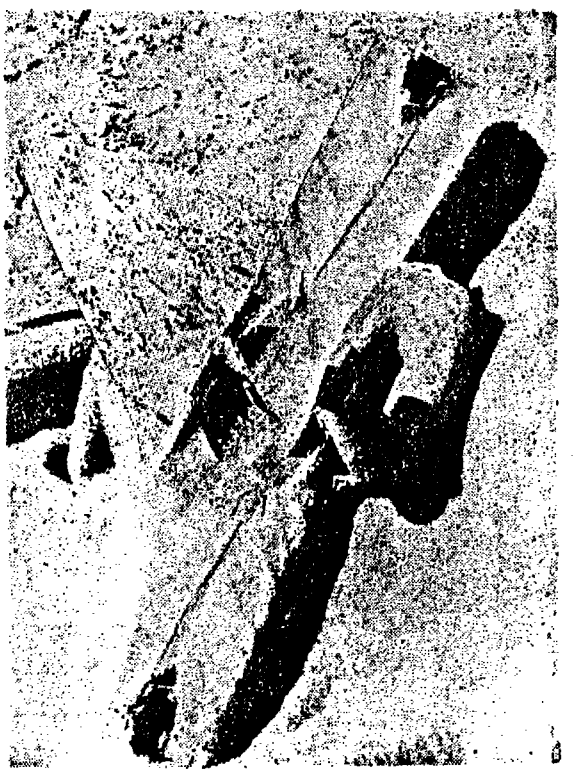

بعض الناس كانوا يحلقون شعر أوجههم في تلك الأيام . وأما الرقبة فغليظة [1] .

وهناك قطع أخرى هي عبـارة عن تماثيل بشر أو حيوانات مثل حيات أو جمال أو خيل أو جرذان وأمثال ذلك ، وقد صنعت من البرنز كـذلك ، بعضها في غاية الجودة والاتقان . ومن بين هذه القطع المتقنة عصا انتهى طرف منها على هيأة أفعى ، نرى فيها الأناقة والرشاقة ، وعصا أخرى رأسها على هيئة حيّـة وقـد تدلى الى أسفل . والقطعتان من الصناعات المتأخرة ومن أواخر أيام دولة حمير [1] .

وبين القطع القديمة المصنوعة من البرنز ، تمثال رجل ماش يبلغ ارتفاعه (٩٣) سنتمتراً ، رجله اليسرى متقدمة على اليمنى ، ويرى القسم الأعلى من الجسم عارياً إلا من جلد أسد أو فهد لف على الظهر ، ويتصل طرفاه بالصدر . أما الوركان فقد غطيا بمئزر شد على الجسم بحزام عريض . وقد جعل المثال الرأس وكأنـه قد غطي بخوذة مجعدة ، كناية عن الشعر ، وقد تدلى على الجبين . ووضع شيئاً أشبه بالريشة للمحافظة على الشعر ، وجعل للرجل لحية عبر عن تجاعيد شعرهـا بعقد . وجعل العينين واسعتين ، أما الأنف فكبير ملتحم ، وأمـا الفم فصغير . وأما الجسم عموماً ، فهو نحيف . وقد عثر على هذا التمثال في المدخل المؤدي الى (حرم بلقيس) [3] . ويرى بعض الباحثين أنه يعود الى القـرن السابع أو السادس قبل الميلاد . وأن صاحبه كان من كبار الموظفين في أيامه ، وربمـا كان بدرجة حامل أختـام الملك أو كاتم أسراره ، وقد قدم التمثال تقربة ونذراً إلى الإلـه (المقه) . ووجد اسم صاحبه مدوّناً على الكتف الأيسر منه ، وهو (معدكرب) (معديكرب) [4] .

وبين التماثيل المصنوعة من البرنز تمثال امرأة وهي ترقص ، وقد لبست فستاناً طويلاً يمتد على سروال ، وكأنه يمثل الزي الفارسي القديم ، المعروف في العراق،

---

١ Archaeological Discoveries in South Arabia, p. 270.

٢ Handb., I, S. 173.

٣ A. Grohmann, S. 232.

٤ Jamme, Sahaean Inscriptions on two Bronze Statues from Marib, JAOS, 77, 1957, 32, 35, A. Grohmann, S. 232.

وقد أبدع صانع التمثال في عمله فجعله حياً ينبض بالحياة ، وقد ضيق خصر المرأة، وجعل الساقين بعضهما فوق بعض ، ليأخذ جسمها وضع راقصة وهي في حـالة رقص ، كما ترى في هذا التمثال .

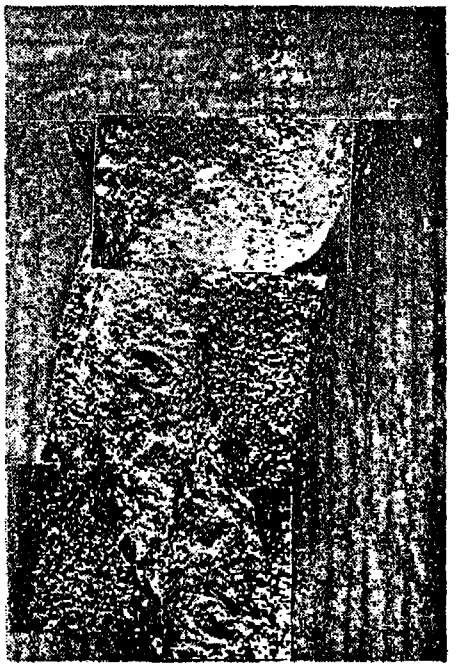

تمثال من البرونز لراقصة ، عثـر عليه في ظفار .

من كتاب Qataban and Sheba (ص ٣٠٥)

ونجد في مصنوعات المعادن مصنوعات تتحدث عن وجود أثر عراقي عليها ، ومصنوعات أخرى تشير الى وجود أثر مصري أو يوناني أو هندي عليها . وقد نسب بعض الباحثين وجود هذا الأثر الى الصلات التجارية التي كانت تربط بين الأرضين المذكورة وبين العربية الجنوبية ، كما نسبوه الى أثر الرقيـق المشترى من تلك البلاد والمستورد الى العربية الجنوبية ، حيث كلف بأداء الحرف اليـدوية . وحيث أن هذا الرقيق كان من بلاد مختلفة،لهذا ظهر التنوع في هذه الصناعات[1] .

ومن المصنوعات البرنزية التي يظهر عليها أثر الفن اليوناني مجموعة التماثيل التي

---

١ A. Grohmann, S. 230. ff.

عثر عليها في بيت (يفش) في خرائب (تمنع)[1] ، وتماثيل أخرى حفظت في متحف (صنعاء) . وتمثالين لزنجيين عثر عليهما في موضع (نخلـة الحمرا) (نخلة الحمراء) على مسافة خمسين كيلومتراً جنوب شرقي (صنعاء) . وتماثيل أخرى لبعض الحيوانات ، مثل تمثال حصان وتمثال آخر لأسد .

والتماثيل البرونزية التي عثر عليها في بيت (يفش) بمدينة (تمنع) ، هي من الآثار المهمة التي عثر عليها في أرض قتبان . ونظراً للأثر (الهليني) البارز على جسم الأسد وعلى وجه راكبه المحافظ على الملامح اليونانية يرى الباحثون انها من القطع الفنية التي ربما يعود عهدها الى القرن الأول للميلاد ، حيث كان اليونان اذ ذاك يمخرون عباب البحار ، وكان تجارهم ينقلون المصنوعات اليونانيـة الى مختلف الأنحاء من العالم ، لبيعها ولشراء ما يحتاجون اليه من النفائس التي لا توجد في بلاد اليونان وفيما وراءها . والظاهر ان الفنانين العرب ، وقفوا على قطع فنية يونانية ، فقلدوها وعملوا على صنع مثلها،وقد ضربوا على القاعدة الحروف المسند، الدالة على صاحب البيت . ومن هذه التماثيل تمثال أسد ، امتطى على ظهره ولد بيده اليمنى لجام ، وبيده اليسرى شيء يشبه القفل ، وقد صنع الأسد وكأنه يريد الوثوب ، وذلك كما تراه في الصورة . وقد قدّر تأريخ صنعه فيما بين السنـة ٧٥ و ٥٠ قبل الميلاد . ومنهم من يجعله بعد ذلك،أي في القرن الأول للميلاد[2] .

وقد تبين من هذه التماثيل أن العرب الجنوبيين ، كانوا ينتعلون نعالاً على نحو أنعلة هذا اليوم ، وهي سميكة لتقاوم الأرض فلا تأكلها عند المشي ، كما تبـين لنا من دراسة هذه التماثيل أن بين ملابس العربية القديمة قبل الإسلام وبين ملابس العرب في اليمن وفي بقيـة العربية الجنوبية في الوقت الحاضر تشابه كبير . ومن الممكن في هـذا اليوم عمل دراسة عن ملابس العرب الجنوبيين بالاستعانة بهذه التماثيل وبالصور المحفورة على الأحجـار ، التي تمثل مختلف طبقات المجتمع في ذلك العهد .

---

١ Albright, Archaeological Discoveries in South Arabia, I, 155, ff., B. Segall, Sculpture from Arabia Felix, The Hellevistic Period, AJA, 59, (1955), 210.ff., Grohmann, S. 234.

٢ Archaeological Discoveries in South Arabia, p. 155.

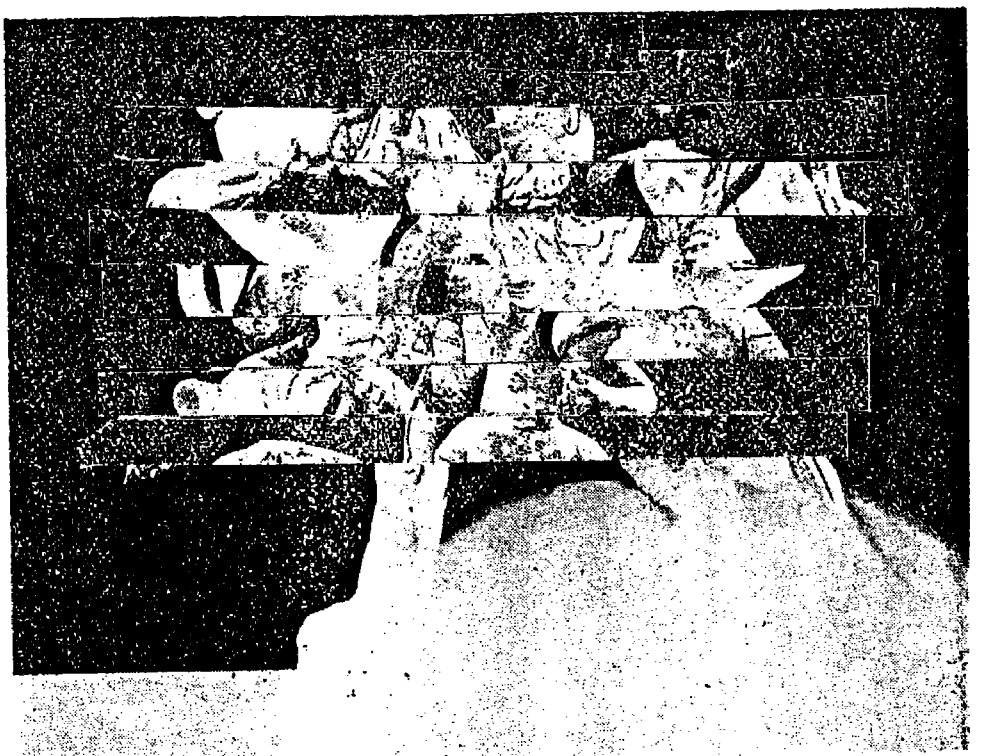

تمثال الاسد وعليه طفل • وقد أخذت الصورة من كتاب : Qataban and Sheba
لمؤلفه وندل فيلبس (ص ١١٢) •

تمثالان صنعا من البرنز ، ويرى على التمثال أثر الفن « الهيليني » واضحا بارزا •
من كتاب : Qataban and Sheba (ص ١٨٩)

أما الخشب المزخرف ، فهو وجه آخر من أوجه الفن وأضرابه ، وقد استعمل في البناء وفي أثاث البيت وفي صنع التماثيل والألواح المكتوبة وفي أغراض أخرى . وقد عثر المنقبون على نماذج منه . ولما كان الخشب معرضاً للتلف والهلاك أكثر من المعدن والحجر ، لذلك فإن يد الطبيعة قد لعبت بالكثير منه ، كما استعملته يد الإنسان قبل الاسلام وبعده في أمور أخرى غير الأمور التي خصصها أصحاب تلك الأخشاب لها ، لذلك زالت معالم الكثير منها ، واستعمل بعض منه في الوقود وفي أعمال البناء . ولا زلنا لا نملك نماذج من الأثاث المعمول من الخشب ، مثل صناديق لحفظ الألبسة والأشياء الأخرى التي تحتاج الى حفظ ،وسرر منامة وكراسي وغير ذلك مما يستعمله الانسان في حياته من مصنوعات الخشب .

إن الفنان العربي الجنوبي حاول جهد طاقته إظهار شخصيته في أعماله الفنية ، وهو وإن كان قد حاكى غيره وقلده في بعض الأمور ، غير أنه نجح في اعطاء فنه صورة المحيط الذي عاش فيه . فنرى السحنة اليمانية على وجوه بعض التماثيل، ولا سيما في أوجه الرجال.ونجد الطابع العربي الجنوبي يبرز على بعض المصنوعات. وسوف يزداد علمنا ولا شك في المستقبل بالفن العربي الجاهلي في المستقبل حين تهدأ الأحوال وتقوم البعثات العلمية بالحفر العلمي المنظم في جزيرة العرب ، فربما يعثر على أعمال فنية تغير وجهة نظر العلماء المكتوبة عنه في هذا اليوم .

وأما الحديث عن الفن في الحجاز قبل الاسلام ، فحديث مقتضب مختصر ، لأن البحث العلمي لم يبدأ هناك حتى الآن . فاقتصر علمنا عنه على ما ورد في الموارد الاسلامية وحدها . وما ورد في هذه الموارد هو اشارات عارضة ذكرت عرضاً في أحوال لا علاقة لها بالفن بل في البحث عن أمور أخرى ، مثل : فتح مكة ، حيث أشير الى وجود تصاوير وأصنام في الكعبة ، أمر الرسول بطمسها وازالة معالمها وبكسر كل ما كان هناك من أصنام،ومثل ما جاء في كتب الحديث والفقه عن (الصور والتماثيل) في باب النهي عنها في الاسلام . وذلك يدل على ان بعض أهل مكة وسائر مواضع الحجاز الأخرى ، كانوا يضعون الصور والتماثيل في بيوتهم ، وان طائفة من الناس كانت تصوّر وتتعيش من بيع الصور ،. وأن طائفة أخرى كانت تنحت وتعمل التماثيل ، وأن طائفة من النساجين والخياطين كانوا يجعلون صور انسان أو حيوان على الستائر أو الملابس لتزويقها ، فنهى عن

ذلك الاسلام[1] .

ونحن لو أخذنا بروايات أهل مكة عن بناء الكعبة ، خرجنا منها على أن الكعبة لم تكن عند ظهور الاسلام وبعد تعميرها الأخير قبل البعثة ، شيئاً يذكر من ناحية الفن والهندسة المعمارية ، فهي لم تكن سوى بيت مكعب ، تحيط بحرمه البيوت ، ولم يكن الحرم واسعاً وله سور ، وانما كان ساحة مفتوحة تجاوز عليها أهل مكة ، فأدخلوا جزءاً منها في بيوتهم ، ولذلك اضطر الخلفاء إلى توسيعها ، بشراء البيوت المجاورة وهدمها لاعادة ادخالها في الحرم . ونحن لا نجد اليوم أثراً باقياً على وضعه وحاله من آثار الجاهلية سوى (الحجر الأسود) ، وبئر زمزم ، أما الأشياء الأخرى مثل الكعبة ، فإنها من بناء الاسلام .

أما بيوتها ، فلا علم واضح لنا عنها ، لأن أهل الأخبار لم يتحدثوا عنها حديثاً فيه إفاضة ، وقد ورد في خبر إساءة الجوار لرسول الله ، أن رسول الله كان يجلس تحت ظلة أمام باب داره ، فكان جيرانه يرمونه بالحجارة ، مما يدل على أنهم كانوا يبنون ظللاً على أبواب بيوتهم يجلسون تحتها على (دكة) ويستظلون بها من حرارة الشمس حين وقوفهم أمام الباب . ولا بد وأن تكون بيوت تجار مكة ، من حجارة وكلس ، وقد تكون من طابقين أو أكثر ، ولكن الأخبار لا تتحدث بحديث مفصل عنها .

وفي أعالي الحجاز ، آثار من بقايا أبنية ومن تماثيل وكتابات مكتوبة ومن تصاوير نقشت على الصخور ، تعبر عن حالة النقّاش الذي نقشها ، وهو من الأعراب . وفي جملة الصور مناظر إنسان يصيد غزالاً ، أو يجاهد في قتل أسد أو حيوان مفترس ، أو فارساً قد امتطى ظهر فرسه ؛ أو مناظر قطعان حيوانات وحشية أو أليفة ، وما شاكل ذلك من مناظر تمر على عيون الرعاة . وبعض هذه الصور مما يعود عهده الى ما قبل الميلاد . وهي تستحق الدرس وتوجب على عشاق الفن دراسة النواحي الفنية والتعبيرية في هذه الصور المرسومة على الأحجار والصخور .

وفي المتحف البريطاني حجر ، رمز اليه بـ B. M. 120928 كتب عليه بالحروف الصفوية (هف زبن بن أحرب) أي (هذا لزبان بن أحرب) . وقد حفر صورة جمل تحت الكتابة ، جعله لاعباً بذنبه ، وله سنام ضخم لا يتناسب حجمه

---

١ تنوير الحوالك (٢/٢٤١) ، تاج العروس (٤/٤٢٣) ، (قصص) .

مع جسم الجمل ، وله رقبة ورأس،أقرب إلى رقبة الزرافة ورأسها من رأس ورقبة الجمل . ولكن الرسم لا بأس به بصورة عامة ، إذا أدركنا أن راسمه من الأعراب الذين عاشوا قبل الإسلام .

ونجد في الأحجار الصفوية الأخرى ، صور فرسان ، وهم يتحاربون ، أو يتسابقون ، وصور خيل وحيوانات أخرى . وبعض هذه الصور في غاية من الاتقان والإبداع ، وبعضها تمثل فناً بدائياً ، لكنه يعبر عن وجود قابلية لدى راسمي هذه الصور الذين كانوا أعراباً يتنقلون في البوادي ، وهم مع ذلك كتبة ، لأننا نجد أسماء من رسم هذه الصور مكتوبة تحتها أو حولها لتدل عليهم .

وأما العربية الشرقية ، فقد عثرت البعثات التي نقبت بها على أعمال فنية عديدة، وقد عثر في (أبو ظبي) وفي أماكن أخرى من الخليج على آثار لم تكن معروفة من قبل . وقد أشرت في الأجزاء السابقة من هذا الكتاب إلى عثور المنقبين عن الآثار على آثار مهمة في البحرين وفي جزيرة (فيلكا) من جزر الكويت ، وهي

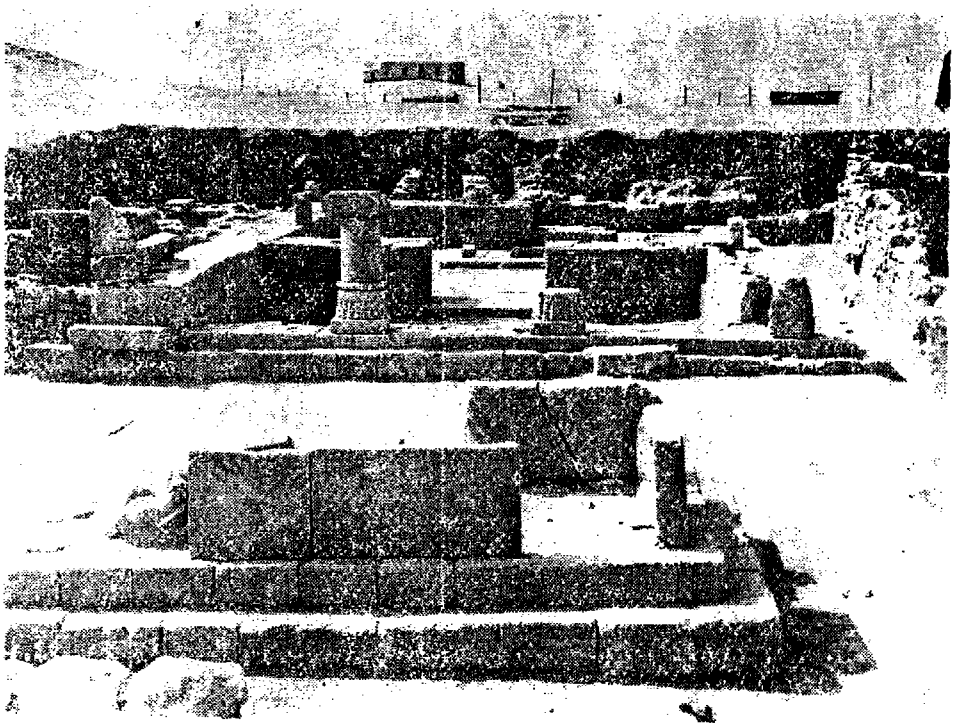

منظر المعبد الهيلنيني بعد تنظيفه ، وهو في جزيرة فيلكا وهو من منشورات قسم المتاحف والاثار بدولة الكويت

تشير الى أثر الاختلاط الذي كان بين الهند ، وفارس والروم والعراق وبين سكان الخليج ، قبل الميلاد بعهود طويلة . ولا بد وأن تنبت في هذه الأرضين حضارة مختلطة ، لأنها على ساحل بحر ، وعلى طريق يعتبر من أهم طرق العالم في التجارة وفي المواصلات الدولية في القديم وفي الحديث .

وفي جملة ما عثر عليه في جزيرة (فيلكا) بقايا معبد يوناني ، بناه جنود الاسكندر حين أقاموا واستقروا بها ، وقد تمكنت البعثة (الدانماركية) التي نقبت في هذه الجزيرة من العثور عليه ،ونظفت ساحته حتى ظهر على هذه الصورة التي تراها في الصفحة السابقة .

وفي جملة ما عثر عليه في جزيرة (فيلكا) نقود تعود الى أيام (السلوقيين) خلفاء الاسكندر ، وآثار اليونانيين الذين أقاموا في هذه الجزيرة منـــذ جاء جيش الاسكندر لفتح الهند . فاستقر قسم منهم بها وأنشأ معبداً فيها ، عثر في أنقاضه على بقايا أعمدة حجرية استخدمت لرفع سقفه ، يظهر عليها الأثر الهليني بكـــل وضوح ، وعلى أحجار منقورة مزخرفة وعلى كتابات . وقد استخدم الحجر في أعمال البناء ، كما ترى ذلك في الصورة المأخوذة لموضعه، بعد تنظيفه وإعادة دائرة

تمثال أفروديت ، ويعود عهده الى حوالي السنة ٢٠٠ قبل الميلاد
وهو من منشورات قسم الاثار والمتاحف بدولة الكويت

الآثار والمتاحف في الكويت للأحجار الى مواضعها . كما عثر في هذه الجزيرة على جرار كثيرة تعود الى العهد البرونزي ، تشبه الجرار الخزفية التي لا زال الناس يستعملونها في مواضع متعددة من جزيرة العرب .

ومن أبدع ما عثر عليه في هذه الجزيرة ، تمثال صغير من الطين المحروق يمثل (أفروديت) ، يعود عهده الى حوالى السنة (٣٠٠) قبل الميلاد ، وهو تاريخ انشاء هذا المعبد ، ومخربشة جميلة ، تمثل شجرة ، يظهر انها كانت قد وضعت في أعلى واجهة المعبد . وتمثال رأس الاسكندر ، تحيط به الهالة ، وتمثال آخر ، صنع من الطين المحروق ، وعدد كبير من الأختام، حفرت عليها مناظر مختلفة ، فيها صور حيوانات ، يعود عهدها الى القرن الثالث قبل الميلاد .

تمثال رأس الاسكندر تحيط به الهالة
من منشورات قسم الاثار والمتاحف بدولة الكويت

أما عن الفن العربي في العراق ، فنحن لا نستطيع أن نتكلم عنه إلا بإيجاز مخل ، وسبب ذلك ، أن الحيرة التي كانت عاصمة المناذرة ، والتي كانت من أكبر المستوطنات العربية ، هدمت في الفتح الاسلامي وما بعده لاستخدام طابوقها

وأخشابها في بناء (الكوفة) . فقد بني مسجد الكوفة بأنقاض قصور الحيرة ، فزالت بذلك معالم تلك المدينة ، ولم يبق منها أي شيء بتوالي الأيام .

ويظهر من الأخبار الواردة في كتب أهـل الأخبار ، أن أهل الحيرة كانوا يتخذون (إيواناً) في قصورهم ، يجعلونه موضعاً يجلسون فيه . عرف بالإيوان الحيري . وقد كانوا يزخرفون الجدر باستعمال (الآجر) المزخرف . كما كانوا يطلون الجدر عـلى الطريقة العراقية القديمة بطبقة من (الجص) ، ليظهر أملس أبيض ، وكـانوا يطلون الجدر الخارجية للبيوت بهذه الطبقة ، ومن هنا بدت مدينتهم وكأنها مدينة بيضاء ، فقيل لها الحيرة البيضاء .

التصوير :

وقد عثر المنقبون والباحثون عن الآثار القديمة على رسوم بشر وحيوان ونبات نقشها الجاهليون على الصخور والحجارة، يرمز بعض منها الى أمور دينية وأساطير قديمة . ويعبر البعض الآخر عن مواهب فنية عند حافري هذه الصور ، وعـلى مقدرة تقدر في الرسم ، وعلى وجود ميول فطرية عند أصحابها في الفن ، وفي محاولة إبراز العواطف النفسية والتعابير بلغة فنية يفهمها كل إنسان ، هي لغـة الرسم والنقش .

وفي أخبار أهل الأخبار ان أهل الجاهلية كانوا يتقربون الى الصور، كما كانوا يزينون بيوتهم بالصور وبالنسيج المصور ، كما كانوا يستعملون ستائر ذات صور ، ويلبسون ملابس ذات صور ورسوم . ولما فتح الرسول مكة ، أمر بتحطيم ما كان بها من أصنام وأوثان . وقد ذكر أهل الأخبار ، انه كانت في الكعبة حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وجد صور الملائكة وغيرهم ، فرأى ابراهيم مصوراً في يده الأزلام يستقسم بهـا ، وصورة عيسى بن مريم وأمه ، وصورة الملائكة أجمعين . فأمر الرسول بطمس تلك الصور ، فغسلت بالماء ، ومسحت بثوب بلّ بالماء ، فطمست ، إلا صورة عيسى بن مريم وأمه ، إذ أمر الرسول بابقائها كما تقول بعض الروايات ، فبقيت الى ايام (عبدالله بن الزبير) ، فلما

تهدم البيت ، تهدمت الصورة معه[1] .

وفي شعر (امرى القيس) اشارة الى التصوير . ففي البيت :

بلى ربّ يومٍ قد لهوت وليلة بآنسة كأنها خط تمثـــال

اشارة الى التصوير . فالخط ، الكتابة والرسم ، والتمثال الصورة ، والصنم ، أي التمثال المجسد . والتماثيل الصور . وقد كانوا يصورون الصور ويرسمونها قبل الاسلام[2] .

ولكننا لا نملك اليوم صوراً زيتية أو صوراً أخرى مرسومة بالألوان او بالحبر او الصبغ الأسود عـــلى أدم او قراطيس ، او الواح ، فإن مثل هـــذه الصور لا يمكن أن تعمر طويلاً تحت الأتربة لذلك تبلى، ولا استبعد احتمال عثور المنقبين في المستقبل على مثل هذه الصور ، لما ذكرته من وجود الصور والتصوير عنـــد الجاهليين .

وقد كان الجاهليون يقتنون الصور يضعونها في بيوتهم للزينة ، كما كان هناك مصورون يعيشون من بيع الصور التي يرسمونها ، وصنّاع تماثيل ، ينحتونها او يعملونها بالقوالب بجعـــل عجين الجبس فيها ، فإذا جفّ أخذ شكل التمثال ، فيباع . وقد أشير الى التصوير وصنع التماثيل في الحديث ، بمناسبة ما ورد فيـــه من كره الإسلام للتصـــوير : أو تحريمه كما ذهب اليه البعض ، فقـــد كره في الاسلام تصوير كل ذي روح ، مثـــل تصوير إنسان أو حيوان ، وكره بيع المصورات ، واتخـــاد التصوير حرفة يتعيش منها . وقـــد سأل بعض المصورين (ابن عباس) رأيه في التصوير ، وهي حرفته التي كان يتعيش منها ، فنهاه عنها ، إلا إذا صور شجراً أو شيئاً لا روح فيه . وكانت معيشة هـــذا المصور من صنعة يده ، يصنع التصاوير ويبيعها للناس[3] .

---

١ الازرقي (١٠٤/١ وما بعدها) ، السيرة الحلبية (٨٧/٣) ، ابن هشام ، سـيرة (٢٧٤/٢ وما بعدها) ، (حاشية على الروض) ، الروض الانف (٢٧٤/٢ ومـــا بعدها) ، ابن الاثير (١٠٥/٢) ، نهاية الارب (٣١٣/١٧) ، أمتاع الاسمـــاع (٣٨٥/١) .

٢ الخزانة (٣١/١) ، (بولاق) .

٣ ارشاد الساري (١٠٧/٤) ، (باب بيع التصاوير) .

وقد كانت الوثنية لا تتعارض مع التصوير ، بل كانت تشجعه وتشجع الفنون الجميلة . فقـد كانت الأصنام عماد سنّتهم ، واليها كانوا يتقربون ، وكـانوا يضعونهـا في بيوتهم للتقرب اليها والتبرك بها ، كما أنهم لم يكرهوا الغناء ولا الموسيقى ، لما لها من صلة بأعيادهما وبالطقوس الدينية .

وقد منع من بيع الأصنام ، أي التماثيل في الاسلام ، كما حرم بيع الصور المتخذة من جوهر نفيس[1] ، وكان بين أهل مكة وغيرها من القرى أناس يتعيشون من بيعها ، ويتفننون في صنعها ، فاتت بذلك هذه الحرفـة التي هي من الفنون الجميلة ، مثل التصوير .

---

١ ارشاد الساري (٤/١١٤) ، (باب تحريم بيع الميتة والاصنام) .

الفصل العشرون بعد المئة

أمية الجاهليين

الشائع بين كثير من الناس ان العرب قبل الاسلام كانوا في جهالة عمياء وضلالة، لا يقرأون ، ولا يكتبون ، وان الكتابة كانت قليلة بينهم ، واستدلوا على رأيهم هذا باطلاقهم لفظة (الجاهلية) على ايامهم ، وبما جاء من انهم كانوا قوماً (أميين لا يكتبون) . واستدلوا على ذلك بحديث ذكر ان الرسول قاله ، هو « إنا أمة أميّة لا نكتب ولا نحسب »[1] .

وقد تحدثت في الجزء الأول من هذا الكتاب عن معنى (الجاهلية) ، وعن الآراء التي قيلت فيها ، حديثاً فيه إفاضة وإحاطة ، وقد قلت فيما قلته ان تفسير الجاهلية بالجهل ، الذي هو ضد العلم ، تفسير مغلوط ، وان المراد من الجاهلية السفه والحمق والغلظة والغرور ، وقد كانت تلك أبرز صفات المجتمع الجاهلي آنئذ ، وتحدثت في كتابي : (تأريخ العرب قبل الاسلام) عن معنى الأمية وذلك في اثناء كلامي على أميّة الرسول وآراء العلماء فيها من مسلمين ومستشرقين[2]، وقلت ان للأمية معنى آخر غير المعنى المتداول المعروف ، وهو الجهل بالكتابة والقراءة . فقد ذكر (الفرّاء) وهو من علماء العربية المعروفين ، ان الأميين هم

---

١ البيان والتبيين (٣/٢٨) ، الصاحبي (٨/١١) ، تفسير القرطبي (٢/٥) ، البقرة الاية ٨٧ ، اللسان (١٢/٣٤) ، (أمم) ، تاج العروس (٨/١٩١) ، (أمم) .

٢ الصفة ١٣٦ وما بعدها .

العرب الذين لم يكن لهم كتاب[1] . ويراد بالكتاب . التوراة والانجيل . ولذلك نعت اليهود والنصارى في القرآن بـ (اهل الكتاب) ، وهذا المعنى يناسب كل المناسبة لفظة (الأميين) الواردة في القرآن الكريم ، وتعني الوثنيين اي جماع قريش وبقية العرب ، ممن لم يكن من يهود وليس له كتاب .

وللعلماء آراء في الأمية ، وذلك لما لها من صلة بالرسول ، ولما كان القرآن قد نعت قوم الرسول بالأميين ، وجعل الرسول أمياً مثلهم، فقد ذهبوا الى ان العرب كانوا قبل الاسلام أميين بمعنى انهم كانوا لا يقـرأون ولا يكتبون إلا من شذّ منهم وندر ، وإلا أفراداً من أهل مكة ، زعموا انهم تعلموا الكتابة من عهد غير بعيد عن الاسلام ، ولو أخذنا أقوالهم مأخذ الجد ، وجب علينا القول بأنهم انما تعلموها في حياة الرسول اي قبل الوحي بسنين ليست بكثيرة ، وان مكة كانت المدينة الوحيدة التي عرفت الكتابة في جزيرة العرب ، وهو كـلام لا يقوم على علم . فقد كان بيثرب كتّاب يكتبون بكتاب مكة ، وكان في أماكن أخـرى كتّاب يكتبون بكتابهم أيضاً ، فضلاً عن انتشار الكتابة بالمسند في العربية الجنوبية وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب .

والرسول أمي ، لم يقرأ ولم يكتب ، فإذا أراد كتابة رسالة او عهد او تدوين للوحي ، أمر كتابه بالتدوين . على ذلك أجمع المسلمون . وقد وردت في القرآن آيات مثل : « اقرأ باسم ربك »[2] ، وآية : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون »[3] . اخذها البعض على ان فيها دلالة على ان النبي كان يقرأ ويكتب ، واستدل أيضاً ببعض مـا ورد في كتب الحديث والسير ، وفيه ما يفيد انه كان ملماً بالقراءة والكتابة . كالذي ورد في صلـح (الحديبية) انه « هو الذي كتب الكتاب بيده الشريفة. وهو ما وقع في البخارى»[4]. وما جاء في السيرة لابن هشام : « فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكتب

---

١ المفردات (ص ٢٢) .

٢ سورة اقرأ ، الآية الاولى .

٣ العنكبوت ، الاية ٤٨ ، تفسير الطبري (٢١/٤) .

٤ الروض الانف (٢/٢٣٠) ، الحلبية (٣/٢٣ وما بعدها) .
Nöldeke, Geschichte des Qorâns, I, S. 13.

الكتاب هو وسهيل »[1] . وما جاء في البخارى : « وأخـــذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الكتاب ليكتب ، فكتب هذا ما قاضى عليه محمد »[2] . وقالوا ان في هذا المذكور وفي غيره من مثل ما ورد من ان الرسول « لما اشتد وجعه ، قال : ائتوني بالدواة والكتب اكتب لكم كتاباً لا تضلون معه بعدي أبداً »[3] ، ومثل ما ورد « في حديث أبي بكر رضي الله عنه ، انه دعا في مرضه بدواة ومزبر فكتب اسم الخليفة بعده »[4]،دلالة صريحة على قدرته على الكتابة والقراءة[5] .

وللعلماء كلام في الأدلة المذكورة ، ولهم آراء في تفسير الآيات التي تعرضت لموضوع الأمية . والأمي في تفسير علماء اللغـــة من لا يكتب ، او العيّ الجلف الجافي القليل الكلام . قيل له أمي لأنه على ما ولدته أمه عليه من قلة الكـــلام وعجمة اللسان[6] ، او الجهل التام بالقراءة والكتابة . « لأن أمـة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب »[7] ، او لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة او عديمة[8] ، او الأمي الذي على خلقة الأمة ، لم يتعلم الكتاب ، فهو على جبلته . وقد ورد في الحديث : « إنا أمة أمية لا نكتب »[9] ، او « إنا أمـــة أمية لا نكتب ولا نحسب »[10] ، او « بعثت الى أمة أمية » ، فذهبوا الى ان العـــرب كانوا على أصل ولادة أمهم ، لم يتعلموا الكتابة ولا الحساب ، فهم على جبلتهم الأولى . « وكل شيء للعرب ، فإنما هو بديهة وارتجال ... ثم لا يقيـده على نفسه ولا

---

١ Nöldeke, I, S. 13.

٢ الروض الانف (٢/٢٣٠) ، الطبري (٣/٨٠) ، (السنة السادسة) ، (٢/٦٣٥) (دار المعارف) ، الحلبية (١/٢٤) .

٣ البلاذري (١/٥٦٢) ، (ائتوني باللوح والدواة ـ أو بالكتف والدواة ـ أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده) ، (أئتوني أكتب كتابا لا تضلوا بعدي أبدا) ، الطبـــري (٣/١٩٢ وما بعدها) ، (دار المعارف) .

٤ تاج العروس (٣/٢٣١) ، (زبر) .

٥ Nöldeke, I, S. 12. ff.

٦ اللسان (١٢/٣٤) ، (أمم) .

٧ تاج العروس (٨/١٩١) ، (أمم) .

٨ تاج العروس (٨/١٩١) ، (أمم) .

٩ اللسان (١٢/٣٤) ، (أمم) .

١٠ تاج العروس (٨/١٩١) ، (أمم) ، المفردات (٢٢) .
اللسان (١٢/٣٤) ، (أمم) .

يدرسه احداً من ولده . وكانوا اميين لا يكتبون »[1] .

وقد وردت في القرآن الكريم لفظة (الأمي)[2] ، و (أميون)[3] ، و (اميين)[4] ، ونعت الرسول بـ (النبي الأمي)[5] ، وردت في سور مكيـــة وفي سور مدنية . وردت لفظة (الأمي) في سورة الأعراف ، وهي من السور المكية ، ووردت لفظة (أميون) و (الأميين) في سورة البقرة ، وسورة آل عمران ، وسورة الجمعة ، وهي من السور المدنية . ويلاحظ ان الآيتين المكيتين،خاصتان بالرسول، فنعت فيهما بـ (النبي الأمي) ، اما الآيات المدنية ، فقد قصد بها (الأميين) ، الذين ليس لهم كتاب . بمعنى المشركين .

وقد بحث (الراغب الاصبهاني) في معنى (الأمية) فقال : « والأمي : هو الذي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وعليه حمل:هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم . قال قطرب : الأمية : الغفلة والجهالة . فالأمي منـــه ، وذلك هو قلة المعرفة . ومنه قوله تعالى : ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب إلا اماني ، اي إلا ان يتلى عليهم . قال الفراء : هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب . والنبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ، قيل منسوب الى الأمة الذين لم يكتبوا لكونهم على عادتهم . كقولك عامي لكونه على عادة العامة . وقيل : سمي بذلك لأنه لم يكن يكتب ولا يقرأ من كتاب ، وذلك فضيلة له لاستغنائه بحفظه واعتماده على ضمان الله منه بقوله : سنقرئك فلا تنسى . قيل سمي بذلك لنسبته الى أم القرى »[6] .

وقد ذهب بعض العلماء الى ان الأميين من لا كتاب لهم من الناس ، مثـــل الوثنيين والمجوس ، قال الطبري في تفسير الآية : « وقـل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا »[7] : « يعني بذلك جل ثناؤه ، وقل

---

١ البيان والتبيين (٣/٢٨) .
٢ الاعراف ، الاية ١٥٦ وما بعدها .
٣ البقرة ، الآية ٧٨ .
٤ ال عمران ، الاية ١٠ ، ٧٥ ، الجمعة ، الاية ٢ .
٥ الاعراف ، الاية ١٥٦ وما بعدها .
٦ المفردات في غريب القرآن (٢٢) .
٧ آل عمران ، الرقم ٣ ، الاية ٢٠ .

يا محمد للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والأميين ، الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم .. »[1] . وذهب كثير من المفسرين الى ان الأميين الذين لا كتاب لهم ، اي الذين ليسوا يهوداً ولا نصارى . وورد : « ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، كان يكره ان يظهر الأميون من المجوس على اهل الكتاب من الروم »[2] . قال الطبري : « وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، يكره ان يظهر الأميون من المجوس على اهل الكتاب من الروم ، ففرح الكفار بمكة وشمتوا ، فلقوا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ، ونحن اميون ، وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من اهل الكتاب »[3] . فالمسلمون اهل كتاب ، والمجوس اميون كمشركي مكة وبقية العرب المشركين ، لا لكونهم لا يقرأون ولا يكتبون ، بل لأنهم لم يؤمنوا بالتوراة والانجيل .

ويلاحظ ان الآية : « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين »[4] ، والآية : « ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك إلا ما دمت عليه قائماً ، ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا في الأميين سبيل »[5] ؛ والآية : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا اماني »[6] ، وكذلك: « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم »[7] ، لا تؤدي معنى الأمية ، بمعنى الأمة الجاهلة بالقراءة والكتابة ، لعدم انسجام التفسير مع المعنى ،وانما تؤدي معنى وثنية ، اي امة لم تؤمن بكتاب من الكتب السماوية ، اي في المعنى المتقدم .

«والأمي والأمان –بضمهما– من لا يكتب او من هو على خلقة الأمة لم يتعلم الكتاب ، وهو باق على جبلته . وفي الحديث: إنا أمة امية ،لا نكتب ولا نحسب . اراد انه على اصل ولادة امهم ، لم يتعلموا الكتابة والحساب ، فهم على جبلتهم الأولى .

---

١ تفسير الطبري (٣/١٤٣)
٢ روح المعاني (٢١/١٧ وما بعدها) ، (كان المسلمون يحبون أن تغلب الروم أهل الكتاب ، وكان المشركون يحبون أن يغلب أهل فارس لانهم أهل أوثان) ، تفسير الطبري (٢١/١٢ وما بعدها) .
٣ تفسير الطبري (٢١/١٣) .
٤ ال عمران ، الرقم ٣ ، الاية ٢٠ .
٥ ال عمران ، الرقم ٣ ، الاية ٧٥ .
٦ البقرة ، الرقم ٢ ، الاية ٧٨ .
٧ الجمعة ، الرقم ٦٢ ، الآية ٢ .

وقيل لسيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، الأمي لأن امة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب ، وبعثه الله رسولاً ، وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب ، وكانت هذه الخلة احدى آياته المعجزة ، لأنه صلى الله عليه وسلم ، تلا عليهم كتاب الله منظوماً تارة بعد اخرى ، بالنظم الذي انزل عليه ، فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه ، ففي ذلك انزل الله تعالى : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، اذاً لارتاب المبطلون . وقال الحافظ ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي ان مما حرم عليه صلى الله عليه وسلم : الخط والشعر ، وانما يتجه التحريم ان قلنا انه كان يحسنها ، والأصح انه كان لا يحسنها ، ولكن يميز بين جيد الشعر ورديئه . وادعى بعضهم انه صار يعلم الكتابة بعد ان كان لا يعلمها لقوله تعالى من قبله في الآية . فإن عدم معرفته بسبب الاعجاز . فلما اشتهر الاسلام وأمن الارتياب عرف حينئذ الكتابة . وقد روي عن ابن ابي شيبة وغيره : ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كتب وقرأ ، وذكره مجالد للشعبي . فقال ليس في الآية ما ينافيه . قال ابن دحية : واليه ذهب ابو ذر الفتح النيسابوري والباجي وصنف فيه كتاباً ، ووافقه عليه بعض علماء افريقية وصقلية . وقالوا : ان معرفة الكتابة بعد اميته لا تنافي المعجزة ، بل هي معجزة اخرى بعد معرفة اميته وتحقق معجزته ، وعليه تتنزل الآية السابقة والحديث فإن معرفته من غير تقدم تعليم معجزة . وصنف ابو محمد بن مفوز كتاباً رد فيه على الباجي وبيّن فيه خطأه ، وقال بعضهم يحتمل ان يراد انه كتب مع عدم علمه بالكتابة وتمييز الحروف ، كما يكتب بعض الملوك علامتهم وهم اميون ، والى هذا ذهب القاضي ابو جعفر السمناني »[1] .

وقد تعرض (الألوسي) لهذا الموضوع في تفسيره الآية : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، اذاً لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم ، وما يجحد آياتنا إلا الظالمون »[2] . فقال: « واختلف في انه صلى الله عليه وسلم ، أكان بعد النبوة يقرأ ويكتب ام لا ؟ فقيل انه عليه الصلاة والسلام لم يكن يحسن الكتابة ، واختاره البغوي في التهذيب ، وقال : انه الأصح . وادعى بعضهم انه صلى الله عليه وسلم ، صار يعلم الكتابة بعد ان كان

---

١ تاج العروس (٨/١٩١) ، (أمم) .
٢ العنكبوت ، ٢٩ ، الاية ٤٨ ، تفسير الطبري (٢١/٤) ، تفسير الالوسي (٢١/٤)

لا يعلمها ، وعدم معرفتها بسبب المعجزة لهذه الآية ، فلما نزل القرآن واشتهر الاسلام وظهر امر الارتياب تعرف الكتابة حينئذ . وروى ابن ابي شيبة وغيره: ما مات صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ . ونقل هذا للشعبي فصدقه،وقال : سمعت أقواماً يقولونه وليس في الآية ما ينافيه . وروى ابن ماجه عن أنس قال: قال صلى الله عليه وسلم : رأيت ليلة أسري بي مكتوباً على الجنة : الصدقة بعشر امثالها ، والقرض بثمانية عشر .

ثم قال : ويشهد للكتابة احاديث في صحيح البخاري وغيره ، كما ورد في صلح الحديبية : فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله ، الحديث .

وممن ذهب الى ذلك ابو ذر عبد بن احمد الهروي ، وابو الفتح النيسابوري ، وابو الوليد الباجي من المغاربة ، وحكاه عن السمناني . وصنف فيه كتاباً ، وسبقه اليه ابن منية. ولما قال ابو الوليد ذلك طعن فيه ورمي بالزندقة وسبّ على المنابر، ثم عقد له مجلس فأقام الحجة على مدّعاه ، وكتب به الى علماء الأطراف، فأجابوا بما يوافقه ، ومعرفة الكتابة بعد اميته صلى الله عليه وسلم ، لا تنافي المعجزة ، بل هي معجزة اخرى لكونها من غير تعليم .

وقد رد بعض الأجلة كتاب الباجي لما في الحديث الصحيح إنا أمة أمية نكتب ولا نحسب . وقال : كل ما ورد في الحديث من قوله : كتب ، فمعناه امر بالكتابة ، كما يقال : كتب السلطان بكذا لفلان . وتقديم قوله تعالى : من قبله على قوله سبحانه : ولا تخطه كالصريح في انه عليه الصلاة والسلام لم يكتب مطلقاً . وكون القيد المتوسط راجعاً لما بعده غير مطّرد . وظن بعض الأجلة رجوعه الى ما قبله وما بعده ، فقال : يفهم من ذلك انه عليه الصلاة والسلام كان قادراً على التلاوة والخط بعد انزال الكتاب ، ولولا هذا الاعتبار ، لكان الكلام خلواً من الفائدة . وأنت تعلم انه لو سُلّم ما ذكره من الرجوع ، لا يتم امر الإفادة إلا اذا قيل بحجية المفهوم ، والظنّ ممن لا يقول بحجيته .

ثم قال الألوسي في تفنيد هذه الردود ما نصه :

ولا يخفى ان قوله عليه الصلاة والسلام : إنا امة امية لا نكتب ولا نحسب ، ليس نصاً في استمرار نفي الكتابة عنه عليه الصلاة والسلام . ولعل ذلك باعتبار

انه بعث عليه الصلاة والسلام ، وهو واكثر من بعث اليهم وهو بين ظهرانيهم من العرب اميون ، لا يكتبون ولا يحسبون ، فلا يضر عدم بقاء وصف الأمية في الأكثر بعد . واما ما ذكر من تأويل كتب بأمر بالمكاتبة ، فخلاف الظاهر . وفي شرح صحيح مسلم للنووي عليه الرحمة نقلاً عن القاضي عياض : ان قوله في الرواية التي ذكرناها : ولا يحسن يكتب فكتب ، كالنص في انه صلى الله عليه وسلم كتب بنفسه ، فالعدول عنه الى غيره مجاز لا ضرورة اليه . ثم قال : وقد طال كلام كل فرقة في هذه المسألة وشنعت كل فرقة على الأخرى في هذا »[1] .

وبحث (القرطبي) في هذا الموضوع ايضاً ، فقال : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، الضمير في قبله عائد الى الكتاب ، وهو القرآن المُنزل على محمد ، صلى الله عليه وسلم ، اي وما كنت يا محمد تقرأ قبله ، ولا تختلف الى اهل الكتاب ، بل أنزلناه اليك في غاية الإعجاز والتضمين للغيوب وغير ذلك ، فلو كنت ممن يقرأ كتاباً ، ويخط حروفاً لارتاب المبطلون اي من اهل الكتاب ، وكان لهم في ارتيابهم متعلق ، وقالوا الذي نجده في كتبنا انه امي لا يكتب ولا يقرأ وليس به . قال مجاهد : كان اهل الكتاب يجدون في كتبهم ان محمداً صلى الله عليه وسلم ، لا يخط ولا يقرأ ، فنزلت هذه الآية ؛ قال النحاس : دليلاً على نبوته لقريش ، لأنه لا يقرأ ولا يكتب ولا يخالط اهل الكتاب ولم يكن بمكة اهل الكتاب فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم ، وزالت الريبة والشك .

الثانية : ذكر النقاش في تفسير الآية عن الشعبي انه قال : ما مات النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى كتب . واسند ايضاً حديث ابي كبشة السلولي ؛ مضمنه : انه صلى الله عليه وسلم ، قرأ صحيفة لعيينة بن حصن ، وأخبر بمعناها. قال ابن عطية : وهذا كله ضعيف ، وقول الباجي رحمه الله منه .

قلت : وقع في صحيح مسلم من حديث البراء في صلح الحديبية ان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال لعليّ : اكتب الشرط بيننا : بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقال له المشركون : لو نعلم انك رسول الله تابعناك ـ وفي رواية بايعناك ـ ولكن اكتب محمد بن عبدالله ، فأمر علياً

---

١ محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن (ص ٣٥٨ وما بعدها) (الطبعة الثانية) ، (عيسى البابي الحلبي) .

ان يمحوها ، فقال علي : والله لا أمحاه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرني مكانها ، فأراه فمحاها وكتب ابن عبدالله . قال علماؤنا رضي الله عنهم : وظاهر هذا انه عليه السلام محا تلك الكلمة التي هي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بيده ، وكتب مكانها ابن عبدالله . وقد رواه البخاري بأظهر من هذا . فقال : فأخذ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الكتـــاب فكتب . وزاد في طريق أخرى : ولا يحسن ان يكتب . فقال جماعة ، بجواز هذا الظاهر عليه وانه كتب بيده ، منهم السمناني وأبو ذر والباجي ، ورأوا ان ذلك غـــير قادح في كونه أمياً ، ولا معارض بقوله : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، ولا بقوله : إنا أمة أميـــة لا نكتب ولا نحسب ، بـل رأوه زيادة في معجزاته ، واستظهاراً على صدقه وصحة رسالته ، وذلك انه كتب عن غير تعلم لكتابة ، ولا تعاطٍ لأسبابها ، وانما أجرى الله تعالى على يده وقلمه حركات كانت عنها خطوط مفهومها ابن عبدالله لمن قرأها ، فكان ذلك خارقاً للعادة ، كما انه عليه السلام عَلِم علم الأولين والآخرين من غير تعلم ولا اكتساب ، فكان ذلك أبلغ معجزاته ، وأعظم فضائله . ولا يزول عنه اسم الأمي بذلك ، ولذلك قال الراوي عنه في هذه الحالة : ولا يحسن ان يكتب . فبقي عليه اسم الأمي مع كونه قال : كتب . قال شيخنا أبو العباس احمد بن عمر : وقد أنكر هذا كثير من متفقهة الأندلس وغيرهم ، وشددوا النكير فيه ، ونسبوا قائله الى الكفر ، وذلك دليل على عدم العلوم النظرية ، وعدم التوقف في تكفـــير المسلمين ، ولم يتفطنوا ، لأن تكفير المسلم كقتله على ما جاء عنه عليـــه السلام في الصحيح ، لا سيما رميُ من شهد له أهل العصر بالعلم والفضل والإمامة ، عـــلى ان المسألة ليست قطعية ، بل مستندها ظواهر أخبار آحاد صحيحة،غير ان العقل لا يحيلها ، وليس في الشريعة قاطع يحيل وقوعها .

قلت : وقال بعض المتأخرين من قال هي آية خارقة ، فيقـال له : كانت تكون آية لا تنكر لولا انها مناقضة لآية أخرى وهي كونه أمياً لا يكتب،وبكونه أمياً في أمة أمية قامت الحجة ، وأفحم الجاحدون ، وانحسمت الشبهة ، فكيف يطلق الله تعالى يده فيكتب وتكون آية . وانما الآية ألا يكتب،والمعجزات يستحيل ان يدفع بعضها بعضاً . وانما معنى كتب وأخذ القلم ، أي أمر من يكتب به من كتّابه،وكان من كتبة الوحي بين يديه صلى الله عليه وسلم ، ستة وعشرون كاتباً.

الثالثة ــ ذكر القاضي عياض عن معاوية انه كان يكتب بين يــدي النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ألقِ الدواة وحرّف القلم وأقم الباء وفرّق السين، ولا تعوّر الميم ، وحسّن الله ، ومدّ الرحمن ، وجوّد الرحيم . قال القاضي : وهذا وان لم تصح الرواية انه صلى الله عليه وسلم ، كتب ، فلا يبعد ان يُرزق علم هذا ، ويُمنع القراءة والكتابة .

قلت : هذا هو الصحيح في الباب انه ما كتب ولا حرفاً واحداً ، وانما امر من يكتب وكذلك ما قرأ ولا تهجى . فإن قيل : فقد تهجى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، حين ذكر الدجّال ، فقال : مكتوب بــين عينيه ك ا ف ر ، وقلّم ان المعجزة قائمة في كونه أمياً ، قال الله تعالى : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، الآية . وقال : إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب . فكيف هذا ؟ فالجواب ما نص صلى الله عليه وسلم ، في حديث حذيفة ، والحديث كالقرآن يفسر بعضه بعضاً . ففي حديث حذيفة : يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب، فقد نص في ذلك على غير الكتاب ممن يكون أمياً . وهذا من أوضح ما يكون جلياً »[1] .

وقد ذهب (الطبرسي) في تفسيره للآية المذكورة الى ان الرسول ساوى قومه في المولد والمنشأ ، لكنه جاء بما عجز عنه الآخرون من كلام الله والنبوة ، فهو أمي مثلهم . ثم عرض رأي (الشريف المرتضى) ، القائل : « هذه الآية تدل على ان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ما كان يحسن الكتابة قبل النبوة، فأما بعد النبوة فالذي نعتقده في ذلك التجويز ، لكونه عالماً بالكتابة والقراءة والتجويز لكونه غير عالم بهما من غير قطع على أحد الأمرين . وظاهر الآية يقتضي ان النفي قد تعلق بما قبل النبوة دون ما بعدها ، ولأن التعليل في الآية يقتضي اختصاص النفي بما قبل النبوة ، لأن المبطلين انما يرتابون في نبوته صلى الله عليه وسلم ، لو كان يحسن الكتابة قبل النبوة . فأما بعد النبوة ، فلا تعلق له بالريبة والتهمة فيجوز ان يكون قد تعلمها من جبرائيل عليه السلام ، بعد النبوة »[2] .

وتعرض (الجاحظ) لهذا الموضوع أيضاً ، فقال نقلاً عن كلام شيخ من

---

١ الجامع لاحكام القرآن (١٣/٣٥١ وما بعدها) .
٢ الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن (الجزء الثامن من ٢٨٩) .

البصريين ، « إن الله انما جعل نبيه أمياً لا يكتب ولا يحسب ولا ينسب ، ولا يقرض الشعر ، ولا يتكلف الخطابة ، ولا يتعمد البلاغة ، لينفرد الله بتعليمه الفقه وأحكام الشريعة،ويقصره على معرفة مصالح الدين دون ما تتباهى به العرب ، من قيافة الأثر والبشر ، ومن العلم بالأنواء وبالخيل ، وبالأنساب وبالأخبار ، وتكلف قول الأشعار ، ليكون اذا جاء بالقرآن الحكيم ، وتكلم بالكلام العجيب، كان ذلك أدل على انه من الله .

وزعم ان الله تعالى لم يمنعه معرفة آدابهم وأخبارهم وأشعارهم ليكون أنقص حظاً من الحاسب الكاتب ، ومن الخطيب الناسب ، ولكن ليجعله نبياً ، وليتولى من تعليمه ما هو أزكى وأنمى . فإنما نقصه ليزيده ، ومنعه ليعطيه ، وحجبه عن القبائل ليجلي له الكثير »[1] .

وقد رد (الجاحظ) على كلامه هذا ، بقوله : « وقد أخطأ هذا الشيخ ولم يُرِد إلا الخير . وقال بمبلغ علمه ومنتهى رأيه . ولو زعم ان أداة الحساب والكتابة ، وأداة قرض الشعر ورواية جميع النسب ، قد كانت فيه تامة وافرة ، ومجتمعة كاملة ، ولكنه صلى الله عليه وسلم صرف تلك القوى وتلك الاستطاعة الى ما هو أزكى بالنبوة ، وأشبه بمرتبة الرسالة ، وكان اذا احتاج الى البلاغة كان أبلغ البلغاء ، واذا احتاج الى الخطابة كان أخطب الخطباء ، وأنسب من كل ناسب ، وأقوف من كل قائف ، ولو كان في ظاهره ، والمعروف من شأنه انه كاتب حاسب ، وشاعر ناسب ، ومتفرس قائف ، ثم أعطاه الله برهانات الرسالة وعلامات النبوة ، ما كان ذلك بمانع من وجوب تصديقه ، ولزوم طاعته ، والانقياد لأمره على سخطهم ورضاهم ، ومكروههم ومحبوبهم . ولكنه اراد ألا يكون للشاغب متعلق عما دعا اليه حتى لا يكون دون المعرفة بحقه حجاب وان رق ، وليكون ذلك أخف في المؤونة ، وأسهل في المحنة . فلذلك صرف نفسه عن الأمور التي كانوا يتكلفونها ويتنافسون فيها ، فلما طال هجرانه لقرض الشعر وروايته ، صار لسانه لا ينطلق به ، والعادة توأم الطبيعة . فأما في غير ذلك فإنه اذا شاء كان أنطق من كل منطيق ، وأنسب من كل ناسب ، وأقوف من كل قائف . وكانت آلته أوفر وأداته أكمل،إلا انها كانت مصروفة الى ما هو أردّ.

---

١ البيان والتبيين (٤/٣٢) .

وبين ان نضيف اليه العجز ، وبين ان نضيف اليه العادة الحسنة وامتناع الشيء عليه من طول الهجران له ، فرقٌ .

ومن العجب ان صاحب هذه المقالة لم يره عليه السلام في حال معجزة قط ، بل لم يره إلا وهو ان أطال الكلام قصر عنه كل مُطيل ، وان قصر القول اتى على غاية كل خطيب ، وما عدم منه إلا الخط واقامة الشعر ، فكيف ذهب ذلك المذهب ، والظاهر من امره عليه السلام خلاف ما توهم !؟ »[1] .

فهذا هو رأي الجاحظ في امية الرسول .

واما حديث : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » ، فيعارضه حديث آخر ينسب الى الرسول هو : « قريش اهل الله ، وهم الكتبة الحسبة »[2] . « وبقال قريش اهل الله ، لأنهم كتبة حسبة »[3] . والقرآن الكريم نفسه ، يفند ان قريشاً لم يكونوا يحسنون الكتاب او الحساب ، لما فيه من آيات تناقض هذا الرأي . وفي الحديث ، أحاديث كثيرة يجب عدم الأخذ بها ، لأنها ضعيفة ، ويشبه ان يكون الحديث المذكور واحد منها . ومن هذه الأحاديث الضعيفة ، حديث : « حق الوالد على ولده ان يعلمه الكتابة والسباحة ، والرماية ، وان لا يرزقه إلا طيباً » ، وحديث : « حق الوالد على ولده ان يحسّن اسمه ، ويزوّجه اذا أدرك ، ويعلمه الكتاب »[4] . والحديث المذكور من الأحاديث التي يرجع سندها الى (ابي هريرة) وفي الأحاديث المنسوبة اليه احاديث كثيرة يجب عدم الأخذ بها .

ولو أخذنا بالحديث على علاته ، وقبلناه دون نقد، كما يفعل كثير من الناس، وجب علينا القول ان الرسول كان يقرأ ويكتب . ورد : « وذكر صاحبُ الشرعة ايضاً ، انه صلى الله عليه وسلم ، قال لمعاوية رضي الله عنه ، وهو يكتب بين يديه : ألقِ الدواة ، وحرّف القلم ، وانصب الباء ، وفرّق السين ، ولا تعوّر الميم ، وحسّن الله ، ومد الرحمن ، وجوّد الرحيم »[5] ، وانه قال (لزيد بن ثابت) وهو احد كتّابه : « اذا كتبتَ بسم الله الرحمن الرحيم فبيّن

---

١ البيان والتبيين (٣٣/٤ وما بعدها) .
٢ الصولي ، أدب الكتاب (٢٨) .
٣ حكمة الاشراق (٦٧) .
٤ الجامع الصغير ، رقم ٣٧٤٢ ، و ٣٧٤٣ ، حكمة الاشراف (٦٦ وما بعدها) .
٥ حكمة الاشراق (٦٧) .

السين فيه »[1] ، فهل يعقل صدور هذا الوصف ، وهذه التسمية للحروف، وهذه المصطلحات من رجل أمي ، لا يقرأ ولا يكتب . وقد روى الرواة هذين الحديثين مع تعارضهما لأقوال العلماء ، ورووا ايضاً ان (ابا ذر) الغفاري سأل الرسول : « يا رسول الله ، كل نبي مرسل بمَ يُرسل ؟ قال : بكتاب منزّل . قلت : يا رسول الله ، اي كتاب أنزل على آدم ؟ قال : ا ب ت ث ج الى آخره . قلت : يا رسول الله ، كم حرف ؟ قال : تسع وعشرون . قلت : يا رسول الله ، عددت ثمانية وعشرين ، فغضب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى احمرت عيناه ، ثم قال : يا ابا ذر ، والذي بعثني بالحق نبيـاً ! ما أنزل الله تعالى على آدم إلا تسعة وعشرين حرفاً . قلت : يا رسول الله ، فيها ألف ولام. فقال عليه السلام : لام ألف حرف واحد ، أنزله على آدم في صحيفة واحدة ، ومعه سبعون ألف ملك . من خالف لام ألف ، فقد كفر بما أنزل على آدم ! ومن لم يعدّ لام ألف فهو بريء مني وأنا بريء منه ! ومن لا يؤمن بالحروف، وهي تسعة وعشرون حرفاً لا يخرج من النار ابداً »[2] . وبعد فهل نقبل بحديث من هذا النوع ، وكل ما فيه يطعن في صحته !

ويظهر صراحة من الآية : « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين »[3] ، ان مرادها من الأميين ، ليس الجهل بالكتابة والقراءة ، وانما العرب الذين لم يكن عندهم كتاب منزل من السماء . ودليل ذلك ما اورده (الطبري) في تفسيرها من اقوال وروايات . فقد قال : « والأميون هم العرب » ، قال (قتادة) : « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم . قال : كان هذا الحي من العرب امة أمية ليس فيها كتاب يقرأونه ، فبعث الله نبيه محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، رحمة وهدى يهديهم بـه » ، وقال : « كانت هذه الأمة أميـة لا يقرأون كتاباً » ، وقال : « انما سميت امة محمد صلى الله عليه وسلم الأميين لأنه لم ينزل عليهم كتاباً » ، وقوله : « ويعلمهم الكتـاب . يقول ويعلمهم

---

١ الجامع الصغير (٨٣٥) ، حكمة الاشراق (٦٧) .

٢ صبح الاعشى (٣/٧) .

٣ الجمعة ، الاية ٢ .

كتاب الله وما فيه من امر الله ونهيه وشرائع دينه،والحكمة يعني بالحكمة السنن ».
وقال : « ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ايضاً ، كما علم هؤلاء . يزكيهم بالكتاب والأعمال الصالحة ويعلمهم الكتاب والحكمة كما صنع بالأولين » ، وقال في تفسير « وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين . يقول تعالى ذكره ، وقد كان هؤلاء الأميون من قبل ان يبعث الله فيهم رسولاً منهم في جور عن قصد السبيل وأخذ على غير هدى مبـــين . يقول يبين لمن تأمله انـــه ضلال وجور عن الحق وطريق الرشد »[1] . وقال (ابن كثير) في تفسيرها : « وذلك ان العرب كانوا قديماً متمسكين بدين ابراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه ، واستبدلوا بالتوحيد شركاً وباليقين شكاً ... فبعث الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل لجميع الخلق ، فيه هدايته والبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امر معاشهم ومعادهم »[2] . وقال (القرطبي) : قال ابن عباس : الأميون العرب كلهم ، من كتب منهم ومن لم يكتب ، لأنهم لم يكونوا اهل كتاب»[3]. فالأميون اذن هم العرب ، لأنهم كانوا اهل شرك ، وليس لهم كتاب ، وليس للفظة صلة بالأمية التي تعني الجهل بالقراءة والكتابة .

واما حديث : « إنا امة أمية لا نكتب ولا نحسب . الشهر هكذا وهكذا : مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين »[4] . وقد نسب سنده الى (ابن عمر)،فحكمه حكم الحديث السابق ، وقد فسر الحساب ، بأنه حساب النجوم وتسييرها،لا الجهل بالحساب .

وقد ذهب (شبرنكر) الى ان الرسول كان يقرأ ويكتب ، وانه قرأ (اساطير الأولين)[5] ، و (شبرنكر) من المستشرقين العاطفيين . الذين يأخذون بالخبر ، مهما كان شأنه فيبني حكماً عليه .

وقد ذهب بعض المستشرقين الى ان المقصود من الأميين هنا الوثنيون . وان الأمية هذه اخذت من اليهود الذين كانوا يطلقون لفظـــة (امت) و (اميم)

---

١ تفسير الطبري (٢٨/٦١ وما بعدها) .
٢ تفسير ابن كثير (٤/٣٦٣) .
٣ الجامع لاحكام القرآن (١٨/٩١) .
٤ ارشاد الساري (٣/٣٥٩) .
٥ Nöldeke, I, S. 16, Ency. of Islam, Vol. IV, p. 1016.

على غيرهم ، يريدون بهـا الوثنيين . كما في جملـة : (امت ها عالولام) Ummot ha Olam [1] . وقـد أطلـق اليهود على الغرباء وعلى كل من هو غير يهودي ، (كوي) Goy للواحد ، و (كويم) Goyim للجمع . وتقابـل هذه اللفظة لفظة Gentile في اللاتينية . ويقال للغريب عنهم (اخريم) Ahrim و Nochrim ، كذلك، تمييزاً لهم عن العبرانيين الذين يذهبون الى انهم أمة مقدسة مفضلة على العالمين[2] .

وذهب بعض المستشرقين اليهود الى ان لفظة (الأميين) معربة من اصل (كوى) و (كويم) المذكور[3] .

والذي أراه ان لفظة (أمي) و (أمية) لم تكن تعني عند الجاهليين معنى عدم القراءة والكتابة والجهل بهما ، وانما كانت تعني عندهم : مشركين ووثنيين، وهو المعنى الذي ورد في القرآن الكريم . والذي نعت الرسول فيه بالأمي ، لأنه من العرب ، ومن قوم ليس لهم كتاب ، عرفوا بذلك من قبل اهـل الكتاب اليهود . أما تفسيرها بالجهل بالكتابة والقراءة ، فقد وقع في الاسلام ، أخذوه من ظاهر معنى لفظـة (الكتاب) الواردة في القرآن ، فظنوا انها تعني (الكتابة) بينما المراد منها الكتاب المُنزل ، لعدم انسجام تفسيرها بالكتابة مع معنى الآية ، ودليل ذلك انهم لما فسروا (الأمية) بمعنى عدم القراءة والكتابة حاروا في ايجاد مخرج لهذا التفسير ، فقالوا ما قالوه في تفسيرها من انها سميت بالأمية لأنها على خلقة الأمة ، او لأنها على الجبلة والفطرة ، وأصل ولادة الأمهات وما شاكـل ذلك من تفاسير مضطربة باردة ، تخبر ان علماء اللغة لم يجدوا لها أصلاً ووجوداً عند الجاهليين فلجأوا الى هذه التعليلات[4] . ولو كانت الأمية معروفة عند اهـل الجاهلية بهذا المعنى لاستشهدوا عليها بشعر من أشعار الجاهليين أو المخضرمين ، ولما لجأوا الى هذه التفاسير المتكلفة ، لأن من عادتهم الاستشهاد بالشعر في تفسير

---

١ Shorter Ency. p. 764, Horovitz, Koranische Utersuchungen, 1926, S. 51, Buhl - Shaeder, Das Leben Muhammeds, Leipzig, 1930, S. 56, Nöldeke, Geschichte des Qorans, I, S. 14.

٢ The Universe. Jewish Ency. Vol. 4, p. 533.

٣ Torrey, The Jewish foundation of Islam, New York, 1933, p. 38, Abram I. Katsh, Judaism in Islam, New York, 1934, p. 75.

٤ تاج العروس (١٩١/٨) ، (أمم) .

الألفاظ ، ولا سيما الألفاظ الغريبة ، فعدم استشهادهم بشاهد من شعر او نثر في تفسير الأمية هو دليل عـلى ان اللفظة بهذا التفسير من الألفـاظ التي ولدت في الاسلام ، وانها لم تكن عربية خالصة ، وانما سمعوها من اهل الكتاب .

وعندي ان يهود يثرب هم الذين أطلقوا لفظة (الأميين) على العرب المشركين، على عادتهم حتى هذا اليوم في نعت الغرباء عنهم بألفاظ خاصة مثل (كويم)، لتمييزهم عن أنفسهم ، باعتبارهم (شعب الله المختار) المؤمن بإلـه اسرائيل .

ومما يؤيد هذا الرأي ، اننا نطلق في عربيتنا لفظة (الأمي) على من لا يعرف القراءة والكتابة معاً ، بينما نطلق على الشخص الذي يحسن القراءة ولا يحسن الكتابة قارىء ، او قارئة، وذلك لوجود جماعة كانوا يحسنون القراءة، ولكنهم لا يكتبون . ونجد اليوم من النساء من يحسنّ القراءة ولا يكتبن، ولما نزل الوحي على الرسول: باقرأ ، قال الرسول : ما أنا بقارىء ، او لست بقارىء[1] ، ولم يقل : أنا أمي، مما يدل على ان الأمية انما صارت تعبر عن معنى عدم القراءة والكتابة فيما بعد . ثم اننا لا نجد في اللغات القديمة لفظة واحدة في معنى (الأمية) التي نستعملها في عربيتنا في الوقت الحاضر ، اي في معنى الجهل بالقراءة والكتابة معاً ، وانما يقال لا يقرأ او لا يكتب ، او يجهل القراءة والكتابة ، فلا يعقل خروج العربية على هذه القاعدة . واستعمالها الأمية قبل الاسلام مصطلحاً للتعبير عن الجهل بالكتابـة والقراءة معاً . ولم أعثر في النصوص الجاهلية على هذه اللفظة او على لفظة اخرى تؤدي هذا المعنى .

ولا يعقل ان يكون اليهود او غيرهم قد أطلقوا الأمية على العرب ، بسبب جهل العرب الكتابة والقراءة . فقد كان سواد يهود ونصارى جزيرة العرب أمياً ايضاً ، لا يقرأ ولا يكتب، إلا ان القرآن الكريم أخرجهم من الأميين، واستثناهم، وأطلق عليهم (اهل الكتاب) ، وذلك يدل دلالة واضحة على ان المـراد من (الأميين) العرب الذين لهم كتاب ، اي العرب الذين لم يكونوا يهوداً ولا نصارى لا من لا يحسن الكتابة والقراءة. والقرآن الكريم هو الذي هدانا الى لفظة (الأميين) فلم ترد اللفظة في نص من نصوص الجاهلية وبفضله ايضاً عرفنا مصطلح (أهل الكتاب) دلالة على اهل الديانتين .

---

١ إمتاع الاسماع (١٣/١) ، (ثم قال اقـرأ : قلت ما اقـرأ) ، تفسير الطبري (١٦١/٣٠) ، تفسير النيسابوري (١٢٥/٣٠) ، (حاشية على تفسير الطبري) .

وأنا لا أريد ان أثبت هنا ان العرب قاطبة كانت أمة قارئة كاتبة ، جاءها يقرأ ويكتب ، وانها كانت ذات مدارس منتشرة في كل مكان من جزيرتهم ، تعلم الناس القراءة والكتابة والعلوم الشائعة في ذلك الزمن ، فقول مثل هـذا هو هراء ، ما في ذلك شك ، ولا يمكن أن يدعيه أحد ثم ان شيوع القراءة والكتابة بالمعنى المفهوم عندنا ، لم يكن معروفاً حتى عند أرقى الشعوب إذ ذاك مثل اليونان والرومان والساسانيين في عالم ذلك العهد . فسواد كل الأمم كان جاهلاً لا يحسن قراءة ولا كتابة ، وانما كانت القراءة والكتابة في الخاصة وفي أصحاب المواهب والقابليات الذين تدفعهم مواهبهم ونفوسهم على التعلم والتثقف وتزعّم الحركة الفكرية بين أبناء جنسهم . ومن هنا كانت كل الأمم أمية من حيث الأكثرية والغالبية ، انما اختلفت في نسبة المتعلمين والمتخصصين والمجتهدين ودرجتهم فيها . وفي هذا تتباين وتختلف أيضاً ، فقد كان اليونان والرومان والعالم النصراني في الدرجة الأولى في العهد الذي قارب الاسلام ، يليهم الفرس واليهود والهنود . أما العرب ، فقد كانوا يتباينون في ذلك أيضاً تبايناً يختلف باختلاف أماكنهم كما سأبين ذلك .

فأهل البوادي ، ولا سيما البوادي النائية عن الحواضر ، هم أميون ما في ذلك من شك،لأن طبيعة البادية في ظروفها المعلومة لا تساعد على تعلم القراءة والكتابة ، ولا على ظهور العلوم وتطويرها فيها ، غير اننا لا نعني انهم كانوا جميعاً أميين، لا قارىء بينهم ولا كاتب . فقد كان بينهم من يقرأ ويكتب ، بدليل هـذه النصوص الجاهلية التي عثر عليها مبعثرة في مواضع متناثرة من البوادي ، وفي أماكن نائية عن الحضارة . وهي كتابات أعراب ورعاة إبل وبقر وأغنام،دوّنوها تسجيلاً لخاطر ، أو للذكرى ، أو رسالة لمن قد يأتي بينهم،فيقف على أمرهم ، ومن هنا نستطيع أن نقول ان أعراب الجاهلية ، كانوا أحسن حالاً من أعراب هذا اليوم ، فقد كان فيهم الكاتب القارىء ، الذي يهتم بتسجيل خواطره ، وباثبات وجوده بتدوينه هذه الكتابات ، وأن الأمية المذكورة لم تكن أمية عامة جامعة ، بل أمية نسبية ، على نحو ما نشاهده اليوم في مجتمعاتنا من غلبة نسبة الأمية على نسبة المتعلمين .

وأما أهل الحواضر ، فقد كان بينهم من يقرأ ويكتب ، كما كان بينهم الأمي أي الجاهل بالقراءة والكتابة . كان منهم من يقرأ ويكتب بالقلم المسند ، وكان

بينهم من يقرأ ويكتب بالقلم الذي دوّن به القرآن الكريم ، فصار القلم الرسمي للاسلام ، بفضل تدوين الوحي به ، كما كان بينهم من يكتب بقلم النبط وبقلم بني إرم . وكان بينهم من يكتب ويقرأ بقلمين أو أكثر .

وقد سبق ان ذكرنا ان الأحناف كانوا يكتبون ويقرأون ، ورأينا بعضاً منهم كان يكتب بأقلام أعجمية ، وكان قد وقف على كتب أهل الكتاب ، وكانوا أصحاب رأي ومقالة في الدين وفي أحوال قومهم . وذكرت انهم قالوا عن بعضهم ، مثل (ورقة بن نوفل) ، انه كان « يكتب الكتاب العبراني، فيكتب بالعبرانية من الانجيل ما شاء أن يكتب »[1] .

وقد ذكر (الهمداني) ان العرب كانت «تسمي كل من قرأ الكتب أو كتب: صابئاً ، وكانت قريش تسمي النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أيام كان يدعو الناس بمكة ويتلو القرآن: صابئاً »[2] . فالصباة على تفسير (الهمداني) ، هم الكتبة وكل من قرأ الكتب ، وعلى ذلك يكون الحنفاء في جملة الصباة .

وقد ذكر أهل الأخبار انه كان لدى (الأكاسرة) ديوان خاص يدون فيه كل ما يخص عرب الحيرة وسائر العرب بالعربي ، ويتولى أيضاً ترجمة كل ما يرد الى الدولة بالعربية الى الفارسية ، ويترجم ما يصدر بالفارسية من الحكومة الى العرب بالعربية ، وان في جملة من اشتغل في هذا الديوان وقام بالترجمة فيه (زيداً العبادي) ، أبا الشاعر الشهير (عدي بن زيد العبادي) ، وزعم (ابن الكلبي) ان ملوك الحيرة كانوا يملكون دواوين فيها أخبارهم ومقدار مدد حكمهم وما قيل في مدحهم من شعر ، وفي خبر صحيفة المتلمس وقراءة أحد غلمان الحيرة للصحيفة التي كان يحملها ما يشير الى معرفة غلمان أهل الحيرة القراءة والكتابة [3] . وفي كل هذه الروايات والأخبار تفنيد لزعم من ذهب الى ان العرب قبل الاسلام كانوا جميعاً في جهالة وأمية .

---

١ الاغاني (٣/١٢٠) .
٢ الاكليل (١/٤٤) .
٣ الفهرست (ص ١٢ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٣/٣٦٨ وما بعدها) .
(فأعطى المتلمس كتابه بعض الغلمان فقرأه) ، (فاذا أنا بغلام من أهل الحيرة يسقي غنيمة له من نهر الحيرة ، فقلت : يا غلام . اتقرأ ؟ قال : نعم . قلت : اقرأ) مجمع الامثال (١/٤١٢ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٣/٣٧٤) ، النصرانية وآدابها (١/١٥٧) .

بل ورد في روايات أهل الأخبار في ترجمة عدي بن زيد العبادي المذكور : ان كان في الحيرة معلمون ، يعلمون الأطفال القراءة والكتابة ، يذهبون الى بيوت الأطفال يعلمونهم ان شاء أهلهم ، أو يعلمونهم في الكتاتيب . وقد ورد أيضاً : ان من الكتاتيب ما كانت تعلم بالعربية ومنها ما كانت تعلم بالفارسية . فكان جدّ عدي بن زيد العبادي مثلاً ممن تعلم في دار أبيه ، وخرج من أكتب الناس في يومه « وطلب حتى صار كاتب ملك النعمان الأكبر . وكان أبوه زيد ممن حذق الكتابة والعربية ، ثم علم الفارسية . ولما تحرك عدي ، وأيفع ، طرحه أبوه في الكتاب ، حتى اذا حذق أرسله المرزبان مع ابنه شاهان مرد الى كتاب الفارسية، فكان يختلف مع ابنه ، ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية ، حتى خرج من أفهم الناس بها ، وأفصحهم بالعربية ، وقال الشعر وتعلم الرمي بالنشاب ، فخرج مع الأساورة الرماة ، وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة وغيرها »[1] .

وذكر أهل الأخبار ان (لقيط بن يعمر الإيادي) الشاعر كتب صحيفة الى قومه إياد ، يحذرهم من كسرى[2] . وكان كاتباً ومترجماً في قصر كسرى، يكتب من الفارسية الى العربية ومن العربية الى الفارسية[3] ، فلما أراد كسرى الانتقام من قومه ، كتب اليهم قصيدة في صحيفة ، فيها :

سلام في الصحيفة من لقيط الى من بالجزيرة من إياد

وذكر ان (سعد بن ملك) أرسل ابنه (المرقش) الشاعر المعروف وأخاه الى رجل من أهل الحيرة ، فعلمها الكتابة ، فكانا يكتبان أشعارهما[4] ، وذكر انه كان يكتب بالحميرية ، وانه كتب أبياتاً بها على خشب رحل « الغفيلي الذي تركه وحده لما مرض ، فلما قرأوا الكتابة ضربوا (الغفيلي) حتى أقر[5] .

وكان جفينة العبادي ، وهو من نصارى الحيرة ، وظئراً لسعد بن أبي وقاص،

---

١ الاغاني (٢/١٨ وما بعدها ، ١٠١) .
٢ الاغاني (٢٠/٢٣ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (٩٧ وما بعدها) ، بروكلمن ، تأريخ آداب اللغة العربية (١/١١٢) ، (المترجم) ، (٢/١٠١ وما بعدها) .
٣ البكري ، معجم (١/٥٢) .
٤ المفضليات (٤٥٩ وما بعدها) ، الاغاني (٦/١٣٠) .
٥ الشعر والشعراء (١/١٣٩) .

كاتباً ، قدم المدينة في عهد عمر ، وصار يعلم الكتابة فيها . وقد اتهمه (عبيد الله بن عمر) بمشايعة أبي لؤلؤة على قتل أبيه ، فقتله وقتل ابنيه[1] .

ولما نزل (خالد بن الوليد) الأنبار ، رآهم يكتبون بالعربية ويتعلمونها ، فسألهم : ما أنتم ؟ فقالوا : قوم من العرب ، نزلنا الى قوم من العرب قبلنا – فكانت أوائلهم نزلوها أيام بختنصر حين أباح العرب ، ثم لم تزل عنها – فقال : ممن تعلمتم الكتاب ؟ فقالوا : تعلمنا الخط من إياد ، وأنشدوه قول الشاعر :

قومي إياد لو انهم أمم أو لو أقاموا فتهزل النعم
قوم لهم باحةُ العراق إذا ساروا جميعاً والخط والقلم[2]

ووجد (خالد بن الوليد) أهل (النقيرة) يعلّمون أولادهم الكتاب في كنيستها . وهي قرية من قرى (عين التمر) . ومنها كان (حمران) مولى (عثمان بن عفان)[3] . ولما فتح (خالد) حصن عين التمر ، وغنم ما فيه ، « وجد في بيعتهم أربعين غلاماً يتعلمون الانجيل ، عليهم باب مغلق ، فكسره عنهم »[4] ، ثم أخرجهم ، فقسّمهم في أهل البلاء ، فكان منهم نصير ،أبو موسى ابن نصير ، وسيرين أبو محمد بن سيرين ، وحمران مولى عثمان وغيرهم .

فنحن في العراق أمام مدارس تعلم العربية في القرى وفي الأماكن التي تكون غالبية سكانها من العرب ، وتعلمهم أمور دينهم من نظر في الأناجيل وفي الكتب الدينية النصرانية والعلوم اللسانية المعروفة الى غير ذلك من علوم ومعرفة وثقافة .

وورد في روايات أهل الأخبار ان عدداً من الشعراء الجاهليين كانوا يكتبون ويقرأون . وكان منهم من اذا نظم شعراً دوّنه ثم ظل يعمل في اصلاحه وتنقيحه وتحكيك ما نظمه الى أن يرضى عنه . فينشده الناس . وممن كان يكتب ويقرأ

---

١ الطبري (٤٢/٥) ، ابن سعد ، طبقات (١/٣ ص ٢٥٨) ، (ليدن) ، البلاذري ، فتوح البلدان (٤٦٠) .
٢ الطبري ، (٣٧٥/٣) .
٣ البلدان (٨٠٧/٤ وما بعدها) .
٤ الطبري (٣٧٧/٣) ، (خبر عين التمر) .

سويد بن الصامت الأوسي ، صاحب مجلة لقمان ، والزبرقان بن بدر[1] ، وكعب ابن زهير[2] ، وكعب بن مالك الأنصاري[3] ، والربيع بن زياد العبسي ، وكان هو واخوته من الكملة . وقد كتب الى (النعمان بن المنذر) شعراً يعتذر اليه فيه[4].

وذكر ان أهل (دومة الجندل) كانوا يكتبون ويقرأون ، وان أهل مكة انما تعلموا الكتابة من أحدهم . وورد ان قوماً من (طيء) تعلموا الكتابة والقراءة من كاتب الوحي لهود . وذكر ان (بشر بن عبد الملك) السكوني ، أخو (أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجن) السكوني الكندي صاحب دومة الجندل ، وكان نصرانياً ، يأتي الحيرة فيقيم بها الحين ، تعلم الخط العربي من أهل الحيرة ، ثم أتى مكة في بعض شأنه ، فرآه (سفيان بن أمية بن عبد شمس) و (أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب) يكتب فسألاه أن يعلمها الخط ، فعلمها الهجاء ، ثم أراهما الخط ، فكتبا . ثم ان بشراً وسفيان وأبا قيس أتوا الطائف في تجارة فصحبهم (غيلان بن سلمة الثقفي) ، فتعلم الخط منهم ، وفارقهم بشر ومضى الى ديار مضر ، فتعلم الخط منه (عمرو بن زرارة بن عدس) فسمي عمرو الكاتب . ثم أتى بشر الشأم ، فتعلم الخط منه ناس هناك[5] .

وتعلم الخط من الثلاثة الطائيين : (مرامر بن مرة) ، و (أسلم بن سدرة) ، و (عامر بن جدره) ، الذين وضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلمه منهم أهل الأنبار — رجل من طابخة كلب ، فعلمه رجلاً من أهل وادي القرى ، فأتى الوادي يتردد ، فأقام بها،وعلم الخط قوماً من أهلها[6].

وقد وصف الشاعر (أبو ذؤيب) الهذلي كاتباً من اليمن وهو يكتب كتاباً، ولم يكن خط هذا الكاتب بالقلم العربي ، قلم أهل مكة ، وانما كان بقلم أهل اليمن وهو المسند . وذلك كما يظهر من تعابير هذا الشاعر الواردة في شعره ، إذ يقول :

---

١ الاغاني (٢/١٨٠) .
٢ الشعر والشعراء (١/٩١) .
٣ ابن هشام (٢/٨٧ وما بعدها) .
٤ الاغاني (١٦/٢٢ وما بعدها) ، المرتضى ، أمالي (١/١٣٦) .
٥ فتوح البلدان (٤٥٦) ، (أمر الخط) .
٦ فتوح البلدان (٤٥٧) ، (أمر الخط) .

عرفتُ الديار كرَقْم الدوا ة يزبره الكاتب الحميريّ
برقم ووشي كما زخرفت يميشمها المُزدَهاة الهدي
أدانَ وأنبأه الأولو ن أن المدان المليُّ الوفيّ
فنمنم في صحف كالريا طِ فيهن إرث كتاب محيّ[1]

وهي قصيدة عدتها أربعة عشر بيتاً ، ذكر في أولها دروس الديار وطموسها الى أن رثى ابن عمه (نشيبة) بخمسة أبيات من آخرها[2] .

ويظهر من هذه الأبيات ان ذلك الكاتب الحميري كان يكتب بالحبر الموجود في دواة على شيء يصلح للكتابة عليه كأديم أو قرطاس ، ولم يكن يستعمل المزبر المعمول من حديد لنقش الحروف على الحجر . وهذا مما يدل على ان أهل العربية الجنوبية كانوا يكتبون على مواد الكتابة الأخرى بالحبر والقلم ، فعل أهل مكة وأهل الحيرة ودومة الجندل .

وذكر أهل الأخبار أيضاً ، ان رجلين من (بني نهد بن زيد) يقال لهما (حزن) و (سهل) كانا يكتبان ويقرأان . وكانا قد زارا (الحارث بن مارية) الغساني ، وكان عندهما حديث من أحاديث العرب ، ولهما ظرافة وأدب وصحبة ، فنزلا منزلاً طيباً من قلب الحارث ، فحسدهما (زهير بن جناب الكلبي) وكان من ندماء الملك ، فأراد افساد مكانهما عنده ، فقال له : « هما يكتبان اليه بعورتك وخلل ما يريان منك »[3] . يريد اخباره انهما كانا يتجسسان عليه فيكتبان بأخباره الى خصمه (المنذر) الأكبر ، ملك الحيرة ، جدّ النعمان بن المنذر .

وأما عرب بلاد الشأم ، فلم يذكر أهل الأخبار شيئاً عن علمهم بالكتابة والقراءة ، ولكن ذلك لا يمكن أن يكون دليلاً على جهلهم بها . ولا سيما انهم كانوا على اتصال ببني إرم في بلاد الشأم وبعرب بلاد العراق ، ثم انه يجوز انهم كانوا يكتبون بقلم بني إرم ، على عادة معظم شعوب الشرق الأدنى إذ ذاك ،

---

١ ديوان الهذليين (١/٦٤) .
٢ الخزانة (٣/٢٩١) ، (بولاق) .
٣ الاغاني (٥/١١٨) ، (دار الكتب) .

في الكتابة به ، لأنه كان قلم العلم والثقافة والأدب في ذلك الحين . ثم اننا سمعنا ان ملوكهم المتنصرين كانوا يرأسون مجالس المناظرات في أمور الدين ، ويبحثون مع رجال الدين في موضوعات دينيـــة ، ويدافعون عن مذهب اليعاقبة في طبيعة المسيح ، ومثل هؤلاء الملوك لا يعقل أن يكونوا جهلة أميـــين لا يقرأون ولا يكتبون .

وقد سبق أن تحدثت عن الكتابات الصفوية وعن كتابات عربية شمالية أخرى، عثر عليها السياح والمستشرقون في مواضع متعددة من (الصفاة) وفي البوادي ، كتبت على صخور وهشيم صخور منثور ، دلّ البحث فيها على انهـــا كتابات أعراب ، كان أصحابها يتنقلون من مكان الى مكان طلباً للمرعى والصيد .

وتدل تلك الكتابات الصفوية على ان أعراب الجاهلية كانوا في أيام الجاهليـــة أحسن حالاً من حيث علمهم بالكتابة والقراءة من أعراب هذا اليوم . فالكتابات الصفوية الكثيرة المبعثرة في البوادي ، هـــي كتابات أعراب ، متجولين ، كانوا يرعون الإبل وبقية الماشية،فكانوا يسلّون أنفسهم بالكتابة والتصوير على الحجارة ، بينما لا نكاد نجد بين أعراب هذا اليوم من يكاد يقرأ ويكتب .

كما تحدثت عن كتابات ثمودية ، وثمود قوم من لبّ العـــرب ومادة العرب البائدة الأولى في عرف النسابين ، وتحدثت أيضاً عن القلم المسند بلهجاته ولغاته ، فهل يصدق بعد هذا قول من زعم ان العرب قبل الاسلام كانوا في جهالة عمياء، لا يقرأون ولا يكتبون .

ولا يعقل أن يكون المذكورون أمين كتبوا للتسلية والتلهية ، وان الأوامـــر والقوانين التي دوّنها ملوك اليمن قبل الاسلام وأعلنوها للناس بوضعها في المحلات العامة وفي الأماكن البارزة كانت مجرد تدوين أو تزويـــق وتزيين ، لا للاعلان ولإفهام المواطنين بمحتوياتها . إن تدوين تلك الكتابات ووضع الحجارة الفخمـــة المكتوبة للإعلان ، دليل على ان في الناس قوماً يقرأون ويكتبون ويفهمون ، وان الحكومات انما أمرت بتدوينهـــا لإعلام الناس بمحتوياتها للعمل بها ، كما تفعـــل الحكومات في الوقت الحاضر عند إصدارها أمراً أو قانوناً بإذاعته بالوسائل المعروفة على الناس للوقوف عليها ، وان من بين الحجارة الصفوية واللحيانية والثموديـــة المكتوبة ، ما هو رسائل وكتب وجهت الى أشخاص معروفين ، كما نفعل اليوم في توجيه الرسائل الى الأقرباء والأصدقاء .

ووجد عند ظهور الاسلام قوم كانوا يكتبون ويقرأون ويطالعون الكتب بمكة ولهم إلمام بكتب أعجمية ، ومن هؤلاء (الأحناف) وقد ذكر عن بعض انهم كانوا يجيدون بعض اللغات الأعجمية ، وانهم وقفوا على كتب اليهود والنصارى وعلى كتب أخرى . وفي معركة (بدر) اشترط الرسول على من أراد فداء نفسه ولم يكن موسراً من أهل مكة ، أن يعلم عشرة نفر من المسلمين القراءة والكتابة، كما كان من عادة أهل مكة تدوين ما يجمعون عليه وما يلزمون أنفسهم بـه في صحف يختمونها بخواتمهم وبأسمائهم لتكون شواهد على عزمهم كالـذي فعلوه في الصحيفة . وذكر ان أمية بن أبي الصلت كان فيمن قرأ الكتب ووقف عليها [1]، وذكروا غيره أيضاً .

وذكر أهل الأخبار ان قوماً من أهل يثرب من الأوس والخـزرج ، كانوا يكتبون ويقرأون عند ظهور الاسلام ، ذكروا فيهم : سعد بن زرارة ، والمنذر ابن عمرو ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وكان يكتب بالكتابين العربية والعبرية أو السريانية ، ورافع بن مالك وأسيد بن حُضير ، ومعنى (معن) بن عدي البلوي ، وأبو عبس بن كثير ، وأوس بن خولى ، وبشير بن سعيـد ، وسعد بن عُبادة ، والربيع بن زياد العبسي ، وعبد الرحمن بن جبر ، وعبدالله ابن أبي ، وسعد بن الربيع ، وقد رجعوا أصل علمهم بالكتابة والقراءة الى قوم من يهود يثرب ، مارسوا تعليم الصبيان القراءة والكتابة ؛ دعوهم (بني ماسكة)[2]. ويظهر ، إن صحت هذه الرواية ، ان يهود يثرب كانوا يكتبون بالعربية أيضاً ، وانهم كانوا يعلمونها للعرب . وتعرض البلاذري لهـذا الموضوع فقـال : « كان الكتاب في الأوس والخزرج قليلاً ، وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، وكان تعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول ، فجاء الاسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون »[3] . ونجد هذا الخبر في موارد أخرى ، أخذته دون أن تشير الى السند ، فظهر وكأنه حقيقة مسلمة وخبر متواتر ، حتى جـاز على المحدثين ، فبنوا عليه حكماً ، هو أن الكتاب كان في يثرب قليلاً ، حتى جاء الاسلام ،

---

١ المعارف ، لابن قتيبة (ص ٢٨) .

٢ صبح الاعشى (٣/١٥) .

٣ البلاذري ، فتوح (٤٧٩) .

فانتشر بها ، وانه لو كانت الكتابة منتشرة عندهم ، لما كلف الرسول القارئين الكاتبين من أسرى بدر، بأن يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة ، فداءً لنفسه من الأسر[1] .

ويظهر ان يهود يثرب ، وربما بقية يهود ، مثـل يهود خيبر ، وتيماء وفدك ووادي القرى ، كانوا يكتبون بقلمهم ، كما كانوا يكتبون بالعربية ، ويظهر من استعمال (البلاذري) جملة : « وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، وكان تعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول »[2]،ان يهود يثرب كانوا يكتبون بالعربية ، كما كان يكتب بها صبيان المدينـة ، وكانوا يعلمون الكتابـة لصبيان يثرب في مدارسهم . وفي هذا الخبر وأمثاله دلالة على ان الكتابة كانت معروفة بين أهـل يثرب أيضاً قبل الاسلام ، وانها كانت قديمة فيهم ، ولهذا فلا معنى لزعم من قال انها انتشرت بيثرب في الاسلام ، وان الكتابة كانت قليلة بها قبل هذا العهد.

وقصد أهل الأخبار بجملة « وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، الكتابة بالخط العربـي الشمالي ، لا بالقلم المسند ، لأن هـذا هو مرادهم من (الكتاب العربـي) و (كتاب العربية) ، ويظهر ان اليهود قد تعلموا الخط العربـي من عرب العراق وبلاد الشأم،أو من التجار والمبشرين الذين كانوا يفدون الى الحجاز، وأما القلم المسند ، الذي هو قلم العرب الجنوبيين ، فلم يكن مستعملاً في يثرب، وإلا لأشير اليه ، مع انها من القواعد المتعصبة للقحطانية ، وحاملة الدعوة الى اليمن قبل الاسلام وفي الاسلام . وهذا يدل على ان المسند كان قـد طورد في جزيرة العرب قبل الاسلام ، وأن سلطانه كان قد تقلص كثيراً خارج العربيـة الجنوبيـة قبل نزول الوحي على الرسول ، وربما كان القلم العربـي الشمالي قد دخل العربية الجنوبية أيضاً قبل الاسلام ، فأخذ ينافس المسند فيها ، ولا سيما في المناطق التي تركزت فيها النصرانية وتحكمت في أهلها ، فأخذ النصارى يقاومون ذلك القلم ، لأنه قلم الوثنية ، ويعلّمون أولاد النصارى القلم العربـي الشمالي ، لأنه قلمهم الذي كانوا يعلمون به في كنائس العرب في العراق وفي دومة الجندل وبلاد الشأم .

وقد أطلق العرب على الذي يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمي،وقيل الحساب

---

١ ابن سعد ، طبقات (الجزء الثاني ، القسم الاول) ، (١٤) .
٢ البلاذري ، فتوح (٤٥٩) ، (المكتبة التجارية) .

أيضاً ، والجَلَد أي الشجاعة ، وقول الشعر ، وأصحاب الشرف والنسب: الكملة. وجمع بعض أهل الأخبار الى ذلك استواء القامة وكمال الانسان[1] . ومن هؤلاء الكملة : (سعد بن عبادة بن دليم) سيد الخزرج ، وهو من أسرة غنية تطعم الفقراء ، ولها أطم يأوي اليه الفقراء للأكل . ولما نزل النبي يثرب ، كانت جفنة (سعد) تدور مع النبي ، وكان يعشي كل ليلة أهل الصفة[2] .

ومن الكملة : الربيع بن زياد العبسي . وكان هو واخوته من الكملة[3] . و (رافع بن مالك) ، و (أسيد بن حضير) ، و (عبدالله بن أبي) ، و (أوس بن خولى) ، و (سويد بن الصامت) ، و (حضير الكتائب)[4].

ويظهر من النظر الى قائمة أسماء من أدخلهم أهل الأخبار في الكملة ، ان الكتابة والرماية والعوم ، لم تكن الشروط الأساسية الكافية ، لكي يعد الانسان كاملاً ، فقد توفرت هذه الشروط في أناس آخرين ، لم يدخلوا مع ذلك في الكملة ، وانما هنالك أشياء أخرى بالاضافة الى الأمور المذكورة ، هي الشرف وكمال الجسم والعقل والامتناع عن الهجر في الكلام ، والتحلي بالحكمة وبالفطانة واللب وقول الشعر المحكم الحكيم .

وكان (عبد الرحمان بن جبر) ، أبو عبس الأنصاري ، يكتب بالعربية قبل الاسلام . ومات سنة أربع وثلاثين[5] .

وكان (المنذر) ، (منذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان) الخزرجي من الكتبة . وكان أحد السبعين الذين بايعوا الرسول ، وأحد النقباء

---

١ المعارف (٢٥٩) ، الاغاني (٣/٢٥) ، (دار الكتب) ، ابن سعد ، طبقات (٣/٥٤٢)

٢ ابن سعد طبقات (٣/٦١٣) ، الاصابة (٢/٢٧) ، (رقم ٣١٧٣) ، الاستيعاب (٢/٣٢ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، أسد الغابة (٢/٣٧٨) ، ابن الاثير ، الكامل (٢/٣٧٨) ، ابن هشام (٢/٨٩) .

٣ أمالي المرتضى (١/١٣٦ ، ١٩٠) ، الاغاني (١٦/٢٢ وما بعدها) .

٤ فتوح البلدان (٤٥٩ وما بعدها) ، ابن سعد ، طبقات (٣/٥٤٢) ، الاصابة (١/٩٨ وما بعدها) ، (رقم ٣٣٤) ، تفسير الطبري (٤/٢٣) ، الروض الانف (١/٢٦٥ وما بعدها) ، الاغاني (٢/١٦٤) ، ابن هشام ، سيرة (١/٢٦٥) ، (حاشية على الروض) .

٥ المعارف (٣٢٦) ، (أبو عيسى) ، الاصابة (٢/٣٨٦) ، (رقم ٥٠٩٧) ، (٤/١٥٠) ، (رقم ٨٨٠) .

الاثني عشر . « وكان يكتب في الجاهلية بالعربية »[1] . قتل يوم بئر معونة .

وكان (أبو جبيرة بن الضحاك) الأنصاري ، ممن يكتب . وقد تولى الكتابة للخليفة (عمر)[2] .

وكان (قيس بن نشبة) عم الشاعر (العباس بن مرداس) السلمي ، أو ابن عمه من الكتبة . ذكر انه كان ممن قرأ الكتب وتأله في الجاهلية . والعباس بن مرداس نفسه كان كاتباً ، ذكر انه لما سمع ان رجلاً من أهل مكة اشترى إبلاً لقيس بن نشبة فلواه حقه ، وان (قيساً) قام بمكة يقول :

يا آل فهرٍ كنت في هذا الحرم في حرمة البيت وأخلاق الكرم
أظلم لا يمنع مني من ظلم

بلغ ذلك (عباس بن مرداس) فكتب اليه أبياتاً منها :

وآثتِ البيوت وكن من أهلها مدداً تلق ابن حرب وتلق المرء عبّاسا

فقام العباس بن عبد المطلب وأخذ له بحقه ، وقال : أنا لك جار ما دخلت مكة ، فكانت بينه وبين بني هاشم مودة[3] .

وفي جملةٍ من كان يكتب ويقرأ من أهل مكة (حرب بن أمية) . واليه ينسب قوم من أهل الأخبار ادخال الكتابة بين قريش . وهو أبو (أبي سفيان ابن حرب) ، فهو جدّ (معاوية بن أبي سفيان) . وورد ان الذي حمل الكتابة الى قريش بمكة (أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة) . فهو ناشر الكتابة على هذه الرواية بين أهل مكة[4] . والاثنان على رأي أهل الأخبار من أقدم كتّاب مكة اذن ، بل هما ناشرا الكتابة بها . وقد ذهب (ابن قتيبة) ان (بشر بن عبد الملك العبادي) علم (أبا سفيان بن أمية) ، و (أبا قيس بن عبد مناف بن زهرة)

---

١ الاستيعاب (٣/٤٣٨ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، الاصابة (٣/٤٤٠)، (رقم ٨٢٢٦) .
٢ الجهشياري (١٦) ، الاصابة (٤/٣١) ، (رقم ١٨٨) .
٣ الاصابة (٣/٢٤٩ وما بعدها) ، (٧٢٤٤) .
٤ الفهرست (ص ١٣) ، المعارف (٧٣) .

الكتاب ، فعلّما أهل (مكة)[1] . وقد ذكر (السيوطي) عن (أبـي طاهر) السلفي في (الطيوريات) بسنده عن (الشعبي) ، انه « قال : أول العرب الذي كتب بالعربية حرب بن أمية بن عبد شمس » . تعلم من أهل الحيرة ، وتعلم أهل الحيرة من أهل الأنبار[2] .

ولو أخذنا برأي من قال إن (حرب بن أمية) أو (أبو سفيان بن أمية)، هما أول من علم أهل مكة الكتابة ، نكون قد جعلنا (بني أمية) أول من أدخل القلم الى مكة ، بفضل تعليم (بشر) لهم هذا القلم . ومنهم انتشر بين أهل مكة في عهد غير بعيد عن ايام النبي .

وذكر ان في جملة من كان يكتب قبل الاسلام (عمرو بن عمرو بن عدس)[3].

وذكر (ابن النديم) ان (أسيد بن أبـي العيص) كان من كتّاب العرب. وذكر انه كان في خزانة (المأمون) كتاب بخط (عبد المطلب بن هاشم) في جلد أدم ، فيه ذكر حق (عبد المطلب بن هاشم) من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري ، من أهل وزل صنعا عليه ألف درهم فضة كيلاً بالحديدة ومتى دعاه بها أجابه . وكان الخط شبه خط النساء[4] .

وكان (حنظلة بن أبـي سفيان) ممن يحسن الكتابة والقراءة بمكة . فقد ورد في الأخبار انه كتب من مكة الى والده (أبو سفيـان) ، وكان إذ ذاك مـع العباس بن عبد المطلب بنجران ، يخبره خبر الرسول[5] . وكان والده يكنى به . وقد قتله (علي بن أبـي طالب) يوم (بدر)[6] .

وكان (بغيض بن عامر بن هاشم) من كتّاب قريش قبل الاسلام . وهو الذي كتب الصحيفة على بني هاشم[7] . وورد ان (أبا الروم بن عبد شرحبيل) واسمه (منصور بن عكرمة) هو الذي كتب الصحيفة[8] .

---

١ المعارف (٥٥٣) .
٢ المزهر (٢/٣٤٢) .
٣ المزهر (٢/٣٥١) ، (النوع الثاني والاربعون : معرفة الكتابة) .
٤ الفهرست (١٣ وما بعدها) .
٥ الاغاني (٦/٢٥٠) ، (دار الكتب) .
٦ نسب قريش (١٢٣) .
٧ كتاب نسب قريش (٢٥٤) .
٨ كتاب نسب قريش (٢٥٥) ، الروض الانف (١/٢١٩) .

وكان (الوليد بن الوليد) وهو أخو (خالد بن الوليد) ممن يكتب ويقرأ، وكان (خالد) ممن يقرأ ويكتب كذلك . وكان الوليد سبب اسلام (خالد) . فقد كان قد فر من مكة ولحق بالرسول عمرة القضيّة ، وكتب الى أخيه خالد، ان الرسول قال له : « لو أتانا ، لأكرمناه ، وما مثله سقط عليه الاسلام في عقله » ، فوقع الاسلام في قلب خالد . وكان سبب هجرته[1] .

وكان (نافع بن ظريب بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف بن قصي) القرشي ممن يكتب . أسلم يوم الفتح . وهو الذي كتب المصاحف لعمر بن الخطاب[2] ، أو المصحف له . وذكر انه كان يكتب المصاحف،وانه كتب المصاحف لعثمان[3] ، فيظهر انه كان من نسّاخ المصاحف ، ينسخها للناس .

وكان (حاطب بن أبي بلتعة) من الكتّاب . وكان حليفاً لبني أسد بن عبد العُزى ، ويقال حالف الزبير ، وقيل مولى (عبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد) . وهو الذي كتب كتاباً الى أهل مكة يخبرهم بتجهيز رسول الله اليهم ، فنزلت فيه : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم »[4] . وقد شهد مع علي بن أبي طالب على كتاب رسول الله لسلمة بن مالك السلمي، الذي كتب الرسول به اقطاعه ما بين ذات الحناظى الى ذات الأساود[5] .

وكان الحكم بن أبي أحيحة سعيد بن العاصي ، وهو الذي سمّاه رسول الله (عبدالله) من اولئك الذين أمرهم الرسول ان يعلم الكتاب بالمدينة . وكان كاتباً قتل يوم (مؤتة)[6] .

يقول أهل الأخبار : ولما نزل الوحي كان « في قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن الجرّاح ، وطلحة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وحاطب بن عمرو ، أخو سهيل بن عمرو العامري من قريش،

---

١ نسب قريش (٣٢٤) .
٢ الاستيعاب (٣/٥١٠) ، (حاشية على الاصابة) .
٣ الاصابة (٣/٥١٥) ، (رقم ٨٦٥٨) .
٤ الاصابة (١/٢٩٩) ، (رقم ١٥٣٨) ، المقريزي ، امتاع (١/٣٦٢) .
٥ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٥) .
٦ نسب قريش (١٧٤) .

وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، وأبان بن سعيد بن العاص بن أميـة ، وخالد بن سعيد أخوه ، وعبدالله بن سعد بن أبـي سرح العامري ، وحويطب بن عبد العزى العامري ، وأبو سفيان بن حرب بن أمية ، ومعاوية بن أبـي سفيان ، وجهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ، ومن حلفـاء قريش : العلاء الحضرمي »[1] .

ولكننا لو أحصينا أسماء من كان يكتب من اهل مكة، ممن نص أهل الأخبار على أسمائهم ، وممن لم ينصوا على اسمهم ، وانما ذكروهم عرضاً في اثناء كلامهم عنهم فذكروا انهم كانوا يكتبون ويقرأون ، لوجدنا ان عددهم أكثر بكثير من هذا الرقم المذكور ، رقم سبعة عشر كاتباً ، او بضعة عشر نفراً[2] ، وهو عدد ورد اليهم على ما يظهر من خبر آحاد ، انتشر في الكتب، فصار متواتراً منتشراً حتى في كتب المؤلفين في هذا اليوم ، اتخذوه دليلاً على أمية العرب قبل الاسلام .

وقد استعان الرسول بقوم كتبوا له ، أشار العلماء الى أسمائهم . منهم من كتب له الوحي ، فعرفوا من ثم بـ (كتاب الوحي) . ومنهـم من كتب له بريده ورسائله،ومنهم من تولى له تدوين المغانم وأمور الزكاة والخرص والصدقة وما الى ذلك من امور اقتضاها تطور الظروف والأحوال ، ومنهم مثل (زيد بن ثابت) من كتب له بالعربية وبالعبرانية او السريانية . وذكر ان بعضهم كان مثـل زيد يكتب بغير العربية أيضاً . وكان ممن كتب له : (عـلي بن ابـي طالب) ، و (عثمان بن عفان) ، و (معاوية بن أبـي سفيان) ، و (حنظلة الأسيدي) ، و (خالد بن سعيد بن العاص) ، و (ابان بن سعيـد) ، و (العلاء بن الحضرمي) ، و (عبدالله بن أبـي سرح)[3] .

وروي ان « أول من كتب له أبـي بن كعب ، وكان اذا غاب أبـي كتب له زيد بن ثابت » ، وكان يكتب في الجاهلية[4] .

---

١ فتوح البلدان (٤٥٧) ، (أمر الخط) .
٢ فتوح البلدان (٤٥٧) ، (أمر الخط) ، العقد الفريد (٤/٢٤٢) .
٣ الطبري (٣/١٧٣) (ذكر من كان يكتب لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم) ، التنبيه والاشراف (٢٤٥ وما بعدها) ، الوزراء والكتاب (١٢ وما بعدها) ، العقد الفريد (٤/٢٤٦) .
٤ الطبري (٣/١٧٣) ، (دار المعارف) ، المعارف (١١٢ وما بعدها) .

وجاء في ترجمة أنس بن مالك : أن أمه جاءت به يوم قدم الرسول يثرب وقالت له : « يا رسول الله ، هذا ابني وهو غلام كاتب »[1] . ومعنى هذا أن غلمان يثرب كانوا يقرأون ويكتبون .

وقد ورد في أخبار (بدر) أنه كان في أسرى قريش قوم يقرأون ويكتبون ، وقد أمر رسول الله بفك رقاب هؤلاء الأسرى على أن يكون فداؤهم تعليم كل واحد منهم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة والقراءة[2] . وقد علّم كل واحد منهم صبيان يثرب الكتابة فانتشرت الكتابة بينهم[3] .

وذكر أن ممن كتب لرسول الله : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والزبير بن العوّام ، وخالد وابان ابنا سعيد بن العاص ، وحنظلة الأسيدي ، والعلاء بن الحضرمي ، وخالد بن الوليد ، وعبدالله بن رواحة ، ومحمد بن مسلمة ، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح ، وعبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وجهيم بن الصلت ، ومعيقيب بن أبي فاطمة ، وشرحبيل بن حسنة ، وعبدالله ابن الأرقم الزهري . وذكر أن عدد من كتب للرسول ثلاثة وأربعون كاتباً[4] .

وأول من كتب للنبيّ من قريش (عبدالله بن سعد بن أبي سرح)، وأول من كتب له مقدمه المدينة (أبي بن كعب) ، وهو أول من كتب في آخر الكتاب : وكتب فلان بن فلان . وهو من كتاب الوحي والرسائل . وقد كان (عبدالله بن الأرقم الزهري) من كتاب الرسائل للرسول ، وأما الكاتب لعهوده إذا عهد وصلحه إذا صالح ، فعلي بن أبي طالب[5] . وقد وردت في أواخر بعض كتب الرسول أسماء كتاب تلك الكتب .

وفي طبقات (ابن سعد) صورة كتاب أمر بتدوينه رسول الله لنهشل بن مالك الوائلي من باهلة ، كتبه (عثمان بن عفّان)[6] .

---

١ ابن سعد ، الطبقات الكبرى (٧/١٠) .
٢ طبقات (٢/١ ص ١٤) .
٣ امتاع الاسماع (١/١٠١) .
٤ الاستيعاب (١/٣٠) ، (حاشية على الاصابة) ، الجهشياري ، كتاب الوزراء والكتاب (١٢ وما بعدها) ، العقد الفريد (٤/٢٤٦) .
٥ الاستيعاب (١/٣٠) ، الجهشياري ، (١٣) .
٦ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٤) .

وكان (علي بن أبي طالب) من كتاب الوحي ، والكاتب لعهـــود الرسول إذا عهد ، وصلحه إذا صالح[1] . ذكر أنه تعلم الكتابة وهو صغير ، ابـن أربع عشرة سنة ، تعلمها في (الكتاب)[2] .

وكان من كتّاب رسول الله الذين كتبوا له الرسائل الى سادات القبائل يدعوهم فيها الى الاسلام : خالد بن سعيد بن العاص[3] ، والمغيرة بن شعبة[4] ، ومعاوية[5] ، وعبدالله بن زيد[6] ، وأبي بن كعب[7] ، وعلي[8] . وجُهيم بن الصلت[9] ،والأرقم ابن أبي الأرقم المخزومي[10] ، والزبير بن العوّام[11] ، والعـلاء بن الحضرمي[12] ، وعقبة[13] ، والعلاء بن عقبة[14] ،وعثمان بن عفـّان[15] ، ومحمد بن مسلمة الأنصاري[16] ، وثابت بن قيس بن شماس[17] .

وعبدالله بن سعد بن أبـي سرح ، من كتاب الرسول ، وقد كان أول مرتد في الإسلام . ارتد وكان قد خالف في كتابه إملاءه ، فأنزل الله فيـــه آيات من القرآن نهى فيه عن اتخاذه كاتباً ، فهرب ، فلما كان يوم (الفتح) التجأ[18] الى (عثمان) أخوه من الرضاعة فأجاره ، واستجار له (عثمان) عند النبي فأجاره له . وقد عينه (عثمان) عاملاً على مصر ، وافتتح إفريقية، ومات سنة ست وثلاثين ،

---

١ الاستيعاب (١/ ٣٠) ، (حاشية على الاصابة) .
٢ الفصول المختارة ، للمفيد (٢/ ٦٦) ، (النجف) .
٣ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٦٥ ، ٢٧١) .
٤ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٦٦ ، ٢٦٨) .
٥ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٦٦ ، ٢٦٧) .
٦ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٦٧) .
٧ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٦٧ ، ٢٧٨) .
٨ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٦٧) .
٩ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٦٨) ، الاصابة (١/ ٢٥٧) ، (١٢٥٦) .
١٠ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٦٨ ، ٢٦٩) .
١١ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٦٩) .
١٢ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٦٩ ، ٢٧١) .
١٣ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٧١) .
١٤ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٧١ ، ٢٧٣) .
١٥ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٨٤) .
١٦ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٨٦) .
١٧ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٨٦) .
١٨ رسائل الجاحظ (٢/ ١٨٨) .

أو سبع وخمسين ، أو تسع وخمسين[1] . وروي أنه كان أول من كتب له من قريش[2] .

وهناك رواية يرجع سندها الى (أنس بن مالك) ، تذكر أن « رجلاً كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا أملى عليه سميعاً بصيراً ، كتب سميعاً عليماً ، وإذا أملى عليه سميعاً عليماً ، كتب سميعاً بصيراً . وكان قد قرأ البقرة وآل عمران ، وكان من قرأهما قرأ قرآناً كثيراً ، فتنصر الرجل ، وقال إنما كنت أكتب ما شئت عند محمد .. قال : فمات »[3]. ولا نعرف كاتباً ينطبق عليه هذا الوصف سوى (عبدالله بن سعد بن أبي سرح) . فهو المراد بهذه القصة . وهي قصة لا يمكن أن تكون صحيحة ، لأن ارتداد (عبدالله) إنما كان بمكة ، فدليل النص عليه في سورة الأنعام[4] ، وهي سورة مكية ، فكيف يكون قد قرأ سورة البقرة وآل عمران ، ثم تنصر ، وهما سورتان مدنيتان .

وفي (عبدالله) نزلت الآية : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، أو قال : أوحي إليّ ولم يوحَ اليه شيء . ومن قال : سأنزل مثل الذي أنزل الله »[5]، على رأي أكثر المفسرين . « كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان فيما يملي عزيز حكيم ، فيكتب غفور رحيم ، فيغيره ، ثم يقرأ عليه كذا وكذا لما حوّل ، فيقول نعم سواء . فرجع عن الإسلام ، ولحق بقريش . وقال لهم : لقد كان ينزل عليه عزيز حكيم ، فأحوّله ثم أقول لما أكتب ، فيقول : نعم سواء . ثم رجع الى الإسلام قبل فتح مكة » . وورد في رواية أخرى: « وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا أملى عليه سميعاً عليماً ، كتب هو عليماً حكيماً : وإذا قال : عليماً حكيماً ، كتب سميعاً عليماً ، فشك وكفر . وقال : إن كان محمد يوحى اليه ، فقد أوحي إليّ وإن كان الله ينزله ، فقد أنزلت مثل ما أنزل الله . قال محمد : سميعاً عليماً . فقلت أنا : عليماً حكيماً .

---

١ الاصابة (٣٠٩/٢) ، (رقم ٤٧١١) .
٢ الاستيعاب (٣٠/١) ، (حاشية على الاصابة) ، البلاذري ، أنساب (٣٥٨/١) ، الجهشياري (١٣) .
٣ السجستاني ، المصاحف (٣) .
٤ أسباب النزول (١٦٥) .
٥ الانعام ، الاية ٩٣ .

فلحق بالمشركين ، ووشى بعمّار وجبير عند ابن الحضرمي ، أو لبني عبد الدار ، فأخذوهم فعذّبوا »[1] .

وورد في رواية أخرى : « كان قد تكلم بالإسلام فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذات يوم يكتب له شيئاً ، فلما نزلت الآية التي في المؤمنين : ولقد خلقنا الإنسان من سلالة . أملاها عليه ، فلما انتهى الى قوله : ثم أنشأ خلقاً آخر ، عجب عبدالله في تفصيل خلق الإنسان ، فقال : تبارك الله أحسن الخالقين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلت عليّ ، فشك عبدالله حينئذ، وقال لئن كان محمد صادقاً لقد أوحي إلي كما أوحي اليه ، ولئن كان كاذباً ، لقد قلت كما قال . وذلك قوله : ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله . وارتد عن الإسلام »[2] .

وورد أنه كان يقول : كنت أصرف محمداً حيث أريد . كان يملي عليّ عزيز حكيم ، فأقول : أو عليم حكيم ، فيقول : نعم كلٌّ صواب . فهدر النبي دمه[3] . وذكر أنه « قال لقريش : أنا آتي بمثل ما يأتي به محمد . وكان يملي عليه الظالمين ، فيكتب : الكافرين ، يملي عليه سميع عليم ، فيكتب : غفور رحيم وأشباه ذلك . فأنزل الله : ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، أو قال أوحي إليّ ، ولم يوح إليه شيء . ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله . فلما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله بقتله ، فكلمه فيه عثمان بن عفّان ، فأمر رسول الله بتركه[4] .

وقد ذكر (الجاحظ) أنه « كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخالف في كتابة املائه . فأنزل الله فيه آيات من القرآن نهى فيه عن اتخاذه كاتباً ، فهرب حتى مات بجزيرة العرب كافراً »[5] . والصحيح أنه هرب ، فلما كان يوم الفتح أمن النبي الناس إلا أربعة نفر وامرأتين . عكرمة ، وابن خطل ، ومقيس ابن صبابة ، وابن أبي سرح ، فأما عبدالله فاختبأ عند عثمان ، فجاء به حتى

---

١ تفسير الطبري (٧/١٨٠ وما بعدها) .
٢ أسباب النزول (١٦٥) .
٣ المعارف (١٣٠ وما بعدها) ، امتاع الاسماع (١/٣٩٣) .
٤ فتوح البلدان (٤٥٩) ، (أمر الخط) ، المعارف (٣٠٠ وما بعدها) .
٥ ذم أخلاق الكتاب ، رسائل الجاحظ (٢/١٨٨) .

أوقفه على النبي ، وهو يبايع الناس ، فاستجار له عثمان ، فأجاره . وعاش وشهد فتح مصر مع (عمرو بن العاص) ، وأمّره (عثمان) على مصر . واختلف في وفاته ، فقيل مات سنة (٣٦ هـ) وقيل عاش الى سنة تسع وخمسين . وكان أخاً لعثمان في الرضاعة [١] .

وكان (جهيم بن الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي)، ممن تعلم الخط في الجاهلية ، فجاء الاسلام وهو يكتب ، وقد كان كتب لرسول الله [٢] . ذكر انه كان هو و (الزبير بن العوّام) يكتبان أموال الصدقات [٣] . وهو الذي كتب كتاب الرسول الى (يحنه بن رؤبة) بتبوك ، وكتابه ليزيد بن الطفيل الحارثي [٤] .

وذكر اسم (الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي) في جملة من كتب للرسول . ففي طبقات ابن سعد ، أنه كتب له كتابه لعبد يغوث بن وعلة الحارثي [٥] ، وكتابه لعاصم بن الحارث الحارثي [٦] ، وكتابه للأجب ، رجل من (بني سُليم) [٧]. وكان اسمه (عبد مناف بن أسد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم) ، ويكنى (أبا عبدالله) . كان من السابقين الأولين ، قيل أسلم بعد عشرة ، وقيل قبل ذلك . وكان رسول الله يجلس في داره التي على (الصفا) ، حتى تكاملوا أربعين رجلاً ، وكان آخرهم إسلاماً (عمر) فلما تكاملوا أربعين رجلاً خرجوا ،وأقطعه النبي داراً بالمدينة [٨] .

و (عبدالله بن الأرقم بن أبي الأرقم) من كتاب الرسول كذلك . كان يجيب عنه الملوك ، وبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب الى بعض الملوك

---

١ الاصابة (٢/٣٠٩) ، (رقم ٤٧١١) ، أسد الغابة (٣/١٧٣) ، الاستيعاب (١/٣٨١) .
٢ الاصابة (١/٢٥٧) ، (رقم ١٢٥٦) . فتوح البلدان (٤٥٩) ، (أمر الخط) ، الاستيعاب (١/٢٤٩) ، (حاشية على الاصابة) .
٣ المسعودي ، التنبيه (٢٤٥) ، (كتاب من حضر من الكتاب) .
٤ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٨) .
٥ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٨) .
٦ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٩) .
٧ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٣ وما بعدها) .
٨ الاصابة (١/٤٢ وما بعدها) ، (رقم ٧٣) .

فيكتب ويختم ولا يقرأه لأمانته عنده . « قال عمر : كتب الى النبي ، صلى الله عليه وسلم كتاب . فقال لعبدالله بن الأرقم الزهري : أجب هؤلاء عني . فأخذ عبدالله الكتاب فأجابهم ، ثم جاء به ، فعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أصبت . قال عمر : فقلت : رضي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما كتبت ، فما زالت في نفسي يعني حتى جعلته على بيت المال »[1] . وكتب لأبي بكر وعمر ، وكان على بيت المال أيام عمر ، وكان أميراً عنده . وذكر أنه كان إذا غاب عن الرسول ، وغاب زيد بن ثابت ، واحتاج الرسول أن يكتب الى أحد أمر من حضر أن يكتب . فمن هؤلاء عمر وعلي وخالد بن سعيد والمغيرة[2] .

وكان عبدالله بن الأرقم بن عبد يغوث الزهري ، والعلاء بن عقبة ، يكتبان بين الناس المداينات وسائر العقود والمعاملات[3] . وذكر ان (عبدالله بن الأرقم) الزهري ، كان من المواظبين على كتابة الرسائل عن النبي[4] .

وكان (حنظلة بن الربيع بن صيفي) الأسيدي ، من كتاب الرسول ، وقد نعته الطبري بـ (كاتب النبي)[5] . وعرف بـ (الكاتب) . وهو من (بني أسيد) ، وبنو أسيد من أشراف تميم . وهو ابن أخي (أكثم بن صيفي) حكيم العرب[6] . وقد عرف بـ (حنظلة الكاتب)[7] . وذكر انه كان « خليفة كل كاتب من كتّاب النبي ، اذا غاب عن عمله ، فغلب عليه اسم الكاتب . وكان يضع عنده خاتمه ، وقال له : ألزمني ، واذكرني بكل شيء لثالثة . فكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة ايام إلا أذكره ، فلا يبيت رسول الله وعنده شيء منه » . ومات بمدينة الرها[8] .

---

١ الاصابة (٢/٢٦٥) ، (رقم ٤٥٢٥) ، نزهة الجليس (٢/٦٥) .
٢ الاصابة (٢/٢٦٥) ، (رقم ٤٥٢٥) .
٣ المسعودي ، التنبيه (٢٤٥) .
٤ الاستيعاب (١/٣٠) ، (حاشية على الاصابة) .
٥ الطبري (٣/٥٧٠) « دار المعارف » ، المعارف (٢٩٩ وما بعدها) .
٦ الاستيعاب (١/٢٧٨) ، (حاشية على الاصابة) .
٧ فتوح البلدان (٤٥٩) ، الاصابة (١/٣٥٩) ، (رقم ١٨٥٩) .
٨ الجهشياري (١٣) .

ومن كتّاب الرسول : (شرحبيل بن حسنة) الطائي . ويقال الكندي[1] ، ويقال التميمي[2] . وهو ممن سيره (أبو بكر) في فتوح الشأم . وكان أميراً على ربع من أرباع الشأم لعمر بن الخطاب ، وقد مات في طاعون (عمواس) .

وكان (خالد بن سعيد بن العاص) (خالد بن سعيد بن العاصي) ممن كتب للرسول . كتب له كتابه الى (بني عمرو بن حمير)[3] . وهو من السابقين الأولين . وقد استعمله الرسول على صدقات مذحج[4] وعلى صنعاء ، فلم يزل عليها الى أن مات رسول الله[5] . وكان له اخوة هما : أبان وعمرو بن سعيد بن العاص، وكانا ممن عملا للرسول . فلما توفي الرسول ، رجعا مع خالد عن أعمالهم، فخرجوا الى الشام[6] ، وفي جملة ما كتبه خالد ، كتاب الرسول لبني أسد[7] ، وكتابه للعدّاء بن خالد بن هوذة ومن تبعه من عامر بن عكرمة[8] ، وكتابه لراشد ابن عبد السلمي ، وكتابه لحرام بن عبد عوف من (بني سُليم)[9] ، وكتابه لبني غاديا ، وهم قوم من يهود ، وكتابه لبني عريض ، قوم من يهود[10] ، وكتابه لثقيف[11] ، وكتابه لسعيد بن سفيان الرعلي[12] .

وكان (ابان بن سعيد بن العاص) (العاصي) ، وهو أخو خالد ، ممن أسلم بعد هجرة الرسول إلى يثرب . ويقال ايام خيبر . وكان هو الذي تولى إملاء مصحف عثمان على زيد بن ثابت ، يوم جمعه في خلافة عثمان ، أمرهما بذلك عثمان . وذلك في رواية من جعله حياً إلى ايام الخليفة (عثمان) . وزعم في

---

١ فتوح البلدان (٤٥٩) ، (أمر الخط) .
٢ الاصابة (١٤١/٢) ، (رقم ٣٨٦٩) ، الاستيعاب (١٣٨/٢ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
٣ ابن سعد ، طبقات (٢٦٥/١) ، الجهشياري (١٢) .
٤ الاصابة (٤٠٦/١) ، (رقم ٢١٦٧) ، الاستيعاب (٣٩٨/١ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
٥ الاستيعاب (٤٠٠/١) ، (حاشية على الاصابة) .
٦ الاصابة (٥٣٢/٢) ، (رقم ٥٨٤٨) ، الاستيعاب (٤٠٠/١) .
٧ ابن سعد ، طبقات (٢٧٠/١) ،
٨ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/١) .
٩ ابن سعد ، طبقات (٢٧٤/١) .
١٠ ابن سعد ، طبقات (٢٧٩/١) .
١١ ابن سعد ، طبقات (٢٨٤/١) .
١٢ ابن سعد ، طبقات (٢٨٥/١) .

روايات أخرى انه قتل يوم أجنادين سنة ثلاث عشرة ، أو يوم اليرموك . وقيل قتل يوم مرج الصفر . وذكر في رواية انه توفي سنة سبع وعشرين في خلافة عثمان[1] .

وكان (طلحة) من الكتبة[2] . وهو أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الاسلام ، وأحد الستة أصحاب الشورى . وكان تاجراً ، وكان عند وقعة بدر في تجارة في الشأم . ولما قدم المدينة آخى النبي بينه والزبير[3] . وذكر انه آخى بينه وبين (كعب بن مالك) حين آخى بين المهاجرين والأنصار . وكان من الأغنياء ، كانت غلته ألفاً وافياً كل يوم . والوافي وزنه وزن الدينار ، وعلى ذلك وزن دراهم فارس التي تعرف بالبغلية[4] .

والزبير بن العوّام في جملة من كتب للرسول . كتب له كتابه لبني معاوية بن جرول الطائيين[5] .

و (أبو عبيدة بن الجراح) ، من هذه الجماعة الكاتبة القارئة . وهو من الأوائل الذين دخلوا في الاسلام ، كان إسلامه قبل دخول النبي دار (الأرقم) ، وقد آخى الرسول بينه وبين (سعيد بن معاذ)[6] .

و (العلاء بن الحضرمي) ، وهو (عبدالله بن عماد) ، وكان أبوه قد سكن مكة وحالف حرب بن أمية ، وكان للعلاء عدة إخوة منهم : (عمرو بن الحضرمي) ، وهو أول قتيل من المشركين ، وماله أول مال خمس في المسلمين ، وبسببه كانت وقعة بدر . وقد استعمل النبي (العلاء) على البحرين[7] . وهو الذي كتب للرسول كتابه لبني معن الطائيين[8] ، وكتابه لأسلم من خزاعة[9] . وكان

---

١ الاصابة (١/٢٤) ، (رقم ٢) .
٢ المزهر (٢/٣٥١) .
٣ الاصابة (٢/٢٢٠) ، (رقم ٤٢٦٦) .
٤ الاستيعاب (٢/٢١٠ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
٥ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٩) .
٦ الاصابة (٢/٢٤٣) ، (رقم ٤٤٠٠) ، الاستيعاب (٣/٢) ، (حاشية على الاصابة)
٧ الاصابة (٢/٤٩١) ، (رقم ٥٦٤٤) .
٨ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٩) ، (صادر) .
٩ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧١) .

أخوه (ميمون بن الحضرمي) صاحب بئر (ميمون) التي بأبطح مكة، احتفرها في الجاهلية . وذكر (المسعودي) أن العلاء ربما كتب بين يدي النبي مع (ابان ابن سعيد)[1] .

و (يزيد بن أبي سفيان) أخو (معاوية) من الكتاب كذلك توفي سنة (١٨) أو (١٩) للهجرة[2] . وهو ممن أسلم يوم الفتح . وقد كان عمر قد استخلفه على (الشأم) بعد وفاة (معاذ) ، فلما مات استخلف أخاه (معاوية)[3] .

وكان (معاوية بن أبي سفيان) من كتبة الرسول . وذكر أنه كان (من الكتبة الحسبة الفصحاء)[4] . ومعنى هذا أنه كان يتقن الكتابة والحساب . ولم يذكر من ذكر سيرته متى تعلم الكتابة . ولا استبعد أن يكون قد تعلمها بمكة قبل دخوله في الإسلام . وهو ممن ولد قبل الإسلام وأسلم عام الفتح . فتكون كتابته للرسول اذن بعد هذا العام . ومن كتبه التي كتبها للرسول كتابه لربيعة بن ذي مرحب الحضرمي[5] ، وكتابه لبني قرة بن عبدالله بن أبي نجيح النبهانيين[6] ، وكتابه لعتبة بن فرقد[7] ، وكتابه لوائل بن حجر لما أراد الشخوص الى بلاده[8] .

وذكر (المسعودي) أن (معاوية) كتب للرسول قبل وفاته بأشهر[9] .

و (المغيرة بن شعبة) من دهاة العرب وشياطينهم . أسلم قبل عمرة الحديبية. وكان يقال له (مغيرة الرأي) . وكان رسول (سعد) الى (رستم) ، أصيبت عينه باليرموك ، وروي انه كان أول من وضع ديوان البصرة ، وأول من سلم

---

١ التنبيه (٢٤٦) .
٢ الاصابة (٣/٦١٩) ، (رقم ٩٢٦٧) .
٣ الاستيعاب (٣/٦١٢) ، (حاشية على الاصابة) .
٤ الاصابة (٣/٤١٢ وما بعدها) ، (رقم ٨٠٧٠) الاستيعاب (٣/٣٧٥ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، الجهشياري (١٢) .
٥ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٦) .
٦ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٧) .
٧ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٥) .
٨ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٧) .
٩ المسعودي ، التنبيه (٢٤٦) .

General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)

عليه بالامرة[1] . وهو الذي كتب كتاب رسول الله الى أهل نجران[2] . وكتابه ليزيد بن المحجل الحارثي . وكتابه لبني قنان بن ثعلبة من بني الحارث[3] ، وكتابه لبني جُوين الطائيين ، وكتابه لعامر بن الأسود بن عامر بن جوين الطائي[4] ، وكتابه لبني الجُرمز بن ربيعة ، وهم من جهينة[5] . وذكر انه والحصين بن نمير كانا يكتبان ما بين الناس[6] .

و (معيقيب) ابن أبي فاطمة ، من (ذي أصبح) وقيل من (بني سدوس) ، وكان حليفاً لبني عبد شمس . أسلم بمكة . وقد ولاه (عمر) بيت المال ، ثم كان على خاتم (عثمان)[7] . وورد انه كان حليف بني أسد ، وكان يكتب مغانم رسول الله[8] .

وكان (عقبة بن عامر بن عبس) الجهني الصحابي المشهور من الكتاب . وصف بأنه « كان قارئاً عالماً بالفرائض والفقه ، فصيح اللسان ، شاعراً كاتباً ، وهو أحد من جمع القرآن » . وعثر على مصحفه بمصر على غير تأليف مصحف (عثمان) « وفي آخره : كتبه عقبة بن عامر بيده »[9] . ونجد في طبقات (ابن سعد) صورة كتاب أمر الرسول بكتابته لعوسجة بن حرملة الجهني في آخره : « وكتب عقبة وشهد »[10] .

وجاء في خبر ضعيف أنه كان للرسول كاتب يقال له (السجل) ، وكاتباً يقال له : « ابن خطل ، يكتب قدام النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا نزل : غفور رحيم ، كتب رحيم غفور ، وإذا نزل : سميع عليم ، كتب عليم سميع . وفيه : فقال ابن خطل : ما كنت أكتب إلا ما أريد ، ثم كفر ولحق بمكة .

---

١ الاصابة (٣/٤٣٢) ، (رقم ٨١٨١) .
٢ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٦) ، (صادر) .
٣ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٨) ، (صادر) .
٤ الطبقات (١/٢٦٩) ، (صادر) .
٥ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧١) .
٦ الجهشياري (١٢) .
٧ الاصابة (٣/٤٣٠) ، (رقم ٨١٦٦) .
٨ الجهشياري (١٢) .
٩ الاصابة (٢/٤٨٢) ، (رقم ٥٦٠٣) .
١٠ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧١) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من قتل ابن خطل ، فهو في الجنة . فقتل يوم الفتح وهو متعلق بأستار الكعبة »[1] . وهذا وهم ، وقد خلط صاحب هذا الخبر بين (عبدالله بن أبي سرح) وبين (ابن خطل) الذي لم يرد في الأخبار أنه كتب للرسول .

وذكر (ابن دحية) أن في (بني النجار) كاتباً كان يكتب الوحي للرسول ثم تنصر[2] . وهو خبر لا نجده في الموارد الأخرى ، ولم ينص على اسم الكاتب، والأغلب في نظري أنه من الأخبار الموضوعة ، وضع على بني النجار للإساءة اليهم ، وضعه من كان يتحامل عليهم .

ويظهر ان كتّاب الرسول قد وزعوا الأعمال الكتابية فيما بينهم،او ان الرسول هو الذي وزع تلك الأعمال عليهم ، بحيث خصص كل واحد منهم بعمل من الأعمال . فقد روي ان علياً وعثمان كانا يكتبان الوحي فإن غابا كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت . وان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية يكتبان بين يديه في حوائجه ، وان المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان ما بين الناس . وان عبدالله بن الأرقم والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياههم وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء . وان زيد بن ثابت يكتب الى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي . وان معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي يكتب مغانم رسول الله . وان حنظلة بن الربيع (ربيعة) بن المدقع بن أخي أكثم بن صيفي الأسدي (الأسيدي) ، خليفة كل كاتب من كتّاب النبي ، اذا غاب عن عمله فغلب عليه اسم الكاتب . وكان يضع عنده خاتمه . وقال له : الزمني واذكرني بكل شيء لثالثة . فكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة ايام إلا اذكره ، فلا يبيت رسول الله وعنده شيء منه[3] . فهو كاتب عام يكتب للرسول في كل أموره ، وهو خليفة كل الكتّاب . ولهذا غلبت عليه لفظة (الكاتب) . وقد كانت وفاته في خلافة (عمر) ، ومات في (الرها) من بلاد مضر[4] .

---

١ ابن سيد الناس ، عيون الاثر (٢/٣١٦) .

٢ ابن سيد الناس ، عيون الاثر (٢/٣١٦) .
بجهشياري (١٢ وما بعدها) ، المسعودي ، التنبيه (٢٤٥) ، المعارف (١٣٠) .

٤ المسعودي ، التنبيه (٢٤٦) . المعارف (١٣٠) .

وذكر أن (المغيرة بن شعبة) و (الحصين بن نمير) يكتبان أيضاً فيما يعرض من حوائجه[1] .

و (حذيفة بن اليمان)(توفي سنة ٣٦ هـ) ممن يكتب خرص النخل[2] . وخصص (المسعودي) عمله بخرص الحجاز[3] .

وذكر (عبدالله بن زيد) الضمري في جملة كتّاب رسول الله الي الملوك[4] . ونجد في طبقات (ابن سعد) صورة كتاب أرسله رسول الله (لمن أسلم من حدّس من لخم) ، كتبه له (عبدالله بن زيد)[5] .

وكان (العلاء بن عقبة) فيمن كتب للنبي . وذكر أن الرسول كان يبعثه والأرقم في دور الأنصار . وكانا يكتبان بين الناس المداينات والعهود والمعاملات[6]. وفي جملة ما كتبه للرسول كتابه لبني شَنْخ من جهينة[7] ، وكتابه للعباس بن مرداس السلمي ، أنه أعطاه (مدفوداً)[8] . وذكر أنهما كانا يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياههم ، وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء[9] .

و (أُبي بن كعب بن قيس) من كتّاب الوحي ، وهو من يثرب من (بني النجار) من (الخزرج) . وقد عرف بـ (سيد القرّاء) ، وكان أقرأ الناس للقرآن . وكان أحد فقهاء الصحابة وأقرأهم لكتاب الله . وكان ممن كتب للنبي قبل (زيد بن ثابت) ومعه أيضاً . وذكر انه كان أول من كتب لرسول الله مقدمه المدينة ، وأول من كتب في آخر الكتاب : « وكتب فلان» وكان اذا لم يحضر دعا رسول الله (زيد بن ثابت) فكتب . وكان وزيد يكتبان الوحي

---

١ المسعودي ، التنبيه (٢٤٥) ، نهاية الارب (١٨/٢٣٦ وما بعدها) .
٢ المعارف (١١٤) ، نهاية الارب (١٨/٢٣٦) .
٣ المسعودي ، التنبيه (٢٤٥) .
٤ الاصابة (٢/٣٠٥) ، (رقم ٤٦٩٠) .
٥ الطبقات (١/٢٦٦ وما بعدها) .
٦ الاصابة (٢/٤٩١ وما بعدها) ، (رقم ٥٦٤٩) .
٧ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧١) .
٨ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٣) .
٩ الجهشياري (١٢) .

بين يدي الرسول ، ويكتبان كتبه الى الناس وما يقطع وغير ذلك[1] . ونجد في طبقات ابن سعد ، صور كتب دوّنها أُبي للرسول ، منها كتابه لخالد بن ضماد الأزدي ، وكتابه لعمرو بن حزم ، وهو عهد يعلمه فيه شرائع الاسلام وفرائضه وحدوده ، حيث بعثه الى اليمن[2] ، ومنها كتابه لجنادة الأزدي[3] ، وكتابه للمنذر ابن ساوى ، وكتابه الى (العلاء بن الحضرمي) ، بشأن ارسال ما تجمع عنده من الصدقة والعشور[4] ، وكتابه لجمّاع في جبل تهامة كانوا قد غصبوا المارة من كنانة والحكم والقارة ومن اتبعهم من العبيد[5] ، وكتابه لبارق من الأزد . وقد شهد على صحته أبو عبيدة بن الجرّاح وحذيفة بن اليمان[6] .

وزيد بن ثابت من الأنصار ، من (بني النجار) . ولما قدم الرسول المدينة استكتبه ، فكتب له الوحي ، كما تولى له أمر كتابة الرسائل . ذكر أنه تعلم الكتابة على أسرى (بدر) في جماعة من غلمان الأنصار . فقد « كان فداء الأسرى من أهل بدر أربعين أوقية أربعين أوقية ، فمن لم يكن عنده علّم عشرة من المسلمين ، فكان زيد بن ثابت ممن عُلّم » . وذكر أنه جاء الى أبيه وهو يبكي، فقال ما شأنك ؟ قال : ضربني معلمي ، قال : الخبيث يطلب بذحل بدر ، والله لا تأتيه أبداً[7] .

وروي أنه في السنة الرابعة من الهجرة أمر الرسول زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود ، وقال لا آمن أن يبدّلوا كتابي[8] . فتعلم كتابهم ، وتولى أمر كتابة رسائل الرسول اليهم ، والرد على رسائلهم[9] . ونسب اليه اتقانه الكتابة بلغات أخرى . ذكر المسعودي منها : الفارسية والرومية والقبطية والحبشية . وأنه تعلم

---

١ الاستيعاب (١/٢٧ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، الاصابة (١/٣١) ، (رقم ٣٢) ، فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) ،

٢ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٧) ، المعارف (٢٦١) .

٣ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٠) .

٤ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٦) .

٥ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٨) .

٦ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٦ وما بعدها) .

٧ امتاع الاسماع (١/١٠١) ، الطبقات (٢/١٤) ، الجهشياري (١٢) .

٨ امتاع الاسماع (١/١٨٧ ، ١٩٤) ، السجستاني ، المصاحف (٣) .

٩ فتوح البلدان (٤٧٣ وما بعدها) .

ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن ، وكان يكتب الى الملوك ويجيب بحضرة النبي ويترجم له[1] وقيل إنه كان من أعلم الصحابة بالفرائض[2] . وكان هو الذي تولى قسم غنائم اليرموك . وتولى جمع القرآن في أيام أبي بكر ، بتكليف من الخليفة. وذكر أنه كان « رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض »[3] . وقد عرض زيد القرآن على رسول الله ، « وكان آخر عرض رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، القرآن على مصحفه ، وهو أقرب المصاحف من مصحفنا »[4] .

وكان حين قدم رسول الله المدينة ابن احدى عشرة سنة . وكان يوم (بعاث) ابن ست سنين وفيه قتل أبوه . ويظهر انه كان قد تعلم الكتابة وهو صغير. ذكر انه أتي بزيد النبي مقدمه المدينة ، فقيل هذا من بني النجار وقد قرأ سبع عشرة سورة، فقرأ عليه فأعجبه ذلك، فقال : تعلم كتاب يهود، فإني ما آمنهم على كتابي . فتعلمها ، وتولى الكتابة بالعبرانية أو السريانية بين الرسول واليهود ، فضلاً عن كتابة رسائله وما ينزل عليه من الوحي حين يكون عنده . لذلك عدّ من البارزين في قراءة القرآن . وبرز في القضاء والفتوى والفرائض، وعدّ من أصحاب الفتوى، وهم ستة : عمر وعليّ وابن مسعود وأبي وأبو موسى ، وزيد بن ثابت . وهو الذي جمع القرآن[5] .

وهو الذي جمع القرآن في عهد (أبي بكر) ، وقد اختلف في سنة وفاته، فقيل مات سنة اثنتين أو ثلاث أو خمس وأربعين ، وقيل سنة احدى أو اثنتين ، أو خمس وخمسين . وفي خمس وأربعين قول الأكثر . وذكر ان حسان رثاه بقوله :

---

١ التنبيه (٢٤٦) ، فتوح البلدان (٤٧٩) ، السجستاني ، المصاحف ، تقييد العلم (٥١) .

٢ الاستيعاب (١/٢٩) ، (حاشية على الاصابة) .

٣ الاصابة (١/٥٤٣ وما بعدها) ، (رقم ٢٨٨٠) ، الاستيعاب (١/٥٣٢) ، (حاشية على الاصابة) .

٤ المعارف (٢٦٠) .

٥ الاصابة (١/٥٤٣) ، (رقم ٢٨٨٠) ، الاستيعاب (١/٥٣٢) ، (حاشية على الاصابة) ، نزهة الجليس (٢/٦٥) ، أسد الغابة (٢/٢٢١ وما بعدها) .

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمعاني بعد زيد بن ثابت[1]

وعهد رسول الله الى (زيد) احصاء الناس والغنائم ، وتقسيمها عليهم حسب حصصهم[2] .

وكان (ثابت بن قيس بن شماس) الأنصاري ممن كتب للرسول . كتب له كتابه لوفد ثُمالة والحدّان . وقد شهد على الكتاب ووقع عليه (سعد بن عبادة)، و (محمد بن مسلمة)[3] . وكان خطيب الأنصار . وقد قتل يوم اليمامة[4] . وهو الذي أمره الرسول أن يجيب على خطاب خطيب (تميم) ولسانها الناطق (عُطارد ابن حاجب) . فكان خطيب المسلمين[5] .

و (محمد بن مسلمة) ، هو من الأوس . ولد قبل البعثة ، وهو أول من سُمّي في الجاهلية محمـــداً . أسلم قديماً على يدي (مصعب بن عمير) ، وآخى الرسول بينه وبين (أبـي عبيدة) . واستخلفه الرسول على المدينة في بعض غزواته . وقد كتب للرسول كتابه لمهري بن الأبيض . توفي سنة (٤٣) أو (٤٦ هـ)[6] .

وكان (أوس بن خولي) من كتّاب يثرب ، ولما كان صلح (الحديبية) وأراد الرسول تدوين الصلح « دعا أوسَ بن خولي يكتب ، فقـال سهيـــل : لا يكتب إلا ابن عمك عليّ ، أو عثمان بن عفان ، فأمر علياً فكتب »[7] . وهو من الخزرج . ولما آخى الرسول بين الأنصار والمهاجرين آخى بينه وبين شجاع بن وهب[8] . وكان من (الكملة) ، ولمـــا قبض الرسول وأرادوا غسله ، حضرت

---

١ الاصابة (١/٥٤٤) ، (رقم ٢٨٨٠) ، الطبري (٢/٤٢١) ، (مطبعة الاستقامة بالقاهرة) ، تهذيب الاسماء واللغات ، للنووي (١/٢٠٠ وما بعدها) ، تهذيـب التهذيب ، للعسقلاني (٣/٣٩٩) ، (حيدر آباد ١٣٢٥ هـ) ، اليعقوبي (٢/١٥٧ ، ١٩٥) ، (هوتسما) ، ابن هشام ، سيرة (٣/١١) ، (مطبعة حجازي بالقاهرة) .

٢ امتاع الاسماع (١/٤٢٦) .

٣ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٦) ، (١/٣٥٤) ، (صادر) .

٤ الاصابة (١/١٩٧) ، (رقم ٩٠٤) .

٥ الطبري (٣/١١٦) ، (قدوم وفد تميم ونزول سورة الحجرات) .

٦ الاصابة (٣/٣٦٣ وما بعدها) ، (رقم ٧٨٠٨) ، ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٦) ، (١/٣٥٥) ، (صادر) .

٧ امتاع الاسماع (١/٢٩٦) .

٨ الاصابة (١/٩٥ وما بعدها) ، (رقم ٣٣٤) .

الأنصار ، وأبت على المهاجرين إلا أن يحضر منها أحد ، فقيل لهم : اجتمعوا على رجل منكم ، فاجتمعوا على أوس بن خولي ، فحضر غسل رسول الله ودفنه مع أهل بيته . وتوفي في خلافة عثمان[1] .

وكان (عبدالله بن رواحة) الخزرجي من كتّاب الرسول ومن الشعراء المعروفين بيثرب ومن السابقين الأولين من الأنصار وأحد النقباء ليلة العقبة. وكان الرسول يقول له : « عليك بالمشركين » ، فينظم الشعر فيهم . وكان يناقض (قيس بن الخطيم) في حروبهم ، ولما دخل الرسول مكة في عمرة القضاء كان ابن رواحة بين يديه ، وهو يقول :

خلّوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

ومدح الرسول ، وكان من جيد مدحه له قوله :

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر[2]

وذكر بعض أهل الأخبار أنه لما نزلت : « والشعراء يتبعهم الغاوون . قال عبدالله بن رواحة : قد علم الله أني منهم ، فأنزل الله : إلا الذين[3] آمنوا وعملوا الصالحات »[4] . وسورة الشعراء التي فيها آية : « والشعراء يتبعهم الغاوون » وما بعدها ، من السور التي نزلت بمكة إلا هذه الآية وما بعدها ، وهي أربع آيات في آخرها ، نزلت بالمدينة في شعراء الجاهلية ، ثم استثنى منهم شعراء المسلمين منهم : حسان بن ثابت وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة ، فقال تعالى : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً، وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، فصار الاستثناء ناسخاً له من قوله والشعراء يتبعهم الغاوون[5] .

---

١ الاستيعاب (١/٤٩) ، (حاشية على الاصابة) .
٢ الاصابة (٢/٢٩٨ وما بعدها) .
٣ في الاصابة (ان الذين) ، وهو غلط مطبعي .
٤ الشعراء ، الاية ٢٢٤ وما بعدها .
٥ الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص ١٥١ وما بعدها) ، (حاشية على اسباب النزول) ، (القاهرة ١٣١٥ هـ) .

وهناك كتبة آخرون كتبوا الكتاب والكتابين والثلاثة للرسول، ذكر (المسعودي) أنه لم يثبت أسماءهم في جملة أسماء من كتب للرسول لأنه لم يكتب من أسماء كتاب الرسول إلا من ثبت على كتابته واتصلت أيامه فيها وطالت مدته وصحت الرواية على ذلك من أمره دون من كتب الكتاب والكتابين والثلاثة إذ كان لا يستحق بذلك أن يسمى كاتباً ويضاف الى جملة كتابه[1] .

وذكر ان كتاب النبي كانوا يكتبون بالخط المقور ، وهو النسخي . أما الخط (المبسوط) ويسمى باليابس ، فقد استعمل في النقش على الأحجار وأبواب المساجد وجدران المباني ، وفي كتابة المصاحف الكبيرة ، وما يقصد به الزينة والزخرف ، وغلب عليه اطلاق لفظ (الكوفي)[2] .

وكان بشير بن كعب العدوي ممن قرأ الكتب[3] . وذكر أنه كان من التابعين[4]. وكان (عبدالله بن عمرو بن العاص) ممن قرأ الكتب ، وكان يكتب الحديث بين يدي رسول الله ، ويقرأ بالسريانية[5] .

وذكر أهل الأخبار ان رجلاً من أهل اليمن كان يقرأ الكتب ، وان امرأة اسمها (فاطمة بنت مرّ) ، كانت قد قرأت الكتب كذلك[6] .

وكان من النساء من يحسن القراءة والكتابة . منهن : (الشفّاء بنت عبدالله بن عبد شمس) القرشية العدوية . من رهط (عمر)[7] . أسلمت قبل الهجرة ، وهي من المهاجرات الأول . وكانت من عقلاء النساء ، وكان (عمر) يقدمها في الرأي . وكان رسول الله يزورها ويقيّل عندها في بيتها ، وكانت قد اتخذت له فراشاً وإزاراً ينام فيه . وقد أمرها الرسول أن تعلم (حفصة) الكتابة ، فعلمتها ،

---

١ المسعودي ، التنبيه (٢٤٦) .
٢ حفني بك ناصف (٦١ وما بعدها) .
٣ بضم أوله مصغرا ، الاصابة (١/١٨٣) ، (رقم ٨٢٢) .
٤ الاصابة (١/١٧٧) ، (رقم ٧٧٨) .
٥ المعارف (٢٨٧) ، الاصابة (٢/٣٤٣) ، (٤٨٤٧) ، الاستيعاب (٢/٣٣٨ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
٦ الروض الانف (١/١٠٤) .
٧ فتوح البلدان (٤٧٧ وما بعدها) ، (٤٥٨) ، (المكتبة التجارية) .

كما علمتها (رقية) تسمى (رقية النملة)[1] . وقد تعلمت الكتابة في الجاهلية[2] .

وكانت (حفصة) زوج النبي وابنة (عمر) تكتب[3] . وكانت (أم كلثوم) بنت (عقبة) تكتب[4] . وكذلك كانت (عائشة بنت سعد) ، و (كريمة بنت المقداد)[5] ، و (شميلة)[6] .

وورد ان (عائشة) زوج الرسول ، انها كانت تقرأ المصحف ولا تكتب[7] . ولا شك في انهما تعلمتا القراءة في الاسلام .

وورد في بعض الأخبار أن العرب كانت تسمي كل من قرأ الكتب أو كتب: صابئاً . وكانت قريش تسمي النبي أيام كان يدعو الناس بمكة ويتلو القرآن صابئاً[8].

وقد اشتهر أهل اليمن بشيوع الكتابة والقراءة فيهم ، فكان غلمانهم يتعلمونها ويرددون قراءة ما يكتبون ويقرأون وقد أشير الى ذلك في شعر (لبيد) فورد :

فنعاف صارة فالقنان كأنها ... زبر يرجعها وليد يمان
متعود لحنٌ يعيد بكفه ... قلماً على عُسب،ذبلن وبانٌ[9]

والزبر : الكتب ، فقال : كأن تلك المنازل كتب يرددها وليد يمان ، أي غلام يمان ، لأن الكتاب فيهم ، لأنهم أهل ريف . متعود لذلك : فهمٌ ، ولحنٌ : بمعنى فهم،يعيد بكفه قلماً ، يكتب في العسب والبان . وكانوا يكتبون في العسب والبان والعرعر[10] . فيظهر من ذلك أن أهل اليمن ، حتى غلمانهم ، كانوا يكتبون ، ويردد الأطفال الكتب ، لحفظها ولتعلمها ، على نحو ما يفعلون في الكتاتيب هذا اليوم .

---

١ الاصابة (٤/٣٣٣) ، (رقم ٦٢٢) .
٢ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
٣ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
٤ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
٥ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
٦ البلاذري ، أنساب (١/١٣٧) ، الاصابة (٤/٣٣٥) ، (رقم ٦٣٢) .
٧ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
٨ الاكليل (١/٤٤) .
٩ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، (تحقيق الدكتور احسان عباس) ، (ص ١٣٨) ، (طبعة الكويت ١٩٦٢) .
١٠ المصدر نفسه .

ويظهر أن ثقيفاً كانت قد حذقت الكتابة وبرزت بها . فقد ورد أن عمر بن الخطاب قال : « لا يملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف » ، وأن عثمان ابن عفان قال : « اجعلوا المملي من هذيل والكاتب من ثقيف »[1] . وذكر أن (غيلان بن سلمة بن معتب) ، وهو ممن أسلم يوم الطـــائف ، كان كاتباً كما كان معلماً[2] .

وورد في الأخبار أن الجاهليين كانوا يضعون الكتب التي ترسل الى الملوك من الآفاق ، عـــلى لوح ضمت اليه ألواح من جوانبه ، فلا تمسها إلا يد الملك ، يأخذ ما يشاء ويترك ما يشاء ويجيب على ما فيها . وفي هذا الخبر دلالة على شيوع الكتابة والمراسلات عند الجاهليين ، وعلى وجود ديوان خاص لدى الملوك ، يتولى النظر في المراسلات . وفي هذا المعنى ورد في شعر لبيد :

أو مذهبٌ جدد على ألواحـ ـهن الناطق المبروز والمختوم[3]

ويظهر ان قوماً من الشعراء كانوا يكتبون ويقرأون . ومنهم من كان على ثقافة وعلم . ورد في شعر للشاعر (لبيد) قوله :

وجلا السيولُ عن الطلول كأنها زُبر تجدّ متونهـــا أقلامها[4]

ولا يمكن صدور هذا البيت ، إلا من رجل كاتب له ذكاء حاد ، وربما كان ذلك الشاعر كاتباً يدون شعره ويحفظه عنده ، فوصفه مثل هذا للطلول ، لا يمكن أن يقال إلا من رجلٍ له علم بالكتابة ، وحذق ودراية .

وفي البيت الآتي :

فمدافع الريّان عُرّي رسمهـــا خلقاً كما ضمن الوحي سِلامها

إشارة الى الكتابة كذلك ، فالوحي هو الكتابة ، والسِّلام الحجارة ، أي كان

---

١ ابن فارس ، الصاحبي (٢٨) .
٢ المحبـــر (٤٧٥) .
٣ شرح ديوان لبيد (ص ١١٩) .
٤ شرح ديوان لبيد (ص ٢٩٩) ، بلوغ الارب (٣ /٣٦٧ وما بعدها) .

ما بقي من رسمها بعد أن عريت ، مثل ما يبقى من الكتابة في الأحجار[1]. ويؤخذ من ذلك ان الحجارة كانت – كما ذكرت في مواضع من هذا الكتاب – مادة من مواد الكتابة عند الجاهليين .

وفي شعر لبيد :

فتعاف صارةَ فالقنـــان كأنها زُبر يرجعها وليد يمان
مُتعود لحنٌ يعيد بكفّـــه قلماً على عُسب ، ذبلن وبان[2]

دلالة واضحة على إلمامه بالكتابة والقراءة ، وعلى وقوفه على خط أهل اليمن ، وعلى دراسة غلمان اليمن للزبر ، وهي الكتب .

بل ورد : ان لبيداً كان يدون شعره ، ويهذبه بعد كتابته ، وانه كان يكتب. روي : « ان عمر بعث الى المغيرة بن شعبة ، وهو على الكوفة ، يطلب اليه أن يستنشد من قبله من شعراء الكوفة ما قالوه في الاسلام . فأجابه الأغلب ، وردّ عليه لبيد قائلاً : إن شئت ما عفى عنه – يعني الجاهلية – فقال : لا ، أنشدني ما قلت في الاسلام . فانطلق ، فكتب سورة البقرة في صحيفة ، ثم أتى بها ، وقال : أبدلني اللهُ هذه في الاسلام مكان الشعر . فكتب المغيرة بذلك الى عمر ، فنقص عطاء الأغلب خمس مئة ، وجعلها في عطاء لبيد »[3] .

وكان الشاعر (المرقش) ، وهو من شعراء الحيرة ، كاتباً قارئاً ، تعلم الكتابة والقراءة في (الحيرة) مع أخيه (حرملة) عند رجل من أهل الحيرة[4] . وكذلك كان الشاعر (لقيط بن يعمر الإيادي) كاتباً قارئاً ، وقد عرف بين أهل الأخبار بـ (صحيفته) التي أرسلها الى قومه (إياد) ، ينذرهم فيهـا بعزم (كسرى) على غزوهم ، وهي قصيدة افتتحت بهذا البيت :

---

١ شرح ديوان لبيد (ص ٢٩٧) .
٢ شرح ديوان لبيد (ص ١٣٨) .
٣ شرح ديوان لبيد (ص ٢٨ ، ٣٦) ، الاغاني (١٥/١٣١) .
٤ الأغاني (٦/١٣٠) ، المفضليات (٤٥٩ وما بعدها) .

سلام في الصحيفة من لقيط الى مـــن بالجزيرة من إياد[1]

ويجب ألا ننسى الشاعر : (أمية بن أبـي الصلت) الذي لم يكن كاتباً قارئاً حسب ، بل كان واقفاً على كتب أهل الكتاب كذلك ، وكان يقرأها ، ويقتبس منها ، وقد استخدم في شعره ألفاظاً ذكر أنه أخذها من كتب أهل الكتاب[2] .

ونضيف الى من تقدم : (الزبرقان بن بدر)[3] ، و (النابغـــة الذبياني)[4] و (الربيع بن زياد العبسي)[5] ، و (لبيد بن ربيعة العامري)[6] ، و (كعب ابن زهير بن أبـي سلمى)[7] .

ودعوى ان الجاهليين كانوا أميين وعلى الفطرة والبديهة ، لا يحسنون كتابـة وقراءة خلا نفر بمكة وأشخاص بيثرب ، دعوى باردة سخيفة ، لا يمكن لمن له إلمام بأحوال الجاهلية أن يصدق بها . فأهل الأخبار الذين يروون هذه الرواية ، يعودون فيخطئون أنفسهم ، بسرد أسماء رجال من جزيرة العـــرب ومن العراق وبلاد الشأم ، ذكروا انهم كانوا يقرأون ويكتبون ، بل ذكروا أكثر من ذلك، ذكروا ان منهم من كان يقرأ العبرانية أو السريانية ، كالأحناف ، ثم انهـــم يذكرون أخبار مراسلات سادات القبائل في مختلف مواضع جزيرة العرب مـــع الرسول ، ومكاتبة مسيلمة مع النبي وتأليفه كتاباً زعم انه وحي نزل عليـــه من السماء مثل ما نزل على الرسول ، فهل يعقل بعـد ذلك ، قول قائـل ان العرب كانوا أميين ، خلا نفر . وقد رأينا انهم تركوا آلاف الكتابات باللهجات العربية

---

١ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (١٥٢/١) ، الاغاني (٢٤/٢٠) ، مختارات ابـــن الشجرى (٢ وما بعدها) .

٢ ابن هشام ، سيرة (٤٨/١) ، الاغاني (١٢٣/٣) ، (١٢١/٣ ومـــا بعدها) ، (١٢٩/٤) ، ابن قتيبة ، المعارف (٢٨) ، ابن سعد ، الطبقات (٣٧٦/٥) ، المزهر (٣٠٩/٢) .

٣ الاغاني (١٨٠/٢) .

٤ البغدادي ، الخزانة (٣٩٢/٢ وما بعدها) .

٥ الاغاني (٢٢/١٦ وما بعدها) ، أمالي المرتضى (١٣٦/١) .

٦ ابن قتيبة ، الشعر (٢٣٣ وما بعدها) ، الخزانة (٢١٥/٢) .

٧ ابن قتيبة ، الشعر (٩١/١) ، جمهرة أشعار العرب (٢٤) .

الجنوبية وبالثمودية واللحيانية والصفوية ، بل قد نجد الكتابة في بعض قبائل الجاهلية مثل قبائل الصفاة ، أكثر اتساعاً وانتشاراً مما عليه الحال بين قبائل هذا اليوم .

وبعد ، فالأمية الجماعية التي فرضها أهل الأخبار على الجاهليين ، فجعلوهم أميين مائة بالمائة ، لم تكن أمية صحيحة ، وإنما جاءت من وهم في فهم المراد من المواضع التي أشرت اليها من القرآن ، بدليل مناقضة أهل الأخبار أنفسهم ، بذكر أسماء من ذكرناهم وممن لم نذكرهم ممن كان يقرأ ويكتب بهذا القلم العربي الذي دوّن به القرآن . وبدليل ما أوردته من أقوال المفسرين في الأمية ، من أنها الوثنية ، لا الأمية بمعنى الجهل بالكتابة والقراءة حتماً ، لعدم انسجام هذا المعنى مع تفسير الآيات ، ثم إن القرآن الكريم حين تعرض للأمية ، بمعنى عدم القراءة والكتابة ، قال : « وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ، ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون . وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لأرتاب المبطلون »[1] . فعبر بذلك تعبيراً مبيناً عن معنى عدم القراءة والكتابة ، بأفصح عبارة ، فقال : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك » ، ولو كانت الأمية بهذا المعنى لما أهمل ذكرها في هذا المكان . ومن ذلك الوهم جاءت الأحاديث الضعيفة من أنه كان من أمة أمية لا تحسب ولا تكتب ، ولعاطفة دينية ، شددوا في أمية العرب ، فجعلوها جميعاً أميين ، لاظهار معجزة للرسول — هو في غنى عنها — في أنه ظهر بالنبوة في أمة أمية ، وجاء من الله بأحسن بيان ، وهي حجة له على أهل الكتاب والمشركين .

وبعد ، فقد فهمنا من روايات أهل الأخبار ، ان أهل مكة انما تعلموا الكتابة في عهد غير بعيد عن الاسلام . فهل يعني هذا انهم لم يكونوا يحسنون الكتابة والقراءة قبل هذا العهد أبداً ؟ والذي أراه ان ذلك شيء غير معقول ، وان أهل مكة كانوا يكتبون ويقرأون ، كانوا يكتبون بالمسند ، القلم الذي كتب به أكثر أهل جزيرة العرب قبل الاسلام ، بدليل ما نقرأه في كتب أهل الأخبار من زعمهم ان أهل مكة كانوا يجدون بين الحين والحين كتابات مدونة بالمسند في مقبرة

---

١ العنكبوت ، الاية (٤٦ وما بعدها) .

مكة القديمة وفي مواضع أخرى منها ، وفي عثور الناس على هذه الكتابات دلالة على ان سكان مكة كانوا يكتبون بالمسند أو بأقلام مشتقة منه ، ولا يعقل عـدم استعمال أهل الحجاز لهذا القلم ، وقد وجدنا انه والأقلام المشتقة منه ، قد كونت قلم أهل هذه البلاد قبل الاسلام ، والظاهر انهم وجدوا ان القلم الذي كان يكتب به النبط وبقية العرب ، مثل عرب الحيرة ، كان أسهل استعمالاً ومرونة من القلم المسند البطيء الحركة ، وانه لا يأخذ حجماً كبيراً بالقيـاس الى الخط العربي الجنوبي ، لذلك فضلوه على هذا القلم ، واستعملوه عوضاً عنه ، دون أن يجروا عليه تحويراً أو تغييراً ، لإصلاح ما فيه من خلل ، فلما جاء الاسلام ، أجرى عليه ما أجرى من تحوير وتغيير وتطوير .